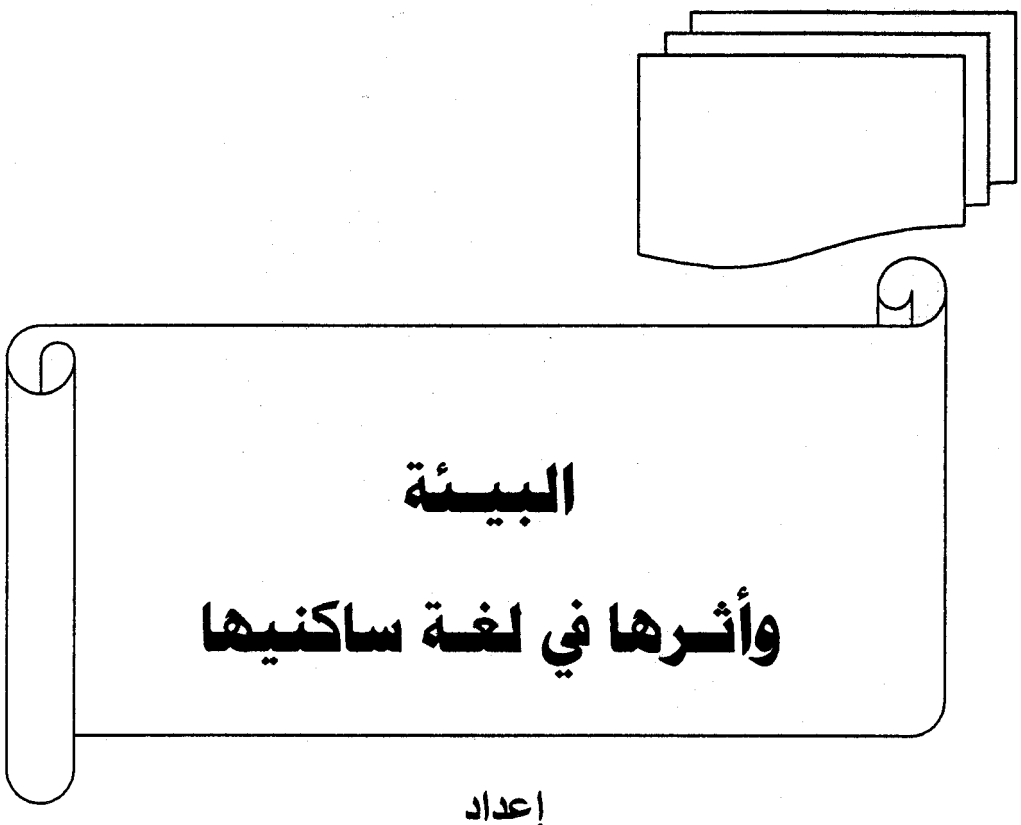

البيئة

وأثرها في لغة ساكنيها

إعداد

دكتور/ ممدوح إبراهيم محمود محمد

مدرس أصول اللغة

لجنة التحكيم

أ.د/ عبد الحميد محمد أبو سكين عضو اللجنة العلمية الدائمة

أ.د/فتحى أنور عبد المجيد الدابولى عضو اللجنة العلمية الدائمة

١٤٣٠ / ٢٠٠٩

تمهـــيد

[البيـــئة مفهومها وتفاعل الأفراد معها]

المكان أو البيئة اللغوية هو الإطار العام الذي ينتظم العادات والتقاليد والأعراف الخاصـــة بأقوام بأعينهم وهو ـــ في الوقت نفسه ـــ يمثل نهاية بيئة وبداية بيئات أخرى تختلف حتما قليلا أو كثيرا في حياتها الاجتماعية والثقافية بكل أبعادها وصورها . (١)

واللغة لا تعدو أن تكون نمطا أو عنصراً أو مثلا من هذه الأعـــراف والعـــادات . إنهـــا اصطلاح ولكل قـــوم أو بيـــئة اصطلاحاتها الخاصة بها . (٢)

وإذا كان الأمر كذلك فإن البيئة الجغرافية لها أثر ذو بال في خصائص اللغة، وفي كثير من مظاهر التطور اللغوي . وذلك أن ما يحدث بين حضارة الأمة ولغتها من توافق وانسجام يحدث مثله بين لغتها ومظاهر بيئتها الجغرافية . فجميع خصائص الإقليم الطبيعية تنطبع في لغة سكانه، وتتجـــه بها في سبيل التطور وجهة خاصة . ومن أجل ذلك نشأت فروق كبيرة في مختلف مظاهر اللغة بـــين سكان المناطق الحارة والمعتدلة والباردة، وبين سكان المناطق الجلية وســـكان الـــصحراء وســـكان الأودية، وبين سكان المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية، ونشأت فروق غير يسيرة بـــين أفـــراد الفصيلة اللغوية الواحدة، بل بين لهجات اللغة الواحدة، وقد ساعدها في ذلـــك عوامـــل أخـــرى معظمها اجتماعي . (٣)

فالحياة والبيئة يتداخلان بعضهما في بعض بدرجة قوية حتى إن لكل حياة، أو لكل نوع من الأحياء، أو فرد حي، البيئة التي تلائمه، والتي تختلف عما يلائم غيره من بيئات ... وفوق كل ذلك فإن كل تغير يطرأ على أي كائن حي من شأنه أن يحدث تغييرا في صلته بالبيئة، وكل تغير يـــصيب

---

(١) علم اللغة الاجتماعي د / كمال بشر ١٣١ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) اللغة والمجتمع د / علي عبد الواحد وافي ٧٧، ٧٨ بتصرف .

البيئة يستتبع تغيرا في استجابة الكائن الحي لها .[1]

وعلى هذا فالبيئة تشكل حياة الجماعة وتكسبها طابعها الخاص الذي تتميز بـه، وتتـأثر كذلك بالجماعة مما يؤدي إلى وجود تشابه بين الأحوال البيئية أو الطبيعية وبـين أسـاليب حيـاة الجماعة المنتمية إليها.

وإذا كان لكل فرد بيئته التي تلائمه ؛ لأنه يتفاعل معها دائما ولا ينعزل عنها أو عن تأثير النظم الاجتماعية القائمة، فإن الأفراد يكتسبون اللغة من بيئتهم التي يعيشون فيها، وفي عـصرهم الذي عاشوا فيه، فهم يراعون اللغة كما تنطق في عصرهم، وفي بيئتهم لا كما كانـت تنطـق في عصور سبقت، ولا كما ينبغي أن تنطق . لذلك يجب على الناطق باللغة أن يراعي في نطقه عـرف البيئة التي ينتسب إليها، فبيئة الفصحى مثلا تختلف عن بيئة اللهجات، إذ لكل منهما مواقف معينة تستعمل فيها لذا يقول ابن رشيق : " قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد، فيحسن في وقت مـالا يحسن في آخر، ويستحسن في بلد مالا يستحسن عند أهل غيره .... " .[2]

ولكى تتضح العلاقة بين الفرد والبيـئة نمثل لذلك بالنبات حيث نجد أن النبات لا يستقل عن بيئـته الفيزيقية من تربة و ماء و هواء و حرارة و ضؤ ...الخ، ولذا يمكن القول بأنه بجانـب أهمية دراسة الإنسان في علاقته بالبيئة لا نغفل أهمية دراسة هذا الإنسان باعتباره كائنا له تـاريخ و يقوم بمجموعة أدوار محددة تترابط و تنتظم داخل النظم الاجتماعية التى تكون البناء الاجتماعى . وعلى هذا فالفرد يعيش دائما في ظروف بيئية يتفاعل معها دائما أبدا ولا ينعزل عنها أو عن تـأثير النظم الاجتماعية القائمة بها (وهى النظام الاقتصادى، النظام الديـني، النظـام الطبقـي ..الخ) وهذه النظم جميعا تتميز بالدينامية والفاعلية، والنـشاط والـتغير مـن أجـل اسـتمرار الحيـاة الاجتماعية[3].

(١) المجتمع ــ روبرت ماكيفر، وشارلز بيدج ١٥١ ــ ١٥٣ بتصرف.

(٢) العمدة ١ / ٥٨ .

(٣) علم الاجتماع ٨٧ بتصرف .

وفي كل ذلك نجد أن اللغة هي المرآة العاكسة لحياة البيئات المختلفة بكل ما فيها، فهي صورة للمجتمع نابضة بالحياة، تتطور بتطوره، وتضعف بضعفه . وهي جافية غليظة في أمة خشنة ذات وعورة تحيا حياتها الأولى كالبدو في الصحراء، وهي رقيقة مهذبة ومتأنية عند الحضر الذين تتطلب حياتهم العمل على تحسين النطق وتخير العبارات حتى ينال المرء ما يشتهي من طموح ومركز اجتماعي .

وعلى هذا فالبيئة واللغة أمران متلازمان ومتداخلان يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به .

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنعم فأغفلت الشكر ، وأحسن فأسأت ، ووهبني من فضله ، ومنحني ما لا أحصيه ، حمدا يوافي نعمه على كل عدد جال في ضمير ، ونطق به ناطق أو أشار إليه مشير، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين .

وبعد ،،،

فاللغة العربية لغة فذة ، فريدة في نوعها ؛ لأنها قد أوقفت منذ بدء الخلق لأن تكون لغة البشر المطلقة التي فطروا عليها أصلا وطبيعة ، فهي لغتهم في الدنيا وهي لسان أهل الجنة كما ذكر الفارابي وغيره [1] ، وهي أفضل اللغات وأوسعها ولا يحيط بها إلا نبي كما ذكر الإمام الشافعي. [2] وغير ذلك مما يجعلها تتمتع بمزايا خاصة أهمها : القدم ، والتمام ، والجمال ، والخلود فهي أقدم اللغات الحية وهي مع ذلك مسايرة لروح كل عصر ومعبرة عنه .

ولما كانت اللغات هي أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون كما ذكر ابن تيمية [3] فإن العربية قد خلبت عقول العرب قديما ، وملأت عليهم شغاف أنفسهم ، فاعتزوا بها قولا وعملا ، وتفانوا في خدمتها والغيرة عليها ، شأنهم شأن أبناء الأمم المتحضرة الذين يعتزون بلغاتهم ويتمسكون بها؛ فخلف العلماء العرب من ثم آثارا تشهد بعبقريتها وتفردها بين لغات العالم .

وقد أتاح الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لهذه اللغة قديما أن تنتشر في بيئات عدة مختلفة في كثير من النواحي : من حيث الموقع ، والمناخ ، والطبيعة الجغرافية ، والخصائص الفسيولوجية ... إلخ مما

---

[1] انظر تفصيل ذلك في المزهر ١ / ٣٤٢ ، وفقه اللغة في تراث أبي العلاء المعري ص١١ وما بعدها .

[2] الرسالة ص٤٢ .

[3] اقتضاء الصراط ٢٠٣ .

جعلها تتعدد بتعدد هذه البيئات ، وتختلف في الفروع دون الأصول بعض الاختلاف ، وكل له وجه من القياس يؤخذ به كما ذكر ابن جني — رحمه الله — [1] وقد وجدنا صدى ذلك في القراءات القرآنية ، إذ هي الوثيقة التاريخية والمرآة الصادقة التي كانت تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، فقد كانت تيسيرا من الله تعالى على هذه الأمة في قراءة القرآن وخير دليل على ذلك حديث : " أنزل القرآن على سبعة أحرف .... " . [2]

يقول ابن الجزري : " كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها ، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا قط فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان ذلك من التكليف بما لا يستطاع" . [3]

فاللغات أو اللهجات مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة . وهي أوثق العرى التي تجمع بين أعضاء الجماعة الاجتماعية إذ بها يعرف بعضهم بعضا ويهرع بعضهم إلى بعض .

من هذا المنطلق رأيت أن أكتب بحثا عن البيئات العربية القديمة يكشف عن سمات هذه البيئات وخصائصها النطقية أو اللغوية ومدى قربها أو بعدها عن الفصحى ، ومدى ملائمة نطق القبائل للبيئات التي يعيشون فيها ، وأسباب ذلك ، أو مفارقته لها وأسبابه ، ومدى تطوره أو جموده ، ليكون ذلك عملا مساعدا في الكشف عن الخصائص اللغوية للقبائل العربية من ناحية ، وتعليلها من ناحية ثانية ، وإمكانية تطبيق ذلك على اللهجات الحديثة من ناحية ثالثة .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في : مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة ، وفهرس .

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن : قدم اللغة العربية ، وفضلها واعتزاز العلماء بها ، وتفرعها إلى لهجات ثم عن خطة البحث .

---

[1] الخصائص ١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

[2] صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٤ / ١٩٠٩ حديث رقم ٤٧٠٥ ، ٤٧٠٦) .

[3] النشر في القراءات العشر ١ / ٢١ ، ٢٢ .

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن : مفهوم البيئة ، وأن لكل فرد بيئته التي تلائمه ويتفاعل معها ، ومدى انعكاس ذلك على اللغة المستعملة فيها .

وأما الفصل الأول : فيتكون من ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : المجتمع واللغة .

المبحث الثاني : البيئة بين البدو والحضر .

المبحث الثالث : البيئة وسيكولوجية الشعوب والأفراد .

وأما الفصل الثاني : فيتكون من أربعة مباحث كالتالي :

المبحث الأول : البيئة وطرائق النطق .

المبحث الثاني : البيئة بين التأثير والتأثر .

المبحث الثالث : مفارقة البيئة لمعتاد حالها .

المبحث الرابع : البيئة بين التطور اللغوي والمحافظة على الأصل .

وأما الخاتمة : ففيها ذكرت أهم نتائج البحث .

وأما الفهرس فهو لمصادر البحث ومراجعه ، ولموضوعاته .

وأرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت فيما صبوت إليه ، وأن يجعل هذا العمل نافعا ومفيداً لطلاب العلم ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

سورة هود ٨٨

الباحث

الفصل الأول

المجتمع واللغة

تمهيد : (العلاقة بين المجتمع واللغة)

اللغة ظاهرة اجتماعية تقتضيها حاجة الإنسان إلى التفاهم مع أبناء جنسه، فلولا الحياة الاجتماعية ما كانت اللغات .[1]

وذلك لأن للظواهر الاجتماعية بمختلف أنواعها آثارا بليغة في مختلف شئون اللغة. فنشأة اللغة وانقسامها إلى فصائل ، وحياتها وانتشارها، وما يطرأ عليها من قوة وضعف وسعة وضيق وعظمة وضعة ، وصراعها مع غيرها وانتصارها أو هزيمتها واحتلالها مناطق كانت تابعة لغيرها أو تخليها لغيرها عن جميع مناطقها أو عن بعضها ، وتعدد مظاهرها تبعا لتعدد فنونها ، وانقسامها إلى لهجات وتفرع لغات عامية عنها ، والتطورات التي تحدث في أصواتها ومدلولاتها وأساليبها وقواعدها ... كل أولئك وما إليه لا يمكن فهمه والوقوف على أصوله وأسبابه إلا في ضوء الظواهر الاجتماعية الأخرى من سياسية ودينية واقتصادية ... وهلم جرا فلا غرابة إذن أن تكون الصلة وثيقة بين العلم الذي يدرس الظواهر اللغوية (علم اللغة) والعلوم التي تدرس الظواهر الاجتماعية الأخرى كعلوم السياسة والأديان والاقتصاد والتاريخ ... وما إلى ذلك .[2]

فاللغة لا تعيش في فراغ ولا تدرس في فراغ ، وإنما تعيش في مجتمع ترتبط به ، فهو صاحبها ، وهي وسيلته في الحياة : في التخاطب والتفاهم ، وفي التعامل وتبادل المنافع ، وهي سجله الحافل ، ووعاؤه الحضاري الذي هو جزء منه ، وهي المرآة التي يرى فيها المجتمع صورته في الماضي، وفي الحاضر ، ويترسم ـــ بواسطتها ـــ صورته في المستقبل ، وهي ظل المجتمع : ترقى برقيه، وتلبي

---

[1] علم اللغة . د / على عبد الواحد وافى ص ٢٦٧ .

[2] السابق ص ٣١ .

رغباته ، وتتسع لمتطلباته ، وتجمد بجموده ، وتنقرض بانقراضه.[1]

ولما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية مرتبطة بالمجتمع ارتباطا وثيقا وحلقة في سلسلة النشاط الاجتماعي كان لابد لها من أن تتصف بمجموعة من الخصائص التي تميز الظواهر الاجتماعية الأخرى وأهمها ما يلي :

١. تتصف اللغة كظاهرة اجتماعية بتلقائية النشأة ، أي أنها بحكم تراكماتها التاريخية، وبحكم أنها تنشأ خارجة عن الأفراد ؛ لأنها من صنع الجماعة ومحصلة التراكمات التاريخية للموروثات الاجتماعية والثقافية ، فإنها تكسب خاصية التلقائية ، حيث يتناقل الخلف من السلف مفرداتها ، وأساليبها ، ويخضعون لأحكامها وقواعدها ، ويحترمون دلالاتها ، وتركيباتها ، وبكتسبون عناصر اللغة المتمايزة ، والسمات الصوتية المميزة لها .

٢. تمتاز اللغة ــ أيضا ــ باعتبارها ظاهرة اجتماعية بخاصية العمومية ، والانتشار حيث يشارك فيها عدد من الأفراد والجماعات يستخدمون مفرداتها ، وتعبيراتها ، وأساليبها ، ودلالاتها الصوتية المميزة لها ، كما أنها تظهر بين من يستخدمونها كوسيلة للتفاعل والاتصال فيما بينهم في صورة واحدة إلى حد ما خلال فترة زمنية طويلة .

٣. تتصف اللغة كظاهرة اجتماعية بخاصية النسبية . وذلك لأنها رغم عموميتها وتكرارها بين الأفراد ، والجماعة ، والمجتمعات ، فإن اختلاف الجماعات الاجتماعية ، والمجتمعات ، وتمايز موروثاتها الثقافية لا تجعلها توجد على شاكلة واحدة من حيث المفردات ، والكلمات ، والقواعد ، والتركيبات اللغوية ، والأساليب المستخدمة للتعبيرات ، والدلالات الصوتية المميزة لها، إضافة إلى انقسامها إلى لهجات اجتماعية .

٤. تشكل جبرية اللغة إحدى الخصائص الأساسية المميزة لها باعتبارها ظاهرة اجتماعية، وهي الخاصية التي أولاها عالم الاجتماع الفرنسي (إميل دوركايم) مزيدا من اهتمامه في تعريفه للظاهرة الاجتماعية . حيث اعتبرها ضربا من ضروب السلوك ، الذي يباشر نوعا من

---

[1] في علم اللغة العام . د / عبد العزيز علام ص٤٧ .

الإلزام والقهر الخارجي على الأفراد ، و يرجع ذلك في أساسه لكون اللغة كظاهرة اجتماعية من صنع العقل الجمعي ، وأنها تعبر عن رغبات المجتمع وأفكاره ، وتخضع لمنطق العقل الجمعي، ولذا فإننا نستخدم لغة جماعاتنا الاجتماعية ، ونلتزم بمفرداتها ، وأساليب تعبيرها ، والدلالات الصوتية للحروف والمعاني المرتبطة بالكلمات ، ولا نخرج عنها لأننا لو خرجنا عنها تعرضنا لصور الجزاءات الاجتماعية ، سواء كانت مادية أو معنوية . [1]

وما سبق يدلنا دلالة واضحة على العلاقة الوثيقة بين اللغة والمجتمع إذ ترقى برقيه ، وتجمد بجموده ، وتنقرض بانقراضه ، الأمر الذي جعل جماعة من العلماء يبالغون في تقدير آثار المجتمع في اللغة حتى كادوا ينكرون أن لغير الظواهر الاجتماعية أثرا في شئون اللغة ، ومن أشهر أفراد هذه الطائفة العلامة السويسري فرديناند دوسوسور . [2]

---

[1] انظر تفصيل ذلك في كتاب (علم الاجتماع اللغوي) . د / السيد على شتا ص٥٠ إلى ص٥٧.

[2] علم اللغة . د / وافي ، ص٢٦٦ .

المبحث الأول

أثر المجتمع في اللغة

تحدثنا فيما سبق عن العلاقة المطردة بين اللغة والمجتمع ، فاللغة هي وعاء الفكر وأداة التعبير ووسيلة الاتصال بين أبناء المجتمع. وهنا نريد أن نبرز أثر المجتمع في اللغة إذ ثبت أن اللغة تتأثر أيما تأثر بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرتها إلى الحياة وشئونها الاجتماعية العامة وما إلى ذلك . فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداء التعبير . ولذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب .[1]

وقبل أن نبرز أثر المجتمع في اللغة علينا أن نحدد أولا المجتمع اللغوي الذي نريد دراسته، وتكويناته البيئية ، وظروفه الاجتماعية .

فالمقصود بالمجتمع اللغوي لأي لغة هو هؤلاء الناس الذين يتحدثون تلك اللغة بصرف النظر عن الحدود السياسية ، وبذلك تكون وحدة اللغة هي عامل مشترك بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد وإن عاشوا في عدد من الدول ولم تربطهم وحدة جغرافية أو سياسية .[2]

والمجتمع الذي نريد أن نوضح آثاره في اللغة هو المجتمع العربي ، فالعالم العربي يعتبر مجتمعا لغويا واحدا ، إذ أن كل سكانه يتكلمون اللغة العربية ، رغم أنهم ينتمون إلى عدد من الدول العربية .

ويشتمل المجتمع العربي القديم المنتشر في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام على عوامل طبيعية أو جغرافية ، واجتماعية ، وفسيولوجية متعددة تلقي بظلالها على اللغة المنطوقة فتؤثر فيها ، وتتأثر بها .

---

[1] الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي ص١٠٩ .

[2] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ١١٩ .

فالبيئة الجغرافية ممتدة واسعة ، تختلف الطبيعة فيها فيتصل بعض بقاعها وينفصل بعضها الآخر، ففيها التهائم والنجود والمسايل والوديان ؛ وفيها المناطق الصحراوية التي يعيش فيها البدو، وفيها مناطق الاستقرار والتحضر حيث يوجد شيء من زراعة أو نصيب من تجارة .[1]

وعلى الرغم من أن هذه العوامل الطبيعية ليست اجتماعية ، أي أنها لا تتصل بالاجتماع الإنساني وما يتصل به من عقل جمعي ، إلا أن لها آثارا ملموسة على اللغة وتطورها ، تظهر خلال عملية انتقال اللغة من جيل إلى جيل آخر ، أو من السلف إلى الخلف .

فالعوامل الطبيعية أو الجغرافية للأمة بخصائصها المناخية والبيئية والإقليمية تنعكس على لغة السكان ، ولهذا تبرز فروق واضحة في مختلف مظاهر اللغة بين سكان المناطق الباردة والمناطق المعتدلة والمناطق الحارة ، وكذلك تتباين البيئة الصحراوية عن البيئة الجغرافية ، والعوامل الطبيعية والمناخية ، فتولد مفرداتها اللغوية وتكثر في لغة الكتابة والأعمال الأدبية المبدعة مستمدة صور الاستعارة والتشبيهات و الخيال الأدبي من ذلك الواقع ، حتى أن النص الأدبي يعكس بوضوح قاطع ويدل دلالة واضحة على بيئة كاتبة وطبيعتها ، مما يشير بجلاء إلى هويته وتأثره بهما ، بل إن الأمر في كثير من الأحيان قد لا يقتصر على النص المكتوب بل يتعداه إلى كل فنون القول للغة ، نثرا أو شعرا وكل كلام منطوق .[2]

وهذا ما أكده روبرت ماكيفر ، وشارلز بيدج إذ ذكرا أن الحياة والبيئة أمران متلازمان. فالحياة والبيئة يتداخل بعضهما في بعض بدرجة قويت حتى إن لكل حياة أو لكل نوع معين من الأحياء ، أو فرد حي ، البيئة التي تلائمه ، والتي تختلف عما يلائم غيره من البيئات ، وكل تغير يطرأ على أي كائن حي من شأنه أن يحدث تغيرا في صلته بالبيئة ، وكل تغير يصيب البيئة يستتبع تغيرا في استجابة الكائن الحي لها ، وكل اختلاف في البيئة يعني اختلافا في عاداتنا الفردية وفي أسلوب حياتنا . إن خير ما يوضح تقابل الحياة والبيئة هو الزمر الاجتماعية ، وكما يختلف كل

---

[1] اللهجات العربية في القراءات القرآنية ٣٩ .

[2] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ٩٧ ، ٩٨ .

إقليم عن الأقاليم الأخرى في كل بلد من بعض النواحي كذلك يختلف سكان كل إقليم فيما بينهم... وتؤكد المشاهدة العامة أن الناس يختلفون في القرية عنهم في المدينة . وفي حالة احترافهم الزراعة عنهم في حالة احترافهم الصناعة ، وفيما إذا سكنوا الجبال عما إذا سكنوا السهول ، وفي المناخ الحار عنهم في المناخ المعتدل . ومن الواضح أن الأثرياء يعيشون في بيئة تختلف عن بيئة الفقراء... خذ مثلا أن أهم الجماعات الكبيرة كالأمة أو منطقة حضارية برمتها ترى أن خصائصها متصلة اتصالا حقيقيا بالبيئة الشاملة التي نمت فيها ، أو خذ أصغر زمرة اجتماعية وهي الأسرة الصغيرة ، وستجد فيها هذا التقابل بين الحياة والبيئة واضحا لكل ذي عينين .[1]

فالبيئة تشكل حياة الجماعة وتكسبها طابعها الذي تتميز به ، فتؤثر في الجماعة ، وتتأثر بها ويبدو أثر ذلك واضحا في طرائق نظقهم ؛ وأساليبهم ، وقواعدهم ، وهذا ما وضحه عالم الاجتماع مونتسكيو إنه يرى أن المجتمع يتكون من نظم يرتبط بعضها ببعض ارتباطا وظيفيا ، حيث ترتبط قوانين المجتمع بالبيئة الطبيعية ، والنظم السياسية ، والاقتصادية ، وعدد السكان ، ومعتقداتهم ، والعرف ، والأخلاق ، وأمزجة الناس .[2]

وكل هذه الأمور يتردد صداها في أداة تعبيرهم إذ كثيرا ما ينجم عن اختلاف الناس فيها اختلاف في مدلول الكلمات وخروجها عن معانيها الأولى ، كما أن ما يكون عليه الناس من حشمة وأدب في شئونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينبعث صداه في لغتهم بألفاظها وتراكيبها ودلالاتها المستوحاة من واقع بيئتهم وأعرافهم وعقائدهم . كما سيأتي .

أما عن العوامل الفسيولوجية والبيلوجية وأثرها في تطور اللغة فإن الشعوب تختلف عن بعضها البعض في خواصها الوراثية المتعلقة بأعضاء النطق ، وخاصة فيما يتعلق منها بناحية الأصوات. وذلك لأن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتي تنتقل عن طريق الوراثة من جيل إلى

---

[1] المجتمع ١٥٢ ــ ١٥٤ بتصرف .

[2] الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي ٣٠ .

جيل آخر ، مما يؤدي إلى تحريف في أصوات اللغة عند انتقالها من شعب إلى آخر ، فينطقون اللغة المنقولة إليهم بلسان يحمل لكنة شعبهم التي ألفوها تكون مغايرة لأصل اللغة المنقولة .[1]

وهذا إن دل فإنما يدل على تأثر الناطق بلكنة بيئته الأصلية التي اعتادها قبل أن ينتقل إلى بيئة أخرى ذات سمات وخصائص نطقية مغايرة ، وإن تأثر بها في كثير من الأحيان.

يقول (فندريس) : " قد كان يحدث على وجه الخصوص أن يغير شعب لغته ، وبالتالي كانت اللغة الواحدة تتكلمها شعوب مختلفة . فتارة يفرض فاتح لغته على مهزوم ، وتارة تحمل الظروف السياسية والاجتماعية شعبا من الشعوب على اتخاذ لغة جاره ، ومن هنا كانت الانقلابات السريعة الغريبة في تطور بعض اللغات ؛ لأن الشعب الذي يتخذ لغة جديدة يطبق عليها أحيانا عوائد النطق في اللغة التي تركها " .[2]

وقد ذكر الجاحظ أمثلة عديدة أظهر فيها أثر الطرائق النطقية للشعوب التي اعتنقت الإسلام على نطقهم بالعربية مما يبين مدى التأثير والتأثر بين البيئة الأصلية ، والبيئة الجديدة التي انتقل إليها بعد اعتناق الإسلام وإتقان العربية . يقول : " وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظة متخيرا فاخرا ومعناه شريفا كريما ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي ، وكذلك إذا تكلم الخرساني على هذه الصفة فإنك تعرف مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه أنه خرساني ... ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن تجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم وسفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاما ، وكذلك النبطي القح بخلاف النبطي المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ؛ لأن النبطي القح يجعل الزاي سينا ، فإذا أراد أن يقول زورق . قال : سورق ، ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول مشمعل . قال: مشمئل ، والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن

---

[1] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ٩٨ .

[2] اللغة ٨١ ، ٨٢ .

تقول ناعمة وتقول شمس ثلاث مرات متواليات .[1]

كذلك بين الجاحظ أن العربي قد يتأثر بالعجمي في لكنته ؛ لنشأته معه كزياد الأعجم وقد كان خطيبا أو شاعراً أو كاتبا . قال أبو عبيدة كان ينشد قوله :

فتى زاده السلطان في الود رفعة ∴ إذا غير السلطان كل خليل

قال : كان يجعل السين شينا والطاء تاء فيقول :

فتى زاده الشلتان في الود رفعة .[2]

فالعجمي يتأثر ببيئته وبيئة من انتقل إليه ، والعربي كذلك وإن غلبت عليه بيئته وطبع بطبعها إلا أنه يتأثر ببيئة من عاش في كنفهم ونشأ في أحضانهم في عاداتهم النطقية .

وإذا كان للعوامل الطبيعية أو الجغرافية ، والعوامل الفسيولوجية أثر في لغة المجتمع، فإن الظروف الاجتماعية لا تقل عن ذلك أثراً . فالظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعا من اللهجات الخاصة كتلك التي نراها بين أصحاب حرفة من الحرف أو بين اللصوص وطريدي القانون، أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لسبب ديني أو سياسي.[3]

فكل قوم لهم قوانينهم وطرقهم الخاصة في معيشتهم وتفكيرهم سواء في ذلك الشعوب المختلفة وطبقات الشعب الواحد ، فكل شعب له ملامح ثقافية وعادات وتقاليد خاصة تختلف عن الآخر . فالمجتمع الإنجليزي غير المجتمع الفرنسي غير الأمريكي أو الرومي أو العربي في طريقة معيشته وقوانينه العامة والخاصة. والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الأرستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية والزراعية وغيرها من أرباب المهن المختلفة ، وبقدر ما يوجد من تلك المظاهر تتفرع لغات المجتمعات وتختلف ... كما أن تغير الأحوال التي تعيش فيها الجماعة تنعكس آثارها

---

[1] البيان والتبيين ١ / ٥١ ، ٥٢ .

[2] السابق نفسه .

[3] في اللهجات العربية ص ٢٠ .

على اللغة ... فالعرب عندما خرجوا من جزيرتهم إلى الأقطار المجاورة بعد الفتح الإسلامي قد عرى لغتهم بعض التطور ، بل تشعبت إلى لهجات متنوعة . [1]

ومن كل ما تقدم نستطيع أن ندرك أن اختلاف المكان وتغير الأحوال واختلاف الظروف الاجتماعية وتنوعها كانت له آثاره في لغة الجماعة مما جعلها تتفرع إلى لهجات عدة متباينة فيما بينها في الخصائص والسمات لذا يمكننا القول أن للمجتمع أثره البالغ في اللغة ويمكن تحديد هذا الأثر فيما يلي :

أولا : اختلاف اللغة أو اللهجة باختلاف طبقات الناس :

تلعب اللغة دورا ذا أهمية عظمى في الجماعة الاجتماعية مهما كانت ، ومهما كان مقدار امتدادها . فاللغة أوثق العرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة . وهي على الدوام رمز ما بينهم من تشارك وحارسه الأمين . وأية آلة أفعل من اللغة في توطيد وجود الجماعة ؟ فاللغة بمرونتها وتنوع حياتها ولطف سرياتها واختلاف استعمالها وسيلة للاتفاق بين الجماعة وعلامة لأعضاء هذه الجماعة بها يعرف بعضهم بعضا ويهرع بعضهم إلى بعض . فكل عضو في الجماعة يشعر بأنه يتكلم لغة معينة ليست لغة الجماعات المجاورة . [2]

وما اللغات الاجتماعية الخاصة أو الطبقية إلا صورة صادقة لتحقيق التمايز الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد في جميع اللغات . إذ يمثل التركيب الطبقي محورا رئيسيا يستند إليه كثيرا في تفسير معظم الظواهر الاجتماعية ... وتعد التفاوتات الطبقية ظاهرة طبيعية وقائمة بكافة المجتمعات ولا يتبدى خطرها إلا إذا أصبحت شاسعة وتمكنت من تقسيم المجتمع وتصنيفه إلى أشكال طبقية تزداد الفوارق فيما بينها . [3]

---

[1] اللهجات العربية نشأة وتطورا ، ص ٤١ ، ٤٢ بتصرف .

[2] اللغة ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

[3] التحضر دراسة اجتماعية ٢٦٠ .

وإذا كان الحديث عن اللهجات الاجتماعية بصورة مستقلة لم يتجاوز نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فإن الانشغال بالتنوعات أو اللهجات الاجتماعية له أصول قديمة تتمثل في إشارات عابرة إلى مواقعها الاجتماعية ونصيبها من الاهتمام والتقدير في المجتمع المعين ، كما هو الحال في لهجة قريش التي حظيت بمكانة عالية من الدارسين تعلو أنصبة صواحبها من اللهجات الأخرى ، ومن ثم حسبوها منطلقا إلى تشكيل اللغة الفصحى على ما يرى بعضهم ، ولهذه اللهجات الاجتماعية ذكر ملحوظ في أعمال بعض المفكرين في القديم كالجاحظ وابن خلدون ، وإن كان هؤلاء وأولئك لم يمنحوها هذه التسمية (الاجتماعية) ولم يفردوا لها مكانا خاصا في أعمالهم أو بحثا فيها مستقلا ، واكتفوا بنعتها لهجات دون تحديد أو تفريق بينها وبين اللهجات المحلية .[1]

ويرجع الفضل في دراسة اللهجات الاجتماعية (الحديثة) إلى طائفة من علماء اللغة وعلماء الاجتماع ، ويعتبر العالم (فان جنيب Van Gennep) الفرنسي من أشهر من اعتنوا بدراسة اللهجات الاجتماعية من علماء الاجتماع ، وقد برزت اللهجات الاجتماعية وتباينت بين الطبقات الاجتماعية المختلفة بالمجتمع من ناحية ، وبين المهن والطوائف الحرفية من ناحية ثانية . وتعتبر اللهجات الاجتماعية شعبا وفروعا للغة في البلد الواحد [2] . إذ يضم كل مجتمع طبقات مختلفة في البيئة التي يعيشون فيها من مدن وقرى ، وجبال وسهول ، ووسائل حياة متنوعة ، وهذه الطبقات ذوات حرف ومهن كثيرة وبينها تباين في نظم الحياة والتفكير.[3]

فالذي يؤدي إلى نشأة هذه اللهجات هو ما يوجد بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية ، ومناحي التفكير والوجدان ، ومستوى المعيشة ، وحياة الأسرة ، والبيئة الاجتماعية ، والتقاليد والعادات ، وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف .[4]

---

[1] علم اللغة الاجتماعي د / بشر ١٩٩ .

[2] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ١٣٠ .

[3] علم اللغة بين القديم والحديث ٢٢١ .

[4] علم اللغة د / وافي ١٨٨ .

وينعكس أثر هذا الاختلاف على اللغة كما ينعكس على غيرها من مظاهر حياتهم ، فأفراد كل طبقة يحتاجون إلى دقة التعبير وسرعته وإنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في حياتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم . وتعبر عن أمور تتصل بصنائعهم وأعمالهم [1] . إذ من المقرر أن اللغة تتجاوب دائما وباطراد مع أوضاع كل طبقة ، وتلبي حاجات كل قبيلة من هذه الفئات والطبقات وتولد من بناتها ما تقتضيه الظروف والأشياء الاجتماعية الخاصة بكل فريق . ومن ثم تبرز في المجتمع الواحد تنوعات مميزة ، تحمل في طياتها ملامح وسمات لغوية تفصح عن هوية أصحابها ، هي ما اصطلح على تسميتها (اللهجات الاجتماعية) . [2]

أما عن تفسير نشأة هذه اللهجات فقد ذهب بعض علماء الأثنوجرافيا إلى أنها لا تنشأ من تلقاء نفسها ، بل تخلق خلقا بالاتفاق بين أفراد الطبقة الواحدة وترتجل ارتجالا في ألفاظها ومصطلحاتها ، وقد أيدهم في ذلك بعض علماء اللغة .

ويعارض هذا الرأي علماء الاجتماع اللغوي ، ويرون أنه لا يقوم على أي سند عقلي أو تاريخي ، ويفسرون تلك النشأة بأنها تتكون تدريجيا من خلال الاجتماع الإنساني والتواصل اللغوي، إذ أنه من المسلم به أن اللغة وما يتفرع عنها من لهجات اجتماعية أو محلية هي من صنع المجتمع وليست من صنع فرد معين أو مجموعة أفراد ، بل هي وليدة الاجتماع الإنساني شأنها شأن اللغات المختلفة ، وإن كانت اللهجات الاجتماعية تقتصر كل منها على طبقة اجتماعية أو أبناء مهنة أو حرفة معينة مهما تدنت مستوياتها الاجتماعية . [3]

وعلى الرغم من تنوع هذه اللهجات لاشتمالها على طوائف مختلفة من البشر طبقا لاختلاف طبقاتهم بين عليا ووسطى ودنيا ، أو طبقا لتنوع ثقافاتهم ومهنهم وحرفتهم فإن لها خصائص عامة تشترك فيها جميعا أهمها ما يلي :

---

[1] السابق نفسه بتصرف .

[2] علم اللغة الاجتماعي د / بشر ١٩٨ .

[3] علم الاجتماع اللغوي ، د / السيد عفيفي ص١٣٢ .

١. أنها تشوه أصوات بعض الكلمات ، وقوانينها الصرفية ، فلكل منها اتجاه صوتي في نطق الكلمات [١] . ففيها يستطيع المتكلم بوجه خاص أن يسمح لنفسه بنطق الكلمات في صورة مختزلة ، لأنه يخاطب عددا محصورا من المتكلمين ، كلهم ممهد الذهن لفهمه ، وكلهم متفاهم معه مقدما . ومن ثم يجيء هذا العدد الضخم من حالات الحذف والإسقاط والتبسيط وحذف النهايات هذه العوارض الصوتية التي تجعل العامية الخاصة لا يفهمها إلا العارفون. ومن جهة أخرى نجد ظواهر التشابه والتخالف المكاني في العامية الخاصة المتكلمة ميدانا خصيبا لا يعترض انتشارها أية عقبة من القواعد . [٢]

٢. الاستعارة : إذ الاستعمال الاستعاري هو من الوسائل المحببة إلى العامية الخاصة ، وكذلك استعمال اسم العلم في وظيفة الاسم المشترك ، فالواقع أن الاستعارة والنقل يستعملان في العامية الخاصة بتواتر خاص ؛ إذ أن الاستعارات فيها تبلى بسرعة وتحتاج إلى كثرة التجديد ، حيث أن الغرض من استعمالها هو توسيع شقة الخلاف التي تفصل بين العامية الخاصة واللغة المشتركة والمحافظة على بقاء هذا الخلاف ؛ فلا يدهشنا إذن أن تستهلك العامية الخاصة من الاستعارات أكثر مما تستهلك أية لغة أخرى . [٣]

فالكلمات العامة لا تكاد تستخدم في الاستعمال بقيمتها العامة ، اللهم إلا إذا كان ذلك عند الفلاسفة ؛ فكل واحد من المتكلمين يطلقها على نوع خاص من أنواع النشاط [٤] . فالكلمات (مشغل ، عمل ، صنعة ، تصنيف ، عملية) تتخذ بالضرورة معنى خاصا في أفواه الذين يستعملونها وفقا لنوع المهنة التي تستخدم فيها هذه الألفاظ . فظاهره التخصص المعنوي تلك هي أساس العامية الخاصة . [٥]

---

[١] علم اللغة بين القديم والحديث ص ١٥٧ .

[٢] اللغة فندرس ٣١٩ ، ٣٢٠ .

[٣] السابق ٣١٧ ، ٣١٨ .

[٤] السابق ٢٥٦ .

[٥] السابق ٣١٧ .

٣. أنها تستمد كلمات أو مفردات من لغات أجنبية ، والمراد بالأجنبية كل ما ليس من اللغة المشتركة ، فيدخل في ذلك ما تنقله من اللهجات الخاصة الأخرى ، ومن كل اللهجات المتفرعة من اللغة المشتركة، فضلا عن اللغات الأجنبية التي تتكلمها الأقطار المجاورة ، فالعامية الخاصة الفرنسية على وجه العموم تحتوي على كلمات أجنبية قليلة العدد عربية غجرية ، يهودية ، ألمانية ، أما أساسها فمستعار من عناصر أهلية ، وفي اللهجات الخاصة المصرية ألفاظ مستمدة من لغات أجنبية حسب الطبقة أو الحرفة التي تتطلبها . [١]

٤. أنها قد تؤخذ من الكتب ، وهذا الأمر وإن كان فرديا في غالب الأحيان إلا أنه يعد إحدى الوسائل الاصطناعية التي تدخل في تكوين العامية الخاصة . [٢]

وبناء على ـــ ما سبق ـــ يتضح أن لغة الأمة في مجتمع واحد قد تتشعب إلى لهجات متباينة وذلك لتباين الطبقات والفئات الاجتماعية في المجتمع ، فقد تلمس في بلد ما وجود لهجة متمايزة للطبقة الأرستقراطية ، ولهجة لطبقة العمال ، والتجار ، والصيادين ، والسواحلية ، والريفيين ..إلخ وذلك يساعد على تولد اللهجات الخاصة المتماثلة لكل فئة والتي تشكل فروقا في الأوضاع الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، وظروف التربية ، ومستوى المعيشة والأنشطة المهنية التي يزاولها الأفراد . وتلعب كل لهجة دورا طبيعيا للناطقين بها في سرعة توصيل المعاني والدلالات ، والتعبير المناسب في أمور حياتهم ، ومثل هذه الوظائف التي تمارسها اللهجات لكل طبقة تساعد على تعزيز وضع لهجة كل فئة بين اللهجات الأخرى في المجتمع . [٣]

لكن مما يجب التنبيه عليه أنه ليس معنى اختلاف اللهجات باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد أن الخلاف اللغوي بين هذه الطبقات كثير بحيث يصعب التفاهم بين أبناء هذه الطبقات المختلفة ، بل إنه يرتبط بكلمات معينة في معاني محددة وذلك لأن بنية المجتمع وحدة

---

[١] السابق ٣١٨ ،وعلم اللغة بين القديم والحديث ١٥٩ .

[٢] السابقان نفسهما .

[٣] علم الاجتماع اللغوي د/ السيد شتا ١٨٦ ، ١٨٧ .

متماسكة أو نسق اجتماعي يتكون من أجزاء مترابطة ، يعتمد بعضها على بعض ، ويدخل كل جزء في عدد من العلاقات الضرورية المعقدة مع الأجزاء الأخرى ، فالحياة الاجتماعية يسودها درجة معينة من الترتيب والتماسك والثبات والاستقرار والاستمرار لا يتيسر للفرد بدونه أن يشبع أبسط حاجاته الأولية أو الثانوية . .[1]

ثانيا : البيئة أو المجتمع بين الإنعزال أو توثيق الصلات وأثر ذلك في اللغة :

تختلف اللهجات في الأمة الواحدة تبعا لاختلاف أقاليمها وما يحيط بكل منها من ظروف وما يمتاز به أهله من خصائص ، وقد أطلق علماء اللغة على هذا النوع من اللهجات اسم اللهجات المحلية ، وتعمل كل لهجة منها على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها ، إلا أنه قد يتاح لبعضها فرص للاحتكاك بأخرى من أخواتها فتؤثر فيها وتتأثر بها على اختلاف بينهما في نسبة هذا التأثر طبقا لما بين اللهجتين أو اللهجات المتجاورة أو المحتكة بعضها ببعض من اختلاف في الثقافة والقوة والنفوذ.

والحق أن طبيعة المخالطة والالتقاء لا تسمح بالانتقاء والتخير للأحسن فقط ، بل إنها لتجلب على هؤلاء المخالطين ألفاظا وظواهر لغوية يمكن لا توصف — كما رأى ابن فارس والفارابي — بالحسن والصفاء والفصاحة والسهولة وبخاصة قريش ، إذ كانت تسكن مكة وما حولها وهم أهل المدن ، وقريش تجار والتجارة تفسد اللغة ، وكان ذلك مما عيب على قريش نفسها فيما بعد ، فرفض العلماء الأخذ بلغتها أو لغة حاضرة الحجاز عموما .[2]

وقد بين ابن جني (رحمه الله) أثر هذا العامل وهو الاختلاط في لغة العرب فقال : إن العرب وإن كانوا كثيراً منتشرين ، وخلقا عظيما في أرض الله — غير متحجزين ولا متضاغطين ، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة ، فبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعي أمر لغته ، كما يراعي ذلك من مهم أمره ، فهذا هذا "[3].

---

[1] الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي ٢٧ ، ٢٨ .

[2] المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ص٥٥ .

[3] الخصائص ٢ .

وعلى هذا فالاختلاط يعد عاملا اجتماعيا مؤثرا في حياة اللغة أو اللهجة وتطورها وتحديثها عن طريق الاقتباس ، وملاحظة ما يستجد من ألفاظ ودلالات لغوية تؤدي إلى تطور اللغة أو اللهجة .

أما العزلة فلها – أيضا – دورها حيث إنها عامل مهم من عوامل صيانة اللغة والحفاظ عليها من التغير أو الفساد ، إذ لا تدخر البيئات المنعزلة وسعا في محاربة عوامل الابتداع والتغيير في داخل حدودها ، بفضل العلاقات الوثيقة التي تربط بين الناطقين وبيئتهم . فالظروف الطبيعية والجغرافية قد تؤدي إلى عزلة مجتمع عن غيره من اللغات واللهجات الأخرى.

ولهذه العزلة أهميتها في الحفاظ على سلامة اللغة أو اللهجة يقول فندريس :" إن أصلح الأماكن للمحافظة على سلامة اللغة هي الأقاليم الجبلية وأطراف أشباه الجزر حيث يضؤل التأثير الخارجي . ومن ثم احتفظت البسكية بطابعها لانحصارها بين وديان البرينية ، وكذلك البريتانية لتحصنها وراء المحيط " . [1]

ولذا حدد أبو نصر الفارابي البيئات العربية التي عنها نقلت اللغة ، وعنهم أخذ اللسان العربي الفصيح بأنها سكان البراري البعيدين عن التأثر بغيرهم ممن يسكنون في أوسط بلادهم، بخلاف الحضر أو الذين يسكنون في أطراف بلادهم فإنهم لا يؤخذ عنهم لمخالطتهم غيرهم من الأمم، وسرعة انقياد ألسنتهم لألفاظ سائر الأمم المطيفة بهم . [2]

فللبيئات المنعزلة ظواهر لغوية تكاد تنفرد بها ولا توجد في غيرها ، لعدم دخولها في صراع لغوي مع غيرها نتيجة الاختلاط بطرقه المتنوعة . كما في انفراد قبيلة عبد القيس وهي من ربيعة بزيادة همزة الوصل في أمر الفعل الثلاثي المضعف عند إدغامه ، فقد حكى الكسائي عنهم أنهم يقولون : ارد ، واغض ، واقر بهمزة الوصل [3] . وذلك لأنهم ينفردون بدخول ألف الوصل على

---

[1] اللغة ٤٢٨ .

[2] المزهر ١ / ٢١١ .

[3] التصريح بمضمون التوضيح ٢/ ٤٠١ .

متحرك ، ويخالفون بذلك سائر القبائل العربية يقول ابن خالويه : " ليس في كلام العرب ألف وصل تدخل على متحرك إلا ثلاثة مواضع قولهم : اسل زيدا لغة عبد القيس ، حكاها أبو زيد والفراء. يريدون اسأل ..... " .[1] وهكذا يساعد انعزال اللغة أو اللهجة على خلودها وبقائها .[2]

وللبيئات المنعزلة خصائص وسمات لها أثرها الواضح في اللغة ومنها ما يلي :

أ) اختلاف اللغة باختلاف الجنسين (المذكر والمؤنث) في المجتمع الواحد .

قد يحدث في بعض الشعوب التي يقل فيها اختلاط الرجال والنساء ، ويعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الجنس الآخر تحت تأثير نظم دينية وتقاليد اجتماعية ، أن تختلف لهجة الرجال عن لهجة النساء اختلافا يسيرا أو كبيرا ، وتكثر مظاهر هذا الاختلاف كلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين ، حتى إنه ينشأ أحيانا من جراء ذلك لكل منهما لهجة تختلف اختلافا بينا عن لهجة الآخر ، أو تشتمل لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تستخدم في اللهجة الأخرى ، وقد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدائية على الأخص [3] ، وهي جماعات منعزلة نسبيا ، وبسيطة ، وصغيرة ينعدم فيها التطور ، ويتوفر فيها قدر من الخشونة.[4] وهي أقرب ما يكون إلى لغات البدو ؛ لأنها تقدم لنا حالة لغوية ليس فيها نصيب لما نسميه بالمدنية ، فهي مفعمة بالفصائل المشخصة والخاصة وبذلك تختلف عن لغات المتحضرين .[5]

فالنساء في بعض المجتمعات لا يستعملن اللغة التي يستعملها الرجال ، وحتى عندما يفهمن الكلمات التي يستعملها الرجال لا يكون لهن الحق في النطق بها ، فلابد إذن من وجود نوعين من

---

[1] ليس في كلام العرب ٨٩ .

[2] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ١٢٦ .

[3] اللغة والمجتمع ١٨٧ .

[4] اللغة ٤٢٩ .

[5] الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي ١٢٢ .

المفردات متوازنين تماما حتى يصير لكل شيء اسمان تبعا لجنس المتكلم . فعند الكاريبيين مثلا يتكلم الرجال اللغة الكاريبية ، والنساء الأرواكية .[1]

ويخف هذا الاختلاف اللغوي كلما خفت قيود الاختلاط بين الجنسين ، فتقتصر مظاهره على بعض فروق يسيرة في الأصوات والمفردات والجمل والأساليب ، كما هو مشاهد في كثير من المناطق المصرية في العصر الحاضر .[2]

فللمرأة في بعض المجتمعات العربية المنعزلة لغة مستقلة تختلف عن لغة الرجال ، إذ لها بعض من الخصائص اللغوية التي تميز كلامها ، وهي خواص تنبئ في جملتها عن طبيعتها وموقعها في بيئتها . إذ تميل إلى ترقيق الأصوات وبخاصة في تلك الأصوات التي لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم كالصاد والضاد والطاء والظاء فتنطقها مرققة بصورة تماثل نطق نظائرها المرققة وهي السين والدال والتاء والذال ، ولها نمط خاص في تنغيم الكلام وموسيقاه وتزمينه ، وفي عدم اختيار الألفاظ والكلمات ذات الدلالات النابية أو المسفة أو الجارحة للشعور العام ولشعور جنسها بوجه خاص . ولأنها أقوى استقرارا من الرجل في عاداتها الاجتماعية فإن ميلها العام إلى المحافظة يجعلها أكثر تمسكا بالأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع ومن ضمنها الأعراف والتقاليد اللغوية ؛ حفاظا على شخصيتها ورغبة في تأكيد مكانتها .[3]

ومما يؤكد ذلك ما جاء في اللسان عن أبي عدنان قال : " سمعت التميميات يقلن :الهوش والبوش : كثرة الناس والدواب "[4] . فهذا الأسلوب عزاه أبو عدنان إلى التميميات دون التميميين ، وما ذلك إلا دليل على استحكام حلقات الانفصال بين الجنسين في بيئة تميم لأسباب اجتماعية أو غيرها .

---

(1) اللغة ص٣٢٢ .

(2) اللغة والمجتمع ١٨٧ .

(3) علم اللغة الاجتماعي د / بشر ٢٠٦ ــ ٢٠٩ بتصرف .

(4) لسان العرب (هـ و ش) .

فالاختلاف اللغوي بين الرجال والنساء رغم أنه محدود وغير ملاحظ بوضوح كبير في بعض المجتمعات إلا أنه قائم ومؤثر في نطق الكلمات ، وفي تركيب الجمل ، والتعبيرات والأساليب بل وفي نطق بعض الأصوات كما سبق .

ب) اختلاف اللهجة بين الصغار والكبار لانعزال الأطفال :

الانعزال الناشئ وجيل الكبار حولهم لا يتيح الفرص الكافية لتلقي اللغة عن الآباء والأمهات وتكرر سماع الألفاظ والعبارات ، مما يترتب عليه نقص في التقليد والمحاكاة . ففي مثل هذه البيئات قد تدعو ظروف الحياة ومشقة العيش إلى انشغال الآباء والأمهات عن أطفالهم فلا يتصلون بهم إلا لماما . وهنا ينشأ الطفل بعيدا عن أهله بعض البعد مستقلا عنهم بعض الاستقلال فلا يسمع منهم إلا قليلا ، ولا يتلقي عنهم إلا نادرا ... بل إن التقاليد في بعض البيئات البدائية تأبى اتصال الطفل بأبيه اتصالا وثيقا ، فلا يكاد يتحدث معه . فينشأ الطفل معتمداً على نفسه حينا وعلى الصغار من أمثاله حينا آخر ، يقيس ما لم يسمع على ما سمع ، وقد يخطئ في هذا القياس ويذيع هذا الخطأ بين لداته من الأطفال ، وينطق بالأصوات منحرفة بعض الانحراف فلا يجد من يقوم له نطقه ، ويشب عليه دون شعور منه أو ممن حوله من الكبار [1] . فكثيرا ما يخطئ الطفل فيقول (أحمرة) بدلا من حمراء بالقياس الخاطئ على نحو صغير وصغيرة ، بتوظيف التاء المربوطة للدلالة على فكرة التأنيث [2]. وكثير من ظواهر القلب والإبدال تحمل أخطاء الأطفال في البيئات المنعزلة حيث لا يجد الطفل وقتا كافيا لإصلاح أخطائه لانشغال أبيه و أمه بكسب العيش فتشب هذه الأخطاء معه فتصبح ظاهرة معترفا بها من ظواهر اللغة ، وتلك هي سنن التطور اللغوي. [3]

---

[1] في اللهجات العربية ٨٧ .

[2] علم اللغة الاجتماعي ٢٠٥ .

[3] في اللهجات العربية ١١٩ بتصرف .

جـ) المسكن :

يؤثر المسكن في تطور اللغات . فإذا كان السكان مخلخلين متفرقين فإن هذا التبدد يساعد على الانقسام إلى لهجات. وإذا كان السكان يعيشون متجمعين في محلات ومدن، فإن هذا النوع من الحياة يساعد على خلق اللغات المشتركة التي ليست في واقع الأمر إلا منزلة وسطى بين لغات الطبقات الاجتماعية المختلفة التي تضمها المحلة أو المدنية [1] . فالمسكن مظهر من مظاهر العزلة أو الاختلاط بين الجماعات ، فيؤثر في لهجة السكان سلبا أو إيجابا.

وعلى هذا فإن الاختلاط الاجتماعي والعزلة يعدان عاملين اجتماعيين ذوى خطر بالغ في حياة اللغة والتأثير فيها ، تغيرا وتنوعا كما في حال الاختلاط ، ووحدة أو حفاظا وحماية كما في حال العزلة ، ولا غلبة لأحد الاتجاهين على الآخر بطبيعته ، وإنما الغلبة للعوامل التي تساعد على هذا الاتجاه أو ذاك . [2]

ثالثا : التغير الاجتماعي :

التغير الاجتماعي ظاهرة قديمة قدم المجتمع الإنساني وهو ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشئون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية والتي تقضي إلى تغير دائم. ويتضمن الظواهر التي تحدث أثرا في نظم المجتمع وتؤثر في العلاقات بين الناس وفي علاقاتهم بالنظم الاجتماعية القائمة في المجتمع .

وللتغير الاجتماعي عوامل مختلفة تتفاعل والقوى المصاحبة لها مع بعضها تفاعلا مستمرا لإحداث التغيير [3]. وقد أفاض علماء الاجتماع في الحديث عنها. [4]

---

[1] اللغة ٤٢٨ .

[2] علم اللغة الاجتماعي ١٢٨ بتصرف .

[3] علم الاجتماع (دراسات نظرية وتطبيقية في تنمية وتحديث المجتمعات النامية) . د / صلاح العبد ٣٧ وما بعدها بتصرف .

[4] السابق ٤٥ وما بعدها .

ولهذا التغير أثره الواضح في اللغات عامة ومن بينها العربية ، لاسيما بعد انتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، وما أحدثه الإسلام في نفوسهم من مفاهيم جديدة ترتبط بالدين الجديد ، وما أماته من نظم كانت سائدة في المجتمع الجاهلي فماتت ألفاظ كانت مستعملة في ألسنتهم كالمرباع والنشيطة والفضول وقولهم للملك : أبيت اللعن ، وتغيرت مدلولات بعض الألفاظ لتدل على مفاهيم جديدة ترتبط بالدين الحنيف . وقد تحدث ابن فارس (رحمه الله) عن الأثر الذي أحدثه الإسلام في لغة العرب نتيجة للتغير الاجتماعي الذي أحدثه الإسلام فقال : " كان العرب في جاهليتهم على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكم وقرابينهم ، فلما جاء الله ــ جل ثناؤه ــ بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت فعفى الأخر الأول ... فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشؤوا هم عليه كأن لم يكن، وحتى تكلموا في دقائق الفقه ، وغوامض أبواب المواريث ، وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دون وحفظ حتى الآن " . [1]

فاللغة العربية عاشت في العصر الجاهلي معبرة عن كل ما يحتاجه العربي في حياته البدوية البسيطة ، وكانت في ذلك محدودة بما في مجتمع العرب من ثقافة معينة ، وحضارة محدودة . أما بعد مجيء الإسلام فقد تغيرت صورتها تحت تأثير هذا الأمر العظيم ، وذلك راجع إلى التغير الجذري الذي أحدثه الإسلام في مجتمع الجزيرة العربية ، فما كان من اللغة العربية إلا أن تجاوبت لهذا التغير ، واتسعت له ، ... كذلك تطورت حياة المجتمع في العصر العباسي ، وبدأت حركة الترجمة من اللغات الأخرى ولم تعجز العربية عن استيعاب هذا الفكر الأجنبي ، وإنما عبرت عنه أدق تعبير . [2]

فتغير النظام الاجتماعي الذي تعيش فيه الأمة يعرض بعض الألفاظ ومفاهيمها للتحول المعنوي كما سبق ، ولهذا التغير أثره الواضح في تطور اللغة عبر الزمان ، إذ اللغة تساير هذا التغير

---

[1] الصاحبي ٧٨ .

[2] في علم اللغة العام ٤٧ ، ٤٨ بتصرف .

ويبدو ذلك في بروز مفردات لغوية لم تكن شائعة الاستعمال واحتلالها مركز الصدارة في الساحة اللغوية لمجاراة التغير الاجتماعي ، كما حدث في مصر في أعقاب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واختفاء كلمات ومفردات وتنحيتها عن الاستخدام اللغوي فقد توقف استخدام الألقاب (بك ، باشا ، صاحب العزة ....) على حين شاعت مفردات جديدة مثل : التقدمية والرجعية ... إلخ .[١]

فالمجتمع يؤثر في اللغة ، وأي تقدم يحرزه في أي مجال من مجالات الحياة أو في جميعها سرعان ما ينعكس على اللغة .[٢]

واللغة تتأثر بحضارة الأمة ، ونظمها وتقاليدها ، وعقائدها واتجاهاتها ودرجة ثقافتها ، ونظرها إلى الحياة ، وأحوال بيئتها الجغرافية وشئونها الاجتماعية العامة .[٣]

---

[١] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ٩٣ ، وعلم اللغة بين القديم والحديث ٢٢٣ ، ٢٢٤ بتصرف .

[٢] في علم اللغة العام ١٧٧ .

[٣] علم اللغة د / وافى ٢٥٧ .

المبحث الثاني

البيئة بين البدو والحضر

الأرض التي يعيش عليها البشر مختلفة ، ففيها الجبال والسهول والوديان ، وفيها الأراضي الزراعية و القاحلة ، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف اللغة ، فإذا انتشرت جماعة لغوية تعيش في مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فإن ذلك يؤدي ـــ مع تطاول الزمن ـــ إلى انشعاب لغتها الواحدة إلى لهجات . وإذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسميا وخلقيا ونفسياً كما هو الواقع ، فإنها تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام .[1]

واللغة العربية ـــ وهي إحدى لهجات اللغة السامية ـــ كانت واحدة عند الناطقين بها ثم زادت وانقسمت بتأثير الحضارة والتطور ، إذ إن العرب لم تستمر حياتهم على طريقة واحدة وفي حدود لا تتغير ، بل إنهم كبقية البشر تتغير أحوالهم الاجتماعية وما مر بهم من ثقافات فدعاهم ذلك إلى تطور لغتهم لتناسب مظاهر حياتهم الجديدة . وقد أخذت العربية في التطور ـــ كذلك ـــ لانتقالها من البادية إلى الحاضرة فبعد أن كانت في بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح ، بدأت تنتقل بانتقال أهلها إلى مجتمع حضاري ، فتتغير على الألسنة وتتطور تبعا لذلك على الرغم من نهجهم طريق السلف .[2]

ولذا قسم العلماء المجتمع العربي في الجاهلية إلى بيئتين تكادان تكونان مستقلتين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية هما : البدو والحضر ، أو أهل وبر وأهل مدر ، يتساوى في هذه الحال عرب الشمال وعرب الجنوب وعرب جميع أنحاء جزيرة العرب الأخرى .

فالبيئة البدوية متنقلة لا تكاد تستقر على حال ، إذ يعيشون في الصحراء يحبون الحرب ويغير بعضهم على بعض ، بخلاف بيئة الحضر الذين يعيشون في المدن كمكة ، والطائف ، وخيبر

---

[1] اللهجات العربية نشأة وتطورا ص٤١ .

[2] السابق ٤٥ .

والمدينة، ويثرب ، ومدن اليمن الكبرى ، وبلاد الحيرة جنوب العراق ، وعلى حدود الصحراء ، وبلاد الغساسنة جنوب الشام وهم يعتمدون على حرث الأرض والتجارة .[1]

وقد أرجع ابن خلدون تصنيف المجتمعات الإنسانية إلى أهل بدو وأهل حضر إلى عامل اقتصادي يتمثل في طريقة المعاش والاختلاف في مصادر الإنتاج والمهنة فلاحظ أن الناس يتوزعون على فئتين أو نوعين بحسب طرقهم في المعاش ، فمنهم من يستعمل الفلح والغراسة والزراعة ، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والنحل والدود والاستفادة بنتاجها ، واستخراج فضلاتها ، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البداوة أو البادية ؛ لأن مناشئهم الاقتصادية تلك لا يتسع لها الحضر حيث لا تتوفر المزارع للإنبات والمراعي للحيوان وهذا يعني اختصاص هؤلاء بالبدو أو البادية أمر ضروري ، والمجتمع البدوي وهو يعيش هذه الظروف الاقتصادية لا يكون اجتماع أعضائه وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم إلا بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه . ويرجع هذا إلى عجز أعضاء ذلك المجتمع عن توفير ما وراء ذلك بخلاف أهل الحضر الذين اتسعت أحوالهم في المعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغني والرخاء فإن ذلك ما يدعوهم إلى السكون والدعة والتعاون على تحقيق ما يزيد عن الضروري للمعاش ... [2]

ورغم أن هنالك عوامل سياسية واجتماعية قربت بين البيئتين في العربية قبل الإسلام من مواسم الحج ، وأسواق للتجارة ، فقد ظل النظام في البيئة البدوية قبليا ، فيه الاعتزاز بالقبيلة ورئيسها وما يمكن أن يكون فيها من تقاليد خاصة تمسكوا بها وذادوا عنها . ولم يتوثق الاتصال بين هاتين البيئتين إلا قبيل الإسلام بعد أن ظلت الجزيرة عشرات من السنين قبل هذا مفككة الصلات، تكونت فيها جماعات من الناس استقلت بحياتها وتقاليدها وانعزلت بعضها عن بعض .[3]

---

[1] في اللهجات العربية ٣٧ ، واللهجات العربية في التراث ص٩٠ بتصرف .

[2] علم الاجتماع ١٣٠ ــ ١٣١ بتصرف .

[3] في اللهجات العربية ٣٧ .

وتصنيف المجتمع العربي الجاهلي أو القديم إلى بدو وحضر لا يعتمد في حقيقته في الأغلب على السكنى في منطقة معينة من شبه الجزيرة العربية ، فأجزاء الجزيرة كلها تشترك في صفتي البداوة والحضارة ، فكلتا الصفتين تتخلل في كل مكان من الجزيرة ، فمناطق الحجاز وإن اتسمت بالحضارة فليس معنى هذا أنها لا تشتمل على البداوة ، ومنطقة نجد وإن غلبت عليها البداوة فليس معنى هذا أنها لا تشتمل في بعض أجزائها على الحضارة .... فالعرب في جاهليتهم لم يكونوا مجتمعا واحدا بل كان مجتمعهم يمثل شطرين ، وقد نرى قبيلة واحدة يسكن جزء منها مستقرا في الحضر بينما باقيها لا يزال على بداوته في أهل الوبر [1] . كما سنرى في الفصل الثاني إن شاء الله عند الحديث عن مفارقة البيئة لمعتاد حالها .

خصائص المجتمعين البدوي والحضري :

لكل من المجتمعين البدوي والحضري خصائص معينة يتسم بها ، وملامح عامة يتميز بها تلقى بظلالها على طريقة معاشه وتحدد السمات العامة للهجته .

فللمجتمع البدوي خصائص عامة ومشتركة تجمع مختلف المجتمعات البدوية بصرف النظر عن بعدها المكاني أو الزماني ، ومن أبرز تلك الخصائص : البساطة ، وانعدام التخصيص ـ فيما عدا التخصص القائم على الجنس أو الطبقة ـ وصغر حجم الوحدات الاجتماعية ، وتشتت السكان وعدم استقرارهم بشكل دائم في نطاق مكاني معين ، هذا فضلا عن تشابه البناء الاجتماعي لمختلف المجتمعات البدوية ابتداء من الأسرة أو العائلة أصغر وحدات البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ، وانتهاء بالقبيلة أساس ذلك البناء . [2]

كذلك يعد الترابط بين أفراد المجتمع البدوي والتمسك بمبادئه وقوانينه من أبرز خصائصه . فالخروج على قواعد المجتمع القبلي ومقدساته هو من أبشع الجرائم في المجتمعات البدوية ، وتقابل بعقوبات كثيرة أخفها الطرد مع إهدار الدم ، وأشدها القتل مع التنكيل بالجثمان ، ومن تلك

---

[1] اللهجات العربية في التراث ص ٨٩ بتصرف .

[2] البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ٥٥ ، ٥٦ .

الجرائم المجتمعية الخروج على القواعد المرعية في الزواج أو في الرعي أو الصيد ، أو إهانة مقدسات القبيلة علاوة على جرائم عدم الولاء للقبيلة بصورة أو بأخرى .[1]

فالروابط الاجتماعية في المجتمعات البدوية تتميز كما يقول فرديناند تونيز (Ferdinand Toennis) بالوحدة التفاعلية والمشاركة الجماعية في قيم واحده وتكامل المسئوليات والالتزامات الجماعية ، وعلى هذا فإن أي لون من ألوان التعديل لن يتناول أفرادا وإنما يواجه وحدات تشتد صلابتها أو تخف مقاومتها وصداها بحسب تغلغل جذور الأفكار والعادات السائدة إلى أعماق بعيدة الأغوار وإلى تراث تقليدي ضارب بجذوره .[2]

أما المجتمع الحضري فمن أبرز خصائصه أنه يتطور ويتغير بدرجة أسرع من المجتمعات الريفية (أو البدوية) إذ يتميز بصفات مثل التجمع ، وهو تجمع أفراد يشتركون في أوجه نشاط مختلفة في مكان واحد يباشرون فيه عملا صناعيا مميزا لهم .[3]

كما يتسم هذا المجتمع بفرض الاستقرار والتجمع الذي يؤدي إلى وجود مصالح متبادلة بين السكان الأمر الذي أدى إلى قيام اتصال مستمر بينهم وإلى تشكل نمط من العلاقات الاجتماعية يتسق مع النسيج الكلي للمجتمع . فما من شك أن المجتمعات التي امتهنت حرفة الصيد أو الرعي ودفعها ذلك إلى التنقل والترحال يختلف نمط العلاقات الاجتماعية بها عن الأخرى التي صارت الزراعة ــ مثلا ــ هي المهنة الأساسية لها .[4]

أثر البادية والحضر في لغة العرب ولهجاتها :

اللغة سجل يعي حضارة الأمة على مدى تاريخها الطويل ، ويمكن ــ على هذا الأساس ــ فهم طبيعة حياتها ، ومعرفة الكثير عن وجودها الحضاري . فالعربية ــ في أول حياتها ــ كانت

---

[1] السابق ٢٠٥ .

[2] علم الاجتماع ٨٥ ، ٨٦ .

[3] السابق ١٢٥ .

[4] التحضر (دراسة اجتماعية) ص ٣٣ ، ٣٤ .

تعيش حياة بدوية خالصة في صحراء الجزيرة ، ولذا تحمل ألفاظها سمات تلك المرحلة . وبعد تحضر العرب نقلوا ألفاظها من معانيها القديمة التي كانت تحمل طابعها البدوي البدائي البعيد عن الفكر والمعاني الكلية ، والمرتبط بالمحسوس أكثر من ارتباطه بالمعقول إلى معاني جديدة تعبر عن الواقع الجديد . فكلمة (المجد) مثلا كانت تطلق قديما على امتلاء بطن الدابة بالعلف ، وأطلقت بعد تحضر العرب على امتلاء الشخص بالخصال أو المعاني النبيلة ، يقال : إنما جد القوم إذا تفاخروا و أظهروا مجدهم. [1]

فاللغة صورة لحياة الأمة ترقى وتنهض برقيها ، وتبقى جامدة بانعزال أهلها كل حسب بيئته وما اعتراها من انعزال ، أو تطور في مجال من مجالات الحياة .

ومما لاشك فيه أن للبيئة ـــ بادية كانت أو حاضرة ـــ أثرا غير منكور في لسان أهلها ، كما أن لها أثراً في طبائعهم وعاداتهم ، وقد لحظ ذلك قدامى نقاد العرب ، فقال القاضي الجرجاني: "سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك ، وترى الجافي الجلف منهم كز الألفاظ ، معقد الكلام ، وعر الخطاب ، حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته ونغمته ، وفي جرسه ولهجته ، ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك ، ولأجله قال النبي ـــ ﷺ ـــ " من بدا جفا " [2] ولذلك نجد شعر عدى ـــ وهو جاهلي ـــ أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما آهلان ؛ لملازمة عدى الحاضرة وإيطانه الريف، وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب " . [3]

---

[1] جمهرة اللغة ١ / ٤٥٠ ج د م .

[2] الحديث في مسند أحمد بن حنبل : " عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـــ من بدا جفا ومن اتبع الصيد عمل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا " ٢ / ٣٧١ ، حديث رقم ٨٨٢٣ .

[3] الوساطة بين المتنبي وخصومه ص١٨ .

ولا أدل على بيان هذا الأثر من قول د / على عبد الواحد وافي : " انتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ، ويسمو بأساليبها ، ويوسع نطاقها ، ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ، ويكسبها مرونة في التعبير والدلالة ، وإن موازنة بين حال اللغة العربية في عهد بداوة العرب قبل الإسلام وحالتها في عهد حضارتهم الإسلامية ، أو بين ما كانت عالية عند أهل البادية في عصر ما ، وما كانت عليه في الحضر في نفس هذا العصر ، لأصدق برهان على ذلك . وإن البدوي الذي لم يلهمه شيطانه في مدحه للأمير أحسن من قوله :[1]

أنت كالكلب في حفاظك للعهـ .. ـد وكالتيس في قراع الخطوب

قد استطاعت قريحته ، بعد أن هذبتها حضارة بغداد أن تجود بمثل قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولاأدري[2]

فلكل من البيتين طبقا لتقسيم المجتمع العربي الجاهلي إلى بدوي وحضري ، وهو التقسيم الذي تؤمن به الدراسات اللهجية في الجزيرة العربية ، صفات لغوية ـ وصوتية خاصة ـ تختلف عن الأخرى ، ولذلك فإن بعض المؤرخين الذين نظروا إلى العصر الجاهلي نظرة واحدة ووصموه بالبداوة ـ ولم يراعوا تلك الفروق الشاسعة في المجتمع ـ قد جانبوا الحقيقة وضلوا في أحكامهم.[3]

ويمكن تحديد هذا الأثر (أثر البيئة البدوية أو الحضرية في اللغة) فيما يلي :

أولا : أن البيئات البدوية أفصح من الحضرية ، فعلى قدر توغل القبيلة في البداوة تكون

---

[1] الشاعر هو على بن الجهم في المؤتلف والمختلف ص٧٠ ، و الحماسة المغربية ١٠٠٢/٢ .

[2] اللغة والمجتمع ١١ ، ١٢ ، وعلم اللغة ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

[3] اللهجات العربية في التراث ٩٠ .

فصاحتها ، وذلك لحفاظها على اللغة بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لإنعزالها . ويبدو ذلك واضحا في قول الفارابي : " .... والذين نقلت عنهم اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، وعليهم أتكل في الغريب ، وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم . وبالجملة ، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ، ممن يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم ... " .[1]

وعلى هذا الأساس نجد ابن جني (ت ٣٩٢هـ) قد وضع فصلا في كتابه الخصائص تحدث فيه عن تقسيم العرب إلى بدو أو مدر ، وحضر أو وبر ، مما يعني أن العلماء قد أخذوا بتقسيم اللغة إلى حضرية ؛ وبدوية ، وفيه بين أن لسان الحضر لا يعتد به في لغة العرب ولعله يقصد بذلك عند نهاية القرن الثاني الهجري ، وعلل ذلك بأنه قد عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ما يجعلها بعيدة عن الفصاحة ، خلافا للبدو الذين يعتد بلغتهم إذ استطاعوا أن يحافظوا على سلامة لغتهم حتى منتصف القرن الرابع الهجري.[2]

ويقول نولدكه : " ويصلح كل بدو الجزيرة العربية ، باستثناء الأماكن المتطرفة منها لأن يعدو أصحاب هذه اللغة العربية الصافية ، حتى بعد محمد – عليه الصلاة والسلام – بمائتي عام. وإن أعلام علماء النحو ، ليجعل من أول شخص قادم من البادية بإبله ، ذلك البدوى الذي لم يتعلم ، والذي لا يحفظ عشرين آية كاملة من القرآن الكريم ، ولا يعرف شيئا عن مفاهيم النحو النظرية ذلك البدوي يجعل منه النحاة حكما فاصلا في هل يجوز أن يقال كذا أو كذا في العربية.[3]

---

[1] المزهر ١/ ٢١١

[2] الخصائص ٢ / ٧ وما بعدها .

[3] اللغات السامية ٧٦ ، وفصول في فقه العربية ١٠٦ .

فالبدو وإن لم يكونوا في ثقافة هؤلاء العلماء الذين يأخذون اللغة عنهم إلا أن العلماء كانوا يعتقدون أن اللغة تجري في دمائهم وذلك لما يتميزون به فى كلامهم أو فى لغتهم .

فالنشاط الكلامي بصفة عامة يخلب البدو ويستهويهم ، ويجعل ممارسيه يحتلون مكانة عالية في المجتمعات البدوية عامة ، ولو أخذنا البداوة العربية كمثال لوجدنا الشعراء والخطباء وحفظة الأنساب والتراث يحتلون أعظم المكانات حيث تعقد لهم القيادة والمهابة معا ، واللغة العربية تملؤها عشرات المترادفات للشيء الواحد ، ومعسول الكلام يداوي الجراح ، وفصيحه يخلب العقول قبل القلوب ، والحماسي منه يقيم الدنيا ويقعدها ، ومراثيه تدمى المهج ، وحزينه يقطع الأكباد ويدمي العيون .... " .[1]

ولعل التعويل على النشاط الكلامي واللغوي عند البدوي راجع إلى الظروف الجغرافية والطبيعية التي تشحذ خيال البدوي العربي وتحل عقدة لسانه فيرفع عقيرته شاعرا ومغنياً .[2]

فالبدوي يمجد الكلمة ويخلبه سحرها وذلك من الملامح العامة للشخصية البدوية العربية بصفة خاصة .[3]

ولعل أكثر ما يؤيد الفصاحة البدوية أن اللغويين العرب القدامى في رسائلهم اللغوية الصغيرة ومعاجمهم الكبيرة قد استقوا مادتهم من أفواه البدو إذ كانوا يسيحون في الجزيرة العربية يسألون البدو ، ويكتبون عنهم .[4]

ثانيا: أن لكل من المجتمعين البدوي والحضري سمات نطقية خاصة ، إذ يختلف أحدهما عن الآخر اختلافا كبيرا ، فالمجتمع البدوي له من ظروفه في حياته ما يدفعه إلى التطور بلغته ، وكذلك

---

[1] البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ٣٤٦ .

[2] السابق ٣٤٧ .

[3] السابق ٣٣٦ وما بعدها .

[4] فصول في فقه العربية ٢٣٠ .

انعزاليته وتعصبه في خصائصه اللهجية وشدة احتفاظه بتلك السمات ـــ كما أن دورانه حول مسايل المياه ومواطن الكلأ ، وتلك الحركة الدائبة ـــ تجعله يتجه اتجاها خاصا في كيفية نطقه ، وتحدد مدى تأثر الأصوات بعضها ببعض من أدغام لميله إلى السرعة في الحديث ، وإسقاطه بعض الحروف من الكلمة تخفيفا كي يصل إلى غرضه من أقرب طريق وأيسره ، بعكس الحضري المستقر في كلامه وعيشه المطمئن إلى بيئته حيث يوفى نطق الأصوات دون إسقاط حرف منها ، وذلك ؛ لأن بيئته تتطلب منه حسن الأداء وتخير الألفاظ ، ومن أجل هذا اتسمت لهجات البيئة البدوية بسمات خاصة وأدائية تجعلها تغاير لهجات البيئات الحضرية .[1]

ومن هذه السمات أن العربي البدوي يميل إلى تقليل الجهد العضلي ، وسرعة النطق ورفع الأصوات وجهرها ، وشدها ، على حين يميل العربي الحضري إلى الأناة والاطمئنان في النطق ، وتستدعي منازل المدن خفض الأصوات وهمسها .[2]

كما تميل القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة في نطقها ، وهو أمر طبيعي يلتئم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع ؛ لأن هذه الأصوات سريعة النطق بها ، حاسمة ، ثم إن ما فيها من عنصر انفجاري ينسجم وسرعة الأداء عند العرب ، وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التي تطرق الآذان كأنما هي فرقعات متعددة ، في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام . إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم .[3]

بالإضافة إلى سمات أخرى كثيرة نذكرها بالشرح والتعليل في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

وليس معنى تقسيم المجتمع العربي إلى بدو وحضر أنه لا توجد هناك اختلافات لهجية بين

---

(1) اللهجات العربية في التراث ٩٠ ـــ ٩١ .

(2) في اللهجات العربية ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٣٢ .

(3) السابق ١٠٠ .

البادية في استعمال اللغة من حيث الأصوات ، أو المفردات ودلالاتها ، أو البنية ، أو التراكيب ، و لا بين المجتمع الحضري كذلك .لكن ما يوجد بين البدو بعضهم وبعض من اتفاق في استعمال اللغة المنطوقة أكثر مما بينهم من اختلاف ؛ لاشتراكهم في خصائص عامة تجمعهم و تبرز سماتهم وتقوى روابطهم وصلاتهم ، ولتشابه ظروف حياتهم ، وكذلك أهل الحضر على اختلاف مواقعهم . يقول فندريس : " لا تتكلم أسرتان متجاورتان لغة واحدة إطلاقا ، ولكن هذا الاختلاف اللغوي الذى يفرق بينهما حاليا طفيف لا يكاد يحس حتى و لو كان يحمل في طياته جراثيم انفصال في المستقبل ، لذلك كان لنا الحق في ألا ندخله في حسابنا في حالته الراهنة . هذا إلى أن اللغة التى تتفاهم بها الأسرتان فيما بينهما تصير إلى الوحدة حتما ، إذ إن الروابط المتبادلة تعمل منذ اليوم الأول على إضعاف الفروق بينهما وتكوين نواة مشتركة "[1] .

وقد ذكر د/الجندى نماذج عدة لاختلافات لهجية بين القبائل البدوية المنتشرة فى شرق الجزيرة العربية ، وأخرى للقبائل الحضرية المنتشرة فى غربيها ، وأكثر ما يكون ذلك فى الأصوات والمفردات . وثالثة لصور لهجية متفقة بين شرق الجزيرة و غربيها . وهو ما سنتحدث عنه تفصيلا عند حديثنا عن التأثير والتأثر بين البيئات العربية ، و مفارقة البيئة لمعتاد حالها . [2]

---

[1] اللغة ٣٠٧

[2] اللهجات العربية فى التراث ٦١ -٧٩

المبحث الثالث

البيئة وسيكولوجية الشعوب والأفراد

للغة علاقة وطيدة بعلم النفس ، إذ إن الإنسان عندما يتكلم يختار ألفاظه ومفرداته اللغوية وفقا لمعرفته ، وإدراكه للمواقف الاجتماعية التي يمر بها ، وأفكاره التي يحملها . كذلك فإن السامع أو المستمعين لحديثه يحددون استجاباتهم له وفقا لمدى اقتناعهم بقوله ، وعلى هذا فإن اللغة سلوك اجتماعي تحركه الدوافع . بالإضافة إلى أن عملية تعلم الطفل للغة ومراحلها كلها تعتمد على عمليات عقلية وسيكولوجية كالإدراك الحسي والتفكير وإدراك المعاني والحكم والاستدلال والذكرة والتذكر وتداعي المعاني ودرجة الانتباه والحالات الوجدانية . كما أن اللغة تعتبر انعكاسا للدوافع الإنسانية وتعبيرا عن السلوك الإنساني في مختلف المواقف الاجتماعية ، ويهتم علم النفس اللغوي بدراسة هذه الدوافع وفهم السلوك الإنساني في ضوء تلك العوامل . من هذا يتبين لنا أن علم النفس إذا كان يهتم بكافة العمليات العقلية والتفكير والدوافع والسلوك ـــ سواء على مستوى الشعور أو اللاشعور ـــ ومعرفة الشخصية وأنماطها ، فإن اللغة هي أداة التعبير ووسيلته الهامة في الإفصاح عن مكنونات الإنسان وما يدور بعقله ووجدانه وفكره من مشاعر وأحاسيس في كافة المواقف الاجتماعية والحياتية .[1]

ولهذا فإن المدخل السيكولوجي في دراسة اللغة يركز على دراسة وتحليل اللغة كرد فعل للعمليات العقلية والتفكير ومحاولة فهم الدوافع والاحتياجات المختلفة للإنسان في المواقف الاجتماعية المختلفة في ضوء ما يتعرض له من متغيرات وما يصدر عنه من استجابات ، تعكس

---

[1] علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ص٣٤ .

قدرته على التكيف والتوافق النفسي استنادا إلى مقوماته الشخصية وخبراتها المختلفة .[1]

وترتبط الحالة النفسية بالبيئة الاجتماعية ارتباطا وثيقا ، فاللغة هي انعكاس صادق لأوضاع الأمة العقلية والاجتماعية والحضارية ومعتقداتها وخصائصها العقلية .

فخصائص الأمة العقلية ، ومميزاتها في الإدراك والوجدان والنزوع ، ومدى ثقافتها ، ومستوى تفكيرها ومنهجه ، وتفسيرها لظواهر الكون ، وفهمها لما وراء الطبيعة ... كل ذلك وما إليه ينبعث صداه في لغتها ، ففي الأمم البدائية الضعيفة التفكير المنحطة المدارك تغزر الكلمات الدالة على المحسات والأمور الجزئية ، وتنعدم أو تقل الألفاظ الدالة على المعاني الكلية وتخلو دلالة المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وتعرو القواعد أو تكاد تعرو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارات بعضها ببعض ، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة ... وفي كثير من الأمم البدائية ينعكس في اللغة من مظاهر الاضطراب والإبهام مما تمتاز به عقليات الناطقين بها من سذاجة وقصور ، حتى أنها لا تكاد وحدها تبين عن معنى واضح دقيق ، وحتى أن أهلها ليضطرون في أثناء حديثهم إلى الاستعانة بالحركات اليدوية والجسمية لتكملة ما ينقص تعبيرهم وما يعوزه من دلالة ، كقبائل البوشيمان وهي عشائر بدائية تسكن في جنوب أفريقيا ، وكما في السكان الأصليين لأمريكا وأستراليا وأفريقيا ، وما يتسمون به من قصور عقلي ... وعلى العكس من ذلك الشعوب الهندية ــ الأوربية حيث ينشط التفكير، ويعمق الإدراك ، ويدق البحث ، وتتجه العقول إلى التأمل الفلسفي ، وتميل إلى تفسير ظواهر الكون والمجتمع الإنساني تفسيرا علميا يربطها بأسبابها وقوانينها العامة ، ففي مثل هذه الشعوب تكثر في اللغات الألفاظ الدالة على المعاني الكلية ، والتراكيب المعبرة عن الحقائق العامة ، وتغزر أزمنة الأفعال وتطول الجمل وتتعدد أجزاؤها ، وتتنوع الروابط وتختلف دلالاتها ، فتتسع للتعبير عن دقيق الوجدان ، وعميق الإدراك ، وحقائق الفلسفة والعلوم .[2]

---

[1] السابق ٤٨ .

[2] علم اللغة ــ د / وافي ٢٦٤ ــ ٢٦٦ بتصرف .

ولا أدل على ارتباط الحالة السيكولوجية أو النفسية للشعوب بالبيئة الاجتماعية من استعمال الكلمات الجارحة التي تجرح الحياء ، واختلاف عدد هذه الكلمات وطبيعتها باختلاف البيئات والعهود ، فيزداد عددها بالطبع في عصر الرقة حيث يصطبغ المجتمع بالصبغة التي تضفيها عليه النساء ، ويصل الحال إلى التضييق من دائرة المفردات شيئا فشيئا ، حتى لا يتكلم الناس إلا تلميحا .[1]

أما أثر الحالة النفسية في اللغة فيمكن تحديده في الآتي :

أولا : أن العوامل النفسية تساعد على تفرع اللغة إلى لهجات بعد انتشارها على مساحة واسعة من الأرض ، فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الثقافة ومناحي التفكير والوجدان يتردد صداه في أداة التعبير .[2]

ثانيا : أن الجو النفسي للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق فقد يكون اللفظ رقيقا ضعيفا، وقد يكون قويا ذا جرس ، وبقدر سرور الإنسان أو حزنه واستقراره وعدمه تكون ألفاظه معبرة فمن وضوح أو غموض ، ومن تفخيم أو ترقيق إلى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوي ومظاهره ، ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب ، فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة ، فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس. وكما يحدث ذلك للجماعة يحدث للأفراد فيختلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم ، وهذا ذو أثر أيضا في إبدال بعض الأصوات وإحلال بعضها محل بعض .[3]

بل إن الحالة النفسية قد تدعو إلى استعمال بعض الألفاظ وترك البعض فقد عدل الأطباء منذ حين عن استعمال كلمة (عملية) التي صيرها الاستعمال قاسية مخوفة لا يسمعها المريض حتى

---

[1] اللغة ــ فندريس ٢٨٠ .

[2] علم اللغة وافي ١٧٥ .

[3] الأصوات اللغوية ١٧٤ .واللهجات العربية نشأة وتطورا ١٥٢ ،

يتصور الآلات المرعبة والملابس الملوثة بالدماء والجسم وقد طواه الألم طيا ، لذلك يسود الميل إلى الاستعاضة عنها بكلمة (تدخل) ؛ لأنها أنضر حدة منها ، وأكثر تحفظا وأشد غموضا أيضا ، لا يهلع لسماعها قلب المريض .[1]

ومن ذلك ــ أيضا ــ أن الحالة النفسية قد تدعو إلى ترك لفظ واستعمال آخر في موضعه احترازا من اللفظ الأول ، ودلالته التي تؤثر في النفس تأثيرا سيئا ويؤدي ذلك إلى تطور دلالة اللفظ الثاني [2] ، وذلك كأن يكون اللفظ قبيح الدلالة ، أو يتصل بالقذارة والدنس أو يرتبط بالغريزة الجنسية فهناك نلحظ أن كل اللغات تفقد بعضا من ألفاظها التي تعبر عن هذه النواحي فتندثر تلك الألفاظ أو تتزوي ويحل محلها لفظ آخر أقل وضوحا وأكثر غموضا أو تعمية ،كما في استعمال القرآن الكريم أسلوب الكناية في التعبير عن العملية الجنسية إذ عبر عنها بألفاظ كريمة مثل: السر ، الرفث ، الحرث ، الإفضاء ، اللمس .... إلخ .[3]

كذلك قد يلجأ المتكلم نتيجة لتفاؤله أو لتشاؤمه إلى استخدام اللفظ في ضد معناه ، كما سميت الصحراء مفازة ؛ تفاؤلا بالنجاة من المخاطر التي تعترض سالكها ، وكما سمي الأعمى بصيرا؛ عزاء لحالته التي تؤلم النفس وأملا في أن يعوضه الله نورا في بصيرته .[4]

ومن ذلك :تذكير بعض الأسماء تارة و تأنيثها تارة أخرى تبعا لاختلاف البيئات العربية ففى العربية أسماء اختلف فى جنسها فهى مذكرة ومؤنثة ، وأغلب الظن أن هذا الاختلاف فى الجنس فى اسم واحد قد نتج عن اختلاف اللهجات العربية •

ولكن هذا الاختلاف بين اللهجات فى الجنس لا يمكن تعليله بالبداوة وبالتحضر ومما يدل على ذلك أن القراء أنفسهم يقرؤون بالتذكير تارة وبالتأنيث تارة أخرى •

---

[1] اللغة ٢٨١ .

[2] دلالة الألفاظ ١٤١ ــ ١٤٢ بتصرف .

[3] انظر تفصيل ذلك في كتابنا(بحوث دلالية ٩٨).

[4] علم اللغة بين القديم والحديث ٢٢٥ .

ومما يدل على ذلك ـــ أيضا ـــ ورود التذكير والتأنيث فى لهجات جميع القبائل من ذلك أن أهل الحجاز يقولون : هى التمر ، وهى البر ، وهى الشعير ، وهى الذهب ، وهى البسر ، وتميم تذكر هذا كله [1] .

كذا يؤنث أهل الحجاز الصراط ، والطريق ، والسبيل ، والسوق ، وبنو تميم يذكرون هذا كله ، وزوج مذكر فى لهجة أهل الحجاز ، وزوجة لهجة تميم وكثير من قيس وأهل نجد ، ومن ذلك (الهدى) يؤنث ويذكر قال أبو حاتم :" مذكر فى جميع اللغات إلا أن بعض بنى أسد يؤنث . ومن ذلك (السلاح) يذكر ويؤنث .قال الفراء : سمعت بعض بنى دبير يقول : إنما سمى جدنا دبيرا ؛ لأن السلاح أدبرته " وبنودبير هؤلاء من بنى أسد [2] .

وكذلك عزا الفراء إلى بنى أسد تذكير بعض كلمات أنثها أكثر العرب كالرياح ، والأصابع ، والإبهام [3] .

ومن ذلك ـــ أيضا ـــ أن الهذليين يميلون إلى تذكير جمع التكسير أى يجردون الفعل من علامة التأنيث مع هذا الجمع وهذا هو الغالب عندهم إلا أنهم قد جاء عندهم مؤنثا وليس بمطرد . ومنه قول جنوب ترثى أخاها عمرا :

تمشى النسور وهى لاهية مشى العذارى عليهن جلابيب

وقول أسامة الهذلى :

مُقَلّصة قد أهجرتها فحولُها

وقول أبى ذؤيب :

ولو كثرت فيها لدىّ البوارق

---

[1] المزهر : ٢٧٧/٢

[2] اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٧٩،١٨٠ بتصرف

[3] اللهجات العربية فى التراث ٦٣٤ ، ٦٣٥ بتصرف

وقد كثر عندهم تأنيث صيغة (فواعل) جمع (فاعل) كما فى صوافق فى قول أبى ذؤيب الهذلى :

أخ لك مأمون السجيات جضرم إذا صفقته فى الحروب الصوافقُ

وعوائق فى قوله أيضا :

ألا هل أتى أم الحويرث مُرْسَلُ نعم خالد إن لم تعقه العوائق

ومع هذا فالتأنيث ليس بمطرد عندهم حتى مع هذه الصيغة فلقد نجد فى شعرهم ما يخرج عن ذلك مثل قول أبى خراش :

فصار الفتى كالكهل ليس بقائل سوى العدل شيئا واستراح العواذلُ

هكذا نرى فيما انحدر إلينا من تراث الهذليين وأشعارهم ــ (وكذلك بنى أسد) ــ مراوحة بين التذكير والتأنيث مع جمع التكسير ، تلك الظاهرة التى قد نراها على صورة ما عند غيرهم من أبناء العربية ، ونحس بصداها فى قواعد النحاة التى ضمنوها كتبهم ، والتى كانت ــ كما نعلم ــ مرتكزة على ما سبقها من جمع للشواهد العربية ، ومشافهة للأعراب فى بواديهم ، ولا شك أن من بين هؤلاء ، بل من أهمهم هذيل التى نجد علماء العربية يعتمدون عليها كثيرا فى إيراد شواهدهم [1] .

و قد أرجع بعض العلماء اختلاف البيئات العربية فى هذه الأسماء إلى التصور النفسانى الذى يوحى إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك يقول الأستاذ العقاد :" إن الكلمات التى تؤنث فى اللغة العربية ــ وهى خالية من علامات التأنيث ــ لم تترك عندنا بغير علامة مميزة لأن اللغة عاجزة عن تمييزها بعلامة من علاماتها الكثيرة ، بل هى متروكة لاعتبارها أصلا من المؤنثات المجازية، أو المذكرات المجازية، فليس السبب هنا راجعا إلى نقص العلامات والصيغ أو إلى قواعد اللغة على العموم ، ولكنه راجع إلى التصور النفسانى الذى يوحى إلى الذهن إلحاق بعض الأشياء بهذا الجنس أو ذاك على حسب العوامل الكثيرة التى تعمل عملها فى هذه التفرقة عند أبناء اللغات أجمعين [2] .

---

[1] لغة هذيل من صـ١٧٢ إلى صـ ١٧٦ بتصرف .

[2] أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى صـ٩٤ .

وأرجعها آخرون إلى المعتقدات والتقاليد يقول wensinek (فنسنك) :" إن اللغات السامية حين خلعت على بعض الأسماء فكرة التأنيث قد تأثرت فى هذا بعوامل دينية،وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التى جعلت الساميين فى قديم الزمان يرون فى المرأة غموضا وسحرا وينسبون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاءوا بعدهم ، ثم ضموا إلى المرأة كل ظواهر الطبيعة التى خفى عليهم تفسيرها ودق على أذهانهم فهمها بجامع الغموض والسحر فى كل. وأدت تلك المعتقدات الخرافية إلى اعتبار بعض الأسماء مؤنثة لأنها تعبر عن ظواهر غامضة ليس من السهل عليهم تفسيرها،وأشبهت لهذا فى أذهانهم ما أحاطوا به المرأة من سحر وخرافة.ومن تلك الكلمات كل ما عبر عن الأرض وأجزائها كالطريق والبئر،ثم الجهات الأربع ومعظم مظاهر الطبيعة من ريح وسحاب ومطر ، وأخيرا تلك الأسماء التى تدل على الممالك والمدن وأجزاء الجسم والأسلحة والحجارة وبعض الحيوان [1] ".

وما العرف والتقاليد والعادات أو المعتقدات ومناحى التفكيروالوجدان إلا عوامل اجتماعية ونفسية و هى إحدى العوامل التى تعمل على تفرع اللغة إلى لهجات [2] .و اللغة هى أداة التعبير ووسيلته المهمة فى الإفصاح عن مكنونات الإنسان وما يدور بعقله ووجدانه وفكره فى كافة المواقف الاجتماعية والحياتية .فالتفاعل بين اللغة والفكر أمر واقع .

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن كثيرا من المسائل التي يعرض لها علم اللغة يتوقف شرحها وفهمها وبيان أصولها وأسبابها على الرجوع إلى ما ترتبط بها من الظواهر النفسية ، وإلى ما يقوله علم النفس في صددها . فتكوين المتكلم لعباراته وفق أفكاره ، وإدراك السامع الحديث وفهمه له ، وصوغ العبارات وتدوينها ، وفهم القارئ لنقوش الكتابة ، وكسب الطفل للغته ، وأداء اللغة ووظائفها الدلالية ، والإيحائية والتأثيرية ، وانحطاط لغة في عصر ما أو عند بعض الشعوب الناطقة بها وارتقاؤها في عصر أخر أو عند شعوب أخرى ، وتعدد فروع اللغة تبعا لتعدد نواحي التفكير ، وتطور اللغة في مدلولات كلماتها وأساليبها كل هذه الظواهر وما إليها تعتمد اعتمادا جوهريا على

---

[1] من أسرار اللغة ١٦٣ .

[2] علم اللغة د / وافي ١٧٥

ظواهر عقلية كالإدراك الحسي والتفكير وإدراك المعاني الكلية والحكم والاستدلال وخيال الحركة والخيال السمعي والحافظة والذاكرة وتداعي المعاني والحالات الوجدانية ..... وهلم جرا . ومن الواضح أن هذه الظواهر هي موضوع علم النفس ، ولا يمكن فهمها وتحديد صلتها باللغة وأثرها فيها إلا بالرجوع إليه .[1]

فارتباط الظواهر اللغوية بالظواهر النفسية وتأثرها بها لا يقل عن ارتباطها بالظواهر الاجتماعية ، وهذا الارتباط يظهر أثره فى تخير الألفاظ و رقى العبارة أو انحطاطها ، ومطابقتها للمعنى أو انحرافها عنه . كذلك تفاوت السامعين فى فهم العبارة تبعا لتفاوت مداركهم قوة وضعفا [2]

---

[1] علم اللغة د / وافي ٣١ ــ ٣٢ بتصرف .

[2] أسرار النظام اللغوى عند مصطفى صادق الرافعي ١٣٢، وانظر اللغة ــ فندريس ٢٧٩ وما بعدها

الفصل الثاني

أثر البيئة العربية في لغة ساكنيها

تحدثنا في الفصل السابق عن البيئـــة ومكوناتهـــا الطبيعيـــة والجغرافيـــة والفـــسيولوجية والسيكوجية وأثرها في اللغات عامة ومنها العربية ، وفي هذا الفصل نريد أن نبين أثـــر البيئـــات العربية على اختلافها في تفرع العربية إلى لهجات مختلفة ومتباينة ، فيكون هذا الفصل بمثابة التطبيق على ما ذكر في الفصل الأول .

وفيه نتحدث عن أثر البيئة في طرائق النطق ، أو مدى ارتباط النطـــق العـــربي المختلـــف والمتنوع بالبيئة ، وعن مدى التأثير والتأثر بين البيئات العربية بعضها وبعض في تعدد نسبة الظاهرة اللهجية الواحدة إلى بيئات مختلفة . وعن مفارقة البيئة لمعتاد حالها في بعض الأحيان وأسباب ذلك . وعن مراعاة التطور اللغوي عند بعض البيئات العربية أو احتفاظها بالأصل القديم ، وأسباب كـــل منهما ، لذا جاء هذا الفصل في أربعة مباحث كالتالي :

المبحث الأول : البيـــئة وطرائـــق النـــطق .

المبحث الثاني : البيـــئة بين التأثـــير والتأثـــر .

المبحث الثالث مفارقـــة البيـــئة لمعـــتاد حالها .

المبحث الرابع : البيئة بين التطور اللغوي والمحافظة على الأصل .

المبحث الأول

البيئة العربية وطرائق النطق

لكل شعب عاداته النطقية التي تميزه عن غيره ، تنبع من قيمه وأخلاقه ، أو معتقداته ، وما يقوم به من عمل يتسم مع طبيعة بيئته التي يعيش فيها ، مما يساعد على تشكيل أعضاء نطقه في صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ، ومناهج التطور الصوتي أو اللغوي عامة ، فما يسير عليه الناطقون في شئونهم الاجتماعية العامة ينعكس بصورة واضحة في أداة تعبيرهم .

وطبقا لتقسيم المجتمع العربي إلى بيئتين مختلفتين هما : البدو والحضر ، ولكل منها خصائصه وسماته العامة التي تميزه عن غيره من حيث الموقع الذي يعيش فيه ، والعمل الذي يزاوله ، إلى غير ذلك من الخصائص والسمات التي سبق ذكرها فإنا قد لحظنا فروقا نطقية كثيرة بين البيئتين ، قوة وضعفا ، أو سرعة في الأداء وتأن فيه ، أو غير ذلك ، وتبدو هذه الفروق الصوتية الناتجة عن اختلاف البيئتين البدو والحضر فيما يلي :

أولا : بين ثقل النطق وخفته :

بالرجوع إلى كتب اللغة والأدب والتفسير نجد صفات نطقية كثيرة قد عزيت إلى بعض البيئات العربية ، فالكلمة قد تروى بروايتين مختلفتين ، أو تقرأ بقراءتين إحداهما تشتمل على صوت قوي وثقيل عسر في النطق ، والثانية على صوت خفيف ضعيف سهل على اللسان لا كلفة في إخراجه والمعنى واحد ، وقد غلب استعمال الصوت الثقيل في البيئات البدوية ، وغلب نسبة استعمال الخفيف إلى البيئات الحضرية . وقد تحقق ذلك في صور مختلفة كالتالي :

أ) استعمال ما ثقل من الحروف :

١ ـ النطق بالهمزة محققة في البيئات البدوية ، ومخففة في البيئات الحضرية . فالهمزة أكثر الأصوات الساكنة شدة ، وعملية النطق بها وهي محققة من أشق العمليات الصوتية ؛ لأن مخرجها

فتحة المزمار التي تنطبق عند النطق بها ثم تفتح فجأة ، فتسمع ذلك الصوت الإنفجاري الذي نسميه بالهمزة المحققة . [1]

لذا يقول سيبويه : " اعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يحققها ؛ لأنه بعد مخرجها ، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهوع". [2]

ونظراً لهذه الطبيعة الخاصة لصوت الهمزة اختلف الناس في نطقه على حسب اختلاف طباعهم وبيئاتهم وأعمالهم إذ يقول أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) : " ينبغي للقارئ إذا همز الحرف أن يأتي بالهمزة سلسلة في النطق سهلة في الذوق من غير لكن ولا ابتهار ولا خروج بها عن حدها ساكنة كانت أو متحركة ، والناس يتفاضلون في النطق بالهمزة على مقدار غلظ طباعهم ورقتها فمنهم من يلفظ بها لفظ تستبشعه الأسماع ، وتنبو عنه القلوب ، ويثقل على العلماء بالقراءة وذلك مكروه معيب من أخذ به ، وقد حدثني الحسين بن علي البصري ... قال سمعت أبا بكر بن عياش يقول إمامنا يهمز (مؤصدة) فاشتهى أن أسد أذني إذا سمعته يهمزها ... ومنهم من يخرج الهمزة مع النفس إخراجا سهلا بغير كلفة يألفه طبع كل أحد ، ويستحسنه أهل العلم بالقراءة وذلك المختار ولا يقدر القارئ عليه إلا برياضة شديدة " . [3]

لذا كان تحقيق الهمز مظهرا من مظاهر البيئات البدوية كتميم ، وقيس ، وأسد ، وتيم الرباب ، وغنى ، وعقيل ، وهو ما يناسب ظروف مجتمعهم وبيئتهم .

على حين مالت القبائل الحضرية كالحجاز ، وهذيل ، وأهل المدينة ، والأنصار ، وقريش وكنانة ، وسعد بن بكر إلى البعد عن الهمزة بتخفيفها بين بين ، أوبإبدالها حرفا من جنس حركتها أو حركة ما قبلها ، أو حذفها . [4]

---

[1] في اللهجات العربية ٧٧ .

[2] الكتاب ٣ / ٥٤٨ .

[3] التحديد في الإتقان والتسديد في صنعة التجويد ٢٥١ ــ ٢٥٣ بتصرف .

[4] اللهجات العربية في التراث ٣٣٦ ، واللهجات العربية نشأة وتطورا ٢٢٠ ، والظواهر اللغوية في معاني القراءات ٢٥٤ .

وليس عجيبا على هذه البيئات المتحضرة والتي قد شهرت بالتأني في النطق وإعطاء كل صوت حقه ـــ كما سيأتي ـــ أن تتخلص من الهمزة إذ إن التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة التي تقتضيها البيئات الحضرية .

واللغة تميل في تطورها نحو السهولة والتيسير ، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتا أخرى ، لا تتطلب مجهودا عضليا كبيرا ، وهو ما ينطبق على ظاهرة الهمز في اللغة العربية عند هذه البيئات الحضرية التي اعتادت الحياة الناعمة .[1]

٢ ـ استعمال الأصوات المطبقة والمفخمة أو المرققة :

التفخيم لغة : التعظيم . يقال : فخم الكلام أى عظمه [2] . واصطلاحا : قوة وضخامة تدخل على الحرف حتى يمتلئ الفم بصداه [3] .أو هو سمن يعترى الحرف المرادتغليظه فيملأ الفم حال النطق به [4]. والحروف المستعلية كلها مفخمة لا يستثنى منها شيء في حال من الأحوال [5]

والترقيق لغة : التنحيف . واصطلاحا : عبارة عن نحول يدخل على الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه .[6] والحروف المستفلة كلها مرققة لا يجوز تفخيمها إلا اللام من اسم الله بعد فتحة أو ضمة إجماعا أو بعد حروف الإطباق في رواية ، وإلا الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا أو الساكنة في بعض الأحوال .[7]

---

[1] التطور اللغوي ٧٥ ، ٧٦ بتصرف .

[2] المحكم (خ ف م) ٢٢٥/٥

[3] بغية الطالبين في تجويد كلام رب العالمين ص١١١ .

[4] القواعد والإشارات فى أصول القراءات ٥٠ ، ٥١

[5] الإتقان في علم القرآن ١٦٧ .

[6] بغية الطالبين في تجويد كلام رب العالمين ١١١ .

[7] الإتقان ١ / ١٦٧ .

والإطباق أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطبق بها الحنك الأعلى فينحصر الصوت بين اللسان والحنك وهي أربعة أحرف : الصاد والضاد والطاء والظاء ، وما سواها من الحروف مفتوح غير منطبق . [1]

ولولا الإطباق في هذه الحروف لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام ؛ لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه [2] ، والإطباق في هذه الحروف يفخم نطقها .

وهذه الأحرف الأربعة تجمع بين الاستعلاء والإطباق ، أما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها .

وبالكشف عن كثير من الروايات التي وردت في كتب العربية نجد أن بعض الكلمات قد أوردت لها المعاجم وغيرها نطقين أحدهما يشتمل على صوت مطبق أو مستعل ، والآخر يشتمل على نظيره المرقق أو المستفل ، وقد عاش النطقان معاً جنباً إلى جنب في زمن واحد وفي بيئتين مختلفتين قبل الإسلام . وبمعرفة ما نسبه العلماء إلى الناطقين بهما نجد ميل القبائل البدوية بوجه عام إلى أصوات التفخيم أو الإطباق والاستعلاء ، وميل القبائل الحضرية إلى الأصوات المرققة والمستفلة.

وقد أشار إلى ذلك سيبويه فقال : "بعض العرب يذهب الإطباق (أي في الطاء) حتى يجعلها كالدال سواء ، أرادوا أن لا تخالفها إذ آثروا أن يقلبوها دالا " . [3]

والروايات الآتية تؤكد حقيقة هذه النسبة .

أ) ــ الطاء والتاء : جاء في العين للخليل : " أفلطني في لغة تميم أفلتني وهي قبيحة ، ولقيت فلانا أفلاطا أي بغتة هذلية " . [4]

---

[1] سر الفصاحة ص٣١ .

[2] الكتاب ٤ / ٤٣٦ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٦١ .

[3] الكتاب ٤ / ٤٦٠ .

[4] العين(ط ل ف) ٧ / ٤٣٠ .

وقال أبو زيد فيما روى ابن هانئ عنه: " أفلطني فلان لغة تميمية في أفلتني ورفع إلى عمر ابن عبد العزيز رجل قال لآخر في يتيمة كفلها : إنك تبوكها فأمر بحده فقال : أفأضرب فلاطا ، قال أبو عبيد : الفلاط في الفجأة هي لغة هذيل يقولون فلاطا ، وقال المتنخل الهذلي :

أفلطها الليل بعير فَشْس ∴ على ثوبها مجتنب المعدل[1]

فلفظ(أفلط) في لغة تميم يأتي بمعنى لفظ أفلت ، على حين يأتي بمعنى الفجأة في لهجة هذيل: واستعمله ساعده بن جؤية الهذلي في معنى أفلت في قوله :

بأصدق بأس من خليل ثمينة ∴ وأمضي إذا ما أفلط القائم اليدا

أراد : أفلت القائم اليد فقلب .[2]

ولعله يقصد بهذيل ــ هنا ــ هذيلا البدوية ، لا هذيلا الحضرية كما سنرى في حديثنا عن مفارق القبيلة لمعتاد حالها .

ب) ــ الصاد والسين : وقد نسب النطق بالصاد في كثير من الكلمات إلى البيئات البدوية كتميم أو بطونها ومن ذلك قول صاحب اللسان " الصاق لغة في الساق عنبرية "[3] أي تنسب إلى بني العنبر وهم أبناء عمرو بن تميم ، وقد توغلوا في البدوية ، ومنه ــ أيضا ــ قول أبي الطيب اللغوي أن يقال : شربت سويقا وصويقا ، والصاد لغة تميمية "[4]. كذا عزاها عبد الله بن إسحاق الحضرمي إلى عمرو بن تميم .[5]

---

[1] تهذيب اللغة (ا ط ل ف) ١٩ / ٥٤٧ .

[2] تاج العروس (ف ل ط) .

[3] اللسان (ص و ق) .

[4] اللسان (ص و ق) .

[5] الإبدال ٢ / ١٩٠ .

ومن ذلك الصماغ : خرق الأذن إلى الدماغ ، والصاد تميمية " . [1]

إلى غير ذلك من الكلمات التي روت لها كتب اللغة نطقين أحدهما بالصاد والآخر بالسين ولم ينسبا .

جـ) ــ القاف والكاف . وقد نسب النطق بالقاف إلى البيئات البدوية وبالكاف إلى البيئات الحضرية .ومن ذلك :القشط والكشط يقول الخليل : " القشط لغة في الكشط " [2] وقد قرئ النطق بالقاف إلى تميم وأسد [3]،وعليها قراءة عبد الله بن مسعود:﴿ وإذا السماء قشطت ﴾[4] وقد عزى النطق بالكاف إلى قيس[5] ، وقريش [6] ولعلها لبعض يطون قيس المجاورة لأهل الحضر . وذلك لأن أبا على القالي قد عزى النطق بالقاف إلى قيس وتميم وأسد [7]. ويؤيد ذلك ــ أيضا ــ أن أبا على القالي قد نقل عن الفراء أنه سمع بعض غنم بن دودان تقول : فلا تكهر بالكاف [8] ، وهم من أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر من حلفاء قريش الأسدية المدنية ، وإليهم تنسب زينب بنت جحش ــ رضي الله عنها ــ [9] وكان بنو أسد بن خزيمة قد تفرقوا ونزلوا الحجاز عند مجيء الإسلام بعد تغلب طيئ عليهم وسيطرتهم على أجأ وسلمى . [10]

---

[1] العين (خ ص م ٤ / ١٩٢) والتهذيب ح ص ع ٧ / ٧٣ ، ٩٠ ، والتاج (ص م خ) وطبقات فحول الشعراء ١٥/١.

[2] العين (ق ش ط) ٥ / ٣٣ .

[3] المحكم ٦ / ١٥١ ، ٦٧٦.

[4] المحكم ٦ / ١٥١ .

[5] الأمالي ٢ / ١٤٨ ، والمخصص ١٣ / ٢٧٧.

[6] الأمالي ٢ / ١٤١.

[7] السابق ٢ / ١٤١ .

[8] الأمالي ٢ / ١٤١ ، والمخصص ١٣ / ٢٧٧ .

[9] الثقات ٣ / ١٤٤ ، ورجال صحيح البخاري ٢ / ٨٤١ .

[10] معجم ما استعجم ١ / ٩٠ .

وقد تعاقبت القاف والكاف في حروف كثيرة منها : الكافور والقافور ، وتقهر وتكهر ، والقُحط والكُحط ، والقُسط والكُسط ، والقنثر والكنثر للرجل القصير ... إلخ .[1]

وعلى هذا ندرك أن البيئات البدوية تميل إلى النطق بالأصوات المطبقة والمستعلية ، لأن أصوات الإطباق أصوات مفخمة ، لها رنة قوية في الآذان ، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم ، فلا عجب إذن أن تشيع تلك الأصوات في لهجات البدو ، وأن تأخذ في الانقراض من ألسنة المتحضرين [2] ، ولعل في قول سيبويه عن أصوات الإطباق " إنها أفشى في السمع " [3] ما يؤيد ذلك ، على حين تجنح القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر كبعض قيس ، وبعض غنم بن دودان إلى النطق بالأصوات المرققة التي لا تحتاج إلى بذل جهد عضلي إذ يأخذ اللسان في النطق بها وضعه الطبيعي في الفم دون تقعر أو تصعد وارتفاع نحو الحنك الأعلى عكس المنطبقة والمستعلية التي يتقعر معها اللسان حال النطق بها ويمتلئ الفم والحنك بصداها .

ومما يؤكد حقيقة ذلك أن العجرفية وهي التقعر في الكلام [4] ، أو الجفاء في القراءة والكلام [5] . وكانت صفة من صفات القبائل البدوية إذ شاعت في أعراب قيس واليمن [6] ،وبني ضبة [7] ، يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) " وأما العجرفية فإنها تكون في أعراب قيس واليمن وهي جفاء في القراءة والكلام ، وقال الهمذاني : جلست إلى فتية من قريش أتعلم القرآن وفي عجرفية أهل اليمن فجعلوا يضحكون " .[8]

---

[1] الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٣٥٣ وما بعدها ، التهذيب ١٠ / ٧ .

[2] في اللهجات العربية ١٢٧ .

[3] الكتاب ٤ / ٤٦٠ .

[4] الإنسان (ع ج ر ف) .

[5] غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٤٠٧ .

[6] غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٤٠٧ ، والمزهر ١ / ٢١٠ .

[7] مجالس ثعلب ١ / ١٠٠ ، والمزهر ٢١١/١ ، واللسان ، والتاج (ع ج ر ف) .

[8] غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ٤٠٧ .

وقد علل د / الجندي وصف بعض القبائل البدوية بهذا الوصف بقوله : " العجرفية صفة أقرب إلى الشدة والغلظة والجفوة تتمثل في تفخيم الحروف وتغليظها حتى يملأ صداها الحنك والفم فأصحابها كما أظن يؤثرون الأصوات الشديدة المجهورة ، أو المفخمة ، لأن فيها عناصر الانفجار والبروز وما يشبه الفرقعة ، وهي صفات للكلام تمج منها الأسماع ، وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها ، ويمكن أن نتلمس هذه العجرفية في الأعراب البداة الذين وفدوا على الرسول ـ ﷺ ـ وأخذوا ينادونه من وراء الحجرات بصوت أجش أشبه بالمتفجرات المتصلة الدوى ـ كأنه سلسلة يتبرأ بعض حلقاتها من بعض ـ حتى وصفهم القرآن بأن (أكثرهم لا يعقلون) [1] وراح يدعوهم إلى آدب الإسلام حين يخاطبون الرسول ـ ـ في قوله ﴿ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ [2] وقوله: ﴿واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾.[3]

وإذا كان الأعراب البداة يتسمون بالشدة والغلظة في المحسوس من أمورهم كالأصوات والأقوال فإنهم أشد وأغلظ في خفيات الأمور ، ودخائل النفوس ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا ﴾ [4] .[5]

ب) اختيار ما ثقل من الحركات أو خف :

ليست الحركات (الضمة ، والكسرة ، والفتحة) وما ماطلهن ـ في اللغة العربية على مستوى واحد في النطق ، فبعضها أصعب في نطقه على اللسان من بعض : فالضمة وواو المد أقوى الحركات الثلاث وأصعبها على اللسان ، تليها الكسرة وياء المد ، والفتحة والألف أضعف الحركات وأخفها نطقا على اللسان .

---

[1] سورة الحجرات من الآية ٤ .

[2] سورة الحجرات من الآية (٢) .

[3] سورة لقمان آية ١٩ .

[4] سورة التوبة آية ٩٧ .

[5] اللهجات العربية في التراث ٣٨٠ .

وإنما كانت الفتحة والألف أخف الحركات الثلاث لأمور عدة أهمها : كثرة الاستعمال لما هو أخف كالفتحة ، وقلة الاستعمال لما هو أثقل كالضمة والكسرة [1] . ومنها : أن الإسكان أي تسكين عين الكلمة للتخفيف إنما يكون في المضموم والمكسور دون المفتوح نحو قولهم في رُسُل جمع رسول : رُسْل ، وفي كَتف : كَتْف ، واستمرار ذلك في المضموم والمكسور دون المفتوح أدل دليل ـــ بفصلهم بين الفتحة وأختيها ـــ على ذوقهم الحركات واستثقالهم بعضها واستخفافهم الآخر[2]، ومنها : أن الألف وهي من الفتحة لا تتحمل الحركة بخلاف الواو والياء فيتحملان الحركة . [3] ومنها : أنهم قد سووا بين الفتحة والسكون في العدول عن الضمة والكسرة إليها ، فكل واحد منهما يهرب إليه مما هو أثقل منه نحو قولك في جمع (فُعْلة) و(فعْلة) : (فُعُلات)بضم العين نحو : غرفات و(فعلات) بكسرها نحو :كسرات ، ثم يستثقل توالي الضمتين والكسرتين فيهرب عنهما تارة إلى الفتح فتقول : غُرَفات وكسَرات ، وتارة أخرى إلى السكون فتقول : غُرْفات وكسْرات . [4]

أما ثقل الضمة وواو مد عن الكسرة وياء المد فقد أشار إليه سيبويه بقوله : " اعلم أنه قد يقل الشيء في كلامهم ، وغيره أثقل منه ، كل ذلك لئلا يكثر في كلامهم ما يستثقلون فهذا قول . والآخر : أن الضمة وإن كانت أثقل من الكسرة فإنها أقوى منها وقد يحتمل للقوة ما لا يحتمل للضعف ، ألا ترى إلى احتمال الهمزة مع ثقلها للحركات ، وعجز الألف عن احتمالهن وإن كانت خفيفة لضعفها وقوة الهمزة ، وإنما ضعفت الكسرة عن الضمة لقرب الياء من الألف وبعد الواو عنها " . [5]

---

[1] الخصائص ١ / ٧٠ .

[2] السابق ١ / ٧٦ واللامات للزجاج ٣٥ .

[3] الخصائص ٢ / ٢٩٣ ـــ ٢٩٦ بتصرف ، ٢ / ٣٢١ .

[4] السابق ١ / ٦٠ بتصرف ، والمحتسب ١ / ٥٦ .

[5] الخصائص ١ / ٦٩ ، ٧٠ .

وقال : " قالوا شححت كما قالوا بخلت ، وذلك لأن الكسرة أخف عليهم من الضمة ألا ترى أن(فَعِل) أكثر في الكلام من (فَعُل) ، والياء أخف عليهم من الواو وأكثر " . [1]

ويقول ابن جني : " وقد أحطنا علما بأن الضمة أثقل من الكسرة [2] وقد بين الإمام الرازي (ت ٦٠٤هـ) وجه ثقل الضمة عن الكسرة والفتحة فقال : " أثقل الحركات الضمة لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة ، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية ، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة ، وكما دلت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه فالتجربة تظهره أيضا ، واعلم أن الحال فيما ذكرناه يختلف بحسب أمزجة البلدان فإن أهل أذربيجان يغلب على جميع ألفاظهم إشمام الضمة ، وكثير من البلاد يغلب على لغاتهم إشمام الكسرة والله أعلم ". [3]

فالضمة والكسرة تخرجان بتكلف واستعمال للشفتين ــ على اختلاف بينها ــ والفتحة تخرج مع النفس بلا علاج كما ذكر الرازي وقد سبقه إلى ذلك أبو إسحاق الزجاج (ت٣٣٧هـ) . [4]

فالضمة ثقيلة جداً ، والفتحة قريبة من السكون جداً ، والكسرة متوسطة بينهما . [5] وقد علل ذلك الرازي بقوله : " الحركات أيضا ثلاثة أقواها الضمة وأضعفها الفتحة وأوسطها الكسرة فألحقوا كل نوع بشبيهه فجعلوا الرفع الذي هو أقوى الحركات للفاعل الذي هو أقوى الأقسام ، والفتح الذي هو أضعف الحركات للمفعول الذي هو أضعف الأقسام ، والجر الذي هو المتوسط للمضاف إليه الذي هو المتوسط من الأقسام ... فالفاعل مقدم على المفعول ؛ لأن الفعل لا يستغنى عن الفاعل وقد يستغنى عن المفعول ، فالتلفظ بالفاعل يوجد والنفس قوية فلا جرم أعطوه أثقل

---

[1] الكتاب ٤ / ٣٧ .

[2] الخصائص ٣ / ١٨٠ .

[3] التفسير الكبير ١ / ٤٨ .

[4] اللامات ٣٥ .

[5] اللباب – العكبري ٢ / ٧٦ .

الحركات عند قوة النفس ، وجعلوا أخف الحركات لما يتلفظ به بعد ذلك . فمراتب الموجودات ثلاثة : مؤثر لا يتأثر وهو الأقوى وهو درجة الفاعل ، ومتأثر لا يتأثر وهو الأضعف وهو درجة المفعول ،وثالث يؤثر باعتبار ويتأثر باعتبار وهو المتوسط وهو درجة المضاف إليه "[1]

وبمراجعة مصادر اللغة نجد أن بعضا من كلمات اللغة قد روى بروايتين مختلفتين ، وكذلك في القراءات القرآنية إذ تقرأ الكلمة على وجهين باختلاف القارئ ، أو بتعدد الرواية عن القارئ الواحد ، فالكلمة تشتمل على الفتح في موضع معين منها في رواية ، وتقرأ أو تنطق بالكسر أو الضم في رواية ثانية في نفس الموضع أى في فاء الكلمة أو عينها ، واستعمل النطقان أو الروايتان معا في زمن واحد لكن في بيئتين مختلفتين ، وليست إحداهما أصل والأخرى فرع عنها بل إن الروايتين أو النطقين قد عاشا معا قبل الإسلام على لسان القبائل العربية المختلفة ، ولما جاء الإسلام نزل القرآن الكريم بنطق واحد منهما وأباح للقبائل الأخرى أن تنطق الكلمة نفسها بنطقها هي نظرا لتعود أعضاء نطقها على ذلك ، فالشعوب والبيئات المختلفة جغرافيا وفسيولوجيا تختلف بعضها عن بعض في خواصها الوراثية المتعلقة بأعضاء النطق ، لأن هذه الأعضاء تختلف في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب ، فكل ينطق حسب ما تعودت عليه أعضاء نطقه وقد لا يستطيع العدول عن ذلك ولو بالعلاج أو التعليم ؛ لأن ذلك قد يكون من التكليف بما لا يستطاع ، وحينئذ يكون واجب الباحث المدقق الكشف عن ظروف المجتمع أو البيئة وملابساتها حتى يستطيع أن يبرهن على صحة هذه الطرائق النطقية المختلفة ومدى اتساقها مع البيئة التي يعيشون فيها وفيما يلي توضيح ذلك :

١ ـ بين الضم والكسر :

تميل البيئات البدوية إلى الضم ، حين تجنح الحضرية إلى الكسر، ومعنى ذلك أن الكلمة إذا رويت بروايتين : إحداهما تشتمل على ضم في موضع معين من الكلمة ، والرواية الأخرى تتضمن الكسر في نفس الموضع من الكلمة ، رجحنا أن الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية ،

---

[1] التفسير الكبير ١ / ٥٣ بتصرف .

وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية ، وأن الروايتين كانتا تستعملان معا في زمن واحد ولكن في بيئتين مختلفتين ، وليست إحداهما أصل والأخرى فرع عنهما ، بل إن الروايتين قد وجدنا معا وعاشتا في عصور ما قبل الإسلام [1] ، وهذا الحكم مبني على الأغلب، والأعم طبقا لخصائص البيئتين والتي قد سبق ذكرها في الفصل الأول ، وذلك لأن القوانين الصوتية لا تعرف الحتمية كما سيأتي تفصيل ذلك : عند حديثنا عن خروج البيئة أو القبيلة عن معتاد حالها .

ومما يؤيد نسبة الضم إلى البيئات البدوية ، والكسر إلى البيئات الحضرية ، أننا قد وجدنا كلمات كثيرة رويت أو قرأت بالضم تارة وبالكسرة تارة أخرى ، وقد عزى الضم فيها إلى البيئات البدوية في وسط الجزيرة وشرقها ، وعزى الكسر إلى البيئات المتحضرة في غرب الجزيرة أو ما قارب وسطها ، ومن ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ [2] . فقوله (وقثائها) فيه قراءتان : كسر القاف وهي القراءة المعروفة وهي قراءة الجمهور ، وضم القاف وهي قراءة الأعمش وطلحة ويحيى بن وثاب [3] . وكسر القاف وضمها فيه لغتان عن العرب [4] ، وقد عزى الكسر فيه إلى أهل الحجاز ، والضم إلى تميم وبعض بني أسد [5] ، ومنهم من عزا الضم إلى تميم وحدها . [6]

---

[1] في اللهجات العربية ٩٢ .

[2] سورة البقرة من الآية ٦١ .

[3] التفسير الكبير ٣ / ٩٣ ، والبحر المحيط ١ / ٣٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١/٤٢٤ .

[4] التبيان في إعراب القرآن ٦٨٨ ، وعمدة القارئ ٢١ / ٦٦ .

[5] زاد المسير ١ / ٨٨ .

[6] تهذيب الأسماء ٣ / ٢٦٠ .

ومنه : صنوان في قوله تعالى : ﴿ وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان ﴾ [1] الصنوان جمع صنو ، والمراد بها : النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد [2] وفيه لغتان : كسر الصاد وهي اللغة المشهورة وبها قرأ الجمهور ، وضم الصاد وبها قرأ أبو رزين ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وابن جبير وقتادة ، وحفص عن عاصم [3] ، وقد عزى الصنوان بكسر الصاد إلى أهل الحجاز ، وبالضم إلى تميم وقيس . [4]

ومنه العدوة في قوله تعالى : ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهو بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ﴾ [5] قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (بالعدوة) بكسر العين في الحرفين ، والباقون بالضم وهما لغتان [6] ، وعزيت القراءة بها إلى عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي [7] . قال الأخفش : لم يسمع من العرب إلا الكسر ، وقال ثعلب : بل الضم أكثر اللغتين [8] . وقول ثعلب هو الأدق للقراءة به ، ولأنه قد عزى لفظ (العدوة) بضم العين إلى تميم وقيس [9] في حين نسب (العدوة) بكسر العين إلى أهل الحجاز . [10]

---

[1] سورة الرعد من الآية (٤) .

[2] التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٣٠ .

[3] معاني القرآن للنحاس ٣ / ٤٦٩ والتفسير الكبير ١٩ / ٧ .

[4] إعراب القرآن ٢ / ٣٥٠ ، ٣٥١ ، وزاد المسير ٤ / ٣٠٣ ، وتفسير أبي السعود ٥/٥ وروح المعاني ١٣ / ١٠٢ .

[5] سورة الأنفال من الآية ٤٢ .

[6] التفسير الكبير ١٥ / ١٣٤ .

[7] زاد المسير ٣ / ٣٦١ .

[8] السابق نفسه .

[9] إصلاح المنطق ١١٥ ، والمزهر ٢ / ٢٧٥.

[10] البحر المحيط ٤ / ٤٩٥ ، والمزهر ٢ / ٢٧٥.

كذا عزى الضم في (أسوة ، وغلظة ، ورفقة) إلى تميم وقيس ، والكسر إلى أهل الحجاز. [1]

كما عزى ضم القاف في (قنوان) إلى قيس ، والكسر إلى أهل الحجاز ، أما (قنيان) بالياء فقد عزى ضم القاف فيه إلى تميم وضبة ، وكسر القاف فيه إلى بني كلاب [2] ، وهي قبيلة حضرية عاشت على حدود الشام على الطريق الذي كان يسلكه الحجازيون في تجارتهم مع بلاد الشام ، وعلى هذا فبيئتهم ليست إلا امتدادا طبيعيا للبيئة الحجازية . [3]

ومن ذلك : ما رواه ابن السكيت من أن الكلابيين يقولون : شواط بكسر الشين ، وغيرهم يقول : شُواط بالضم [4] . والكلابيون جزء منهم متأثر بالحجاز وهم الذين سكنوا في جهات المدينة المنورة ، ثم كانت لهم حضارة وملك الشام فهم حضر ولهذا آثروا الكسر ، بينما غيرهم من البدو أثروا الضم [5] ، وباللغتين قرئ قوله تعالى : ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ [6] وقد عزيت القراءة بالكسر إلى ابن كثير وهو مكي ، في حين قرأ الجمهور أو باقي السبعة بضم الشين . [7]

هذا بالإضافة إلى كلمات أخرى كثيرة نسب فيها الضم أو الواو إلى أهل البادية ، ونسب فيها الكسر إلى أهل الحضر ومن ذلك : رضوان ، وسخريا ،والعشوة ،وقبلا ،والقدوة ، والمرية

---

[1] إصلاح المنطق ١١٥ ، وجامع البيان ٢١ / ١٤٣ ، وزاد المسير ٦ / ٣٦٧ ، الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٥٥ ، والإتحاف ١ / ٤٥٣ .

[2] إعراب القرآن ٢ / ٨٦ ، وتهذيب اللغة (ق ن ا) وزاد المسير ٣ / ٩٣ ، والمحرر الوجيز ٣٢٨/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٤٨ .

[3] في اللهجات العربية ٩٥ .

[4] إصلاح المنطق ١٠٦ .

[5] اللهجات العربية في التراث ٢٥٤ .

[6] سورة الرحمن (٣٥) .

[7] المحرر الوجيز ٥ / ٢٣١ ، وفتح القدير ٥ / ١٣٧ .

ومنذ ، والكسايان والكساوان ، وحيث وحوث ، وما أعيج به وما أعوج به والصيام والصوام ، وصياغ وصواغ ، ومياثق ومواثق ، .... إلخ . وقد أفاض اساتذتنا في الحديث عنها ، و ذكروا ما يؤيد نسبة الكسر أو الياء فيها للبيئات المتحضرة كأهل الحجاز وكنانة وفزارة وهي من غطفان وقد عاشوا بالقرب من الحجاز ، وبني سليم ، وتقع بعض ديارها في منطقة الحجاز ويثرب كما كانت صلاتها وثيقة بقريش فهي حضرية لذلك ، ولأن ديارها كانت في منطقة تهيمن على طرق التجارة . كما ذكروا ما يفيد نسبة الضم إلى البيئات البدوية كتميم ، وقيس وأسد وغيرهم .[1]

وقد ناسب الضم البيئات البدوية ؛ لأنه صفة من صفات الخشونة التي يحرص عليها البدوي ، ويدرك أنها تميزه عن غيره ، لذا فقد استمسك بها وتعصب لها في أكثر الأحيان ، فهو ثقيل كما سبق ، ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر من الكسر ؛ لأنه يتكون بتحرك أقصى اللسان ، في حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان ، وتحرك أدنى اللسان أيسر من تحرك أقصاه . وهو مناسب بطبيعة الحال للبيئات الحضرية ، إذ هو دليل التحضر والرقة في معظم البيئات اللغوية ، فالكسرة حركة المؤنث في اللغة العربية والتأنيث عادة محل الرقة ، أو ضعف الأنوثة ، ولاشك أن الحضري أميل إلى هذا بوجه عام . هذا إلى أن الياء التي هي فرع عن الكسرة تعد العلامة الأساسية للتصغير في لغتنا العربية . بل إن كثيرا من المحدثين من يؤكد لنا أن الكسرة في كثير من اللغات ترمز إلى صغر الحجم والرقة وقصر الوقت .[2]

٢ ـ بين الضم أو الكسر وبين الفتح :

قد تروى الكلمة بروايتين تشتمل إحداهما على الضم والأخرى على الفتح ، أو إحداهما على الكسر والأخرى على الفتح والمعنى فيهما واحد ، فتميل القبائل البدوية إلى اختيار أثقل الصوتين ، وتختار البيئات الحضرية أخف الصوتين في النطق ؛ ومما يدل على ذلك أن كلمات كثيرة

---

[1] في اللهجات العربية ٩١ ــ ٩٦ واللهجات العربية في التراث ٢٥٢ ــ ٢٥٦ ، واللهجات العربية نشأة وتطورا ٢٣٨ وما بعدها .

[2] في اللهجات العربية ٩١ ــ ٩٦ بتصرف ، و من أسرار اللغة ١٤٨.

رويت بالضم أو بالكسر تارة وقد عزى فيها الضم أو الكسر إلى البيئات البدوية المنتشرة في شرق الجزيرة العربية ، وبالفتح تارة ثانية وقد نسب فيها الفتح إلى البيئات المتحضرة غرب الجزيرة العربية .

فمما روى بالضم تارة وبالفتح تارة ثانية :

أ) ـ الزعم : يروي بضم الزاي وفتحها وهما لغتان ، ولا يستعملان في الأكثر إلا في القول الذي لا يتحقق [1] . وذكر ابن الجوزي أن فيه ثلاث لغات أى لهجات وقد قرئ باثنتين منها في قوله تعالى : ﴿ فقالوا هذا لله بزعمهم ﴾ [2] قال : " فأما قوله (بزعمهم) فقد قرأ الجمهور بفتح الزاي ، وقرأ الكسائي والأعمش بضمها ، وفي الزعم ثلاث لغات ضم الزاي وفتحها وكسرها ... قال الفراء : فتح الزاي في الزعم لأهل الحجاز ، وضمها لأسد ، وكسرها لبعض قيس فيما يحكي الكسائي " [3] ، كذا جاء في المصباح المنير [4] . وذكر ابن منظور أن فيه ثلاث لغات عن العرب إلا أنه نسب الضم إلى بني تميم والفتح إلى أهل الحجاز ولم ينسب كسر الزاي لأحد من العرب، [5] وكذا جاء في تاج العروس . [6]

ب) ـ القرح : وقد روى بفتح القاف وضمها وهما لغتان أو لهجتان عن العرب وبهما قرى قوله تعالى : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [7] فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر

---

[1] التفسير الكبير ١٠ / ١٢٣ .

[2] سورة الأنعام من الآية (١٣٦) .

[3] زاد المسير ٣ / ١٢٩ .

[4] المصباح المنير (ز ع م) .

[5] اللسان (ز ع م) .

[6] تاج العروس (ز ع م) .

[7] سورة آل عمران (١٤٠) .

ونافع (قرح) بفتح القاف ، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (قرح) بضم القاف[1] وقد عزى (القرح) بفتح القاف إلى تهامه والحجاز ، و(القرح) بضم القاف إلى أهل نجد. [2]

فابن كثير قارئ مكة ، ونافع قارئ المدينة يمثلان البيئة الحجازية ، وحمزة والكسائي كلاهما كوفي ، والقراء الكوفيون استمدوا نماذج قراءتهم من بيئتهم العراقية ، وكانت قبائل تميم تلاصق هذه البيئات ؛ لأن البيئة العراقية تأثرت بقبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، ولاشك أن تميما كانت تتناثر ديارها في شرق الجزيرة ، لهذا ظهرت لهجتها على لسان حمزة والكسائي [3] . كذا كان أبو بكر شعبة بن عياش كوفيا وصاحب قراءة . [4]

جـ) ـ الحوب بضم الحاء والحاب بفتحها ، والفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم . [5]

د) ـ الفواق بفتح الفاء لغة الحجاز ، والضم لغة أهل نجد من بني أسد وتميم . [6]

هـ) ـ الموتان بضم الميم وسكون الواو وهو الموت ... وفيها لغة أخرى فتح الميم وإسكان الواو [7] ، وقد ذكر ابن التلمساني أن الضم لغة تميم والفتح لغة غيرهم . [8]

و) ـ الينع : بفتح الياء في لغة الحجاز وبضمها في لغة بعض نجد . [9]

---

[1] زاد المسير ١ / ٤٦٦ .

[2] المحرر الوجيز ١ / ٥١٣ .

[3] اللهجات العربية في التراث ٢٥٩ .

[4] ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ / ٣٧٧ .

[5] كنز العمال ٣ / ٦٢ ، ٩ / ٢٨٦ .

[6] الإتحاف ٢ / ٤١٩ ، والتدوين في أخبار قزوين ٢ / ٢٤٠ .

[7] كشف المشكل ٤ / ١٣٤ .

[8] تاج العروس (م و ت) .

[9] البحر المحيط ٤ / ١٨٨ .

ومما روى بالكسر تارة وبالفتح تارة ثانية .

أ) ــ الحج بفتح الحاء وكسرها ، والكسر لغة نجد ، والفتح لغة الحجاز ، أو أهل العالية.[1]

ب) ــ اللحية بفتح اللام وكسرها ، والفتح لغة الحجاز .[2]

ج) ــ المطلع بفتح الميم وكسرها ، والقياس الفتح وهي لهجة الحجاز ، والكسر لتميم .[3]

د) ــ الوتر بفتح الواو في لهجة أهل الحجاز وبكسرها في لهجة تميم وأسد وقيس.[4]

ومن هنا ندرك أنه إذا تعاقب الفتح والضم في أول الكلمة وكان المعنى واحداً فالفتح لأهل الحجاز وقامة وغيرهما من البيئات الحضرية ، والضم لتميم وأسد وقيس ومن على شاكلتهم من أهل البادية .

والفتح يلائم البيئات المتحضرة لما فيه من خفة على اللسان ، إذ يكون اللسان حين النطق بهذا الصوت مستويا في قاع الفم ، فليس فيه جهد عضلي حين النطق به ، وتكون الشفتان في وضع محايد ، لا هما منفرجتان كما في الكسرة ، ولا متكورتان وبارزتان إلى الأمام كما في الضمة. ويناسب الضم البيئة البدوية لما فيها من خشونة وغلظة تظهر في أداة تعبيرهم . فهي أثقل الحركات كما سبق إذ هي حركة ضيقة يرتفع مؤخر اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات .[5]

كما يناسب الكسر البيئة البدوية إذا تعاقب مع الفتح ؛ لأنه أثقل من الفتح وإن كان أخف من الضم ، إذ فيه يرتفع مقدم اللسان إلى أقصى ما يمكن بحيث لو زاد عن ذلك لأدى إلى

---

(1) التفسير الكبير ٨ / ١٣٣ ، والمحرر الوجيز ١ / ٤٧٧ ، وفتح الباري ٣ / ٣٧٨ .

(2) فيض القدير بشرح الجامع الصغير ٥ / ٧٧ .

(3) اللهجات العربية في التراث ٦٠٦ .

(4) الأمالي في لغة العرب ١ / ١٤ ، وإبراز المعاني ٢ / ٦٢٣ ، واللسان (و ت ر) .

(5) علم اللغة العام (الأصوات) ص١٤٤ .

حدوث خفيف مسموع فيصبح صوتا صومتا هو الياء ، وليس حركة .[1]

وهذا الحكم و هو الضم أو الكسر البدوي في مقابل الفتح الحضري ليس مطـــرداً ؛ لأن الظواهر اللغوية لا تعرف الاطراد ، وإنما هو مبني على الكثرة الغالبة .

جـ) اختيار ما ثقل من الصيغ أو خف :

الأصل في العربية أن يختلف المعنى باختلاف الصيغة ، لكن وجدنا في معجمات العربية ، أن بعض الكلمات قد رويت بصيغتين مختلفتين والمعنى فيهما واحد وإحداهما مجردة والأخرى مزيـــدة، وقد وجدنا صدى ذلك في القراءات القرآنية مما يعني جواز النطق بهما واستعمالهما معـــا وأنهمـــا فصيحتان وإن كانت إحداهما أفصح من الأخرى ، وهذا إن دل فإنما يـــدل علـــى أن اخـــتلاف الصيغتين إنما هو أثر من آثار اختلاف اللهجات العربية في صوغ الكلمات أو في اشتقاقها ، وقـــد ناسبت كل منهما بيئتها الناطقة بها تبعا لظروف حياتها ومعيشتها ، إذ غلب على البيئات البدويـــة استعمال الصيغـــة المزيـــدة ، وغلـــب علـــى الحضريـــة استعمـــال الصيغة المجردة ، ومن ذلك ما يلي :

---

[1] السابق نفسه .

١ ــ فعل وأفعل :

الأصل في هذا الباب أن يكون كل منهما بمعنى مستقل عن الآخر ، لكن ورد في بعض كتب اللغة أنهما قد يأتيان بمعنى واحد ، وهذا إن دل فإنما يدل على أنهما لهجتان مختلفتان وهذا ما فطن إليه ابن درستويه (ت ٣٣٧هـ) إذ قال : " ولا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد ، كما لم يكونا على بناء واحد ، إلا أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين ؛ فأما في لغة واحدة ، فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ، كما يظن كثير من النحويين واللغويين .... وليس يجيء شئ من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين ، أو يكونا على معنيين مختلفين ، أو تشبيه شيء بشيء ... " . [١]

وبالرجوع إلى الكلمات التي رويت بالوجهين نجد ميل القبائل البدوية إلى الصيغة المزيدة (أفعل) ، وميل القبائل الحضرية إلى الصيغة المجردة (فعل) فمن ذلك : سحت وأسحت لغتان معروفتان بمعنى واحد وبهما قرئ قوله تعالى : ﴿ فيسحتكم بعذاب ﴾ [٢] وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أن الفتح فيها (أي في الياء) أعجب إلي ؛ لأنها لغة أهل العالية وهي أفصح ، والأخرى وهي الضم (أي ضم الياء في يسحتكم) في نجد " . [٣]

وقد عزيت صيغة (فعل) المجردة أي سحت إلى أهل الحجاز ، وصيغة (أفعل) المزيدة بالهمزة إلى تميم [٤] . وبها قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم . [٥]

---

[١] تصحيح الفصيح وشرحه ص٧٠ .

[٢] جامع البيان ١٦ / ١٧٩ .

[٣] الجامع لأحكام القرآن الكريم ١١ / ٢١٥ ، وفتح القدير ٣ / ٣٧٢ ، والإتحاف ١ / ٣٨٤ .

[٤] زاد المسير ٥ / ٢٩٦ .

[٥] السابق نفسه

ومنه : فتن وأفتن ، وفتن لغة أهل الحجاز ، أما أهل نجد فيقولون : أفتنت [1] . وعزاها أبو حيان إلى تميم وربيعة وقيس . [2] ومنه : حزن وأحزن ، وحزن لغة قريش ، وأحزن لغة تميم . [3] ومن ذلك : مرج قال الأخفش : ويقول قوم (أمرج) البحرين مثل مرج فعل وأفعل بمعنى[4] . وقد عزيت صيغة (فعل) في مرج إلى أهل الحجاز ، وصيغة (أفعل) في أمرج إلى نجد.[5] ومنه : جزأ في لغة أهل الحجاز ، وأجز في لغة غيرهم وزعموا أنها في تميم خاص [6] .

وهناك كلمات أخرى كثيرة وردت بالوجهين وقد عزيت فيها الصيغة المجردة إلى قريش أو أهل الحجاز عامة ، والصيغة المزيدة إلى تميم وقيس وأسد وربيعة أو أهل نجد عامة مثل :لحد وألحد ، وسقى وأسقى ، وحرم وأحرم ، ولات وألات ، ومض وأمض .

وقد ناسبت الصيغة المجردة (فعل) البيئات المتحضرة والتي قد عرف عنها التخلص من الهمز ، فحذفوا همزة (أفعل) وحركوا الفاء ؛ لأن العربي لا يبدأ النطق بساكن . [7] أو لأن صيغة المجرد هي الأصل ،و المزيدة قد تطورت عنها فحافظوا على الأصل . [8]

أما اختيار البيئة البدوية للبنية الطويلة (أفعل) فهو مناسب لطبيعة بيئتهم التي تميل إلى الإيضاح وتأكيد المعنى ، وهذا ما أكده أستاذنا د/ هلال بقوله : " إن بني تميم يزيدون الهمزة إيضاحا وبيانا وتقوية للمعنى " . [9]

---

[1] جامع البيان ٢٣ / ١١٠ ، واللسان (ف ت ن) .

[2] البحر المحيط ٣ / ٣٥٣.

[3] البحر المحيط ٦ / ٣١٧ ، وروح المعاني ١٧ / ٩٩ .

[4] الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ١٦٢ ، وفتح القدير ٤ / ٨١ .

[5] روح المعاني ١٩ / ٣٣ .

[6] جامع البيان ١ / ٢٦٦ .

[7] مشكلة الهمزة العربية ١٢١ ، ولغة تميم ٣٧٩ .

[8] لغة قريش ٢١٨ .

[9] اللهجات العربية نشأة وتطورا ٣٤٠ هامش ٤١ .

ويقول أحد المحدثين : " ومما يؤكد التجاء تلك القبائل البدوية إلى (أفعل) التي بمعنى (فعل) للتأكيد قول الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) في حزن وأحزن بمعنى : " إنهم إذا أظهروا الصوت أو الأمر قالوا : أحزنني الأمر ، وأحزنني الصوت ، ونحو ذلك بالألف ، وإذا لم يظهروا ذلك قالوا : " حزنني " فهذا دليل على أن تلك القبائل تميل إلى استخدام تلك الصيغة للإظهار ولفت النظر إلى تأكيد المعنى " . [١]

٢ ــ فَعَل وفعَّل :

قد يجيء الفعل على صيغتي (فعل) المجردة ، و(فعل) المزيدة بتضعيف العين والمعنى فيهما واحد مما يدل على أنهما لهجتان ، وقد نسبت صيغة (فعل) المزيدة بالتضعيف إلى تميم .

ومن ذلك : بشر بالتخفيف وهي لغة كنانة ، أو تهامة وما والها ، وبشر بتضعيف العين وهي لغة عكل وتميم . [٢]

ومنه نكس بالتخفيف ، ونكس بالتشديد قال الفراء : " قرأ عاصم وحمزة ﴿ ننكسه في الخلق﴾ ، وقرأ أهل المدينة ننكسه بالتخفيف " . [٣]

يقول أحد الباحثين المحدثين : " إذا وردت الصيغتان (فعل) و(فعل) بدلالة واحدة دون نسبة إلى بيئة معينة ، نرجح أن الثقيلة تميمية ؛ لأن من الأعلام التميمية ما كان على هذا الوزن فخضم اسم للعنبر بن عمرو بن تميم . [٤]

ومن ذلك : (عضضته) بالتشديد تميمية ، وغيرهم ينطقها (عضضته) بالتخفيف وكذلك أهل نجد يقولون : مجدها تمجيدا ، وأهل العالية يقولون : مجدت الدابة إذا علقتها ملء بطنها ــ مخففة " .

---

[١] من صيغ العربية وأوزانها (أفعل) ص٥٨ .

[٢] لغة تميم ٣٨٥ ولغة قريش ٢٢٠٤ ، والمعجم الكامل في لهجات الفصحى ٥١ ، واللهجات في التراث ٦٦٥ .

[٣] تهذيب اللغة ١٠ / ٤١٠ .

[٤] لغة تميم ٣٨٣ .

فالمقصود بأهل نجد الذين نطقوا بالتشديد عدة قبائل بدوية كتميم وأسد وقيس ، والمراد بأهل العالية ـــ وهم المخففون ـــ أهل المدينة ومن حولها ومن يليها ، أو قريش ومن والها .[1]

فالبيئات البدوية تؤثر التشديد ؛ لأنها تميل إلى الشدة في الكلام ، وذلك لما في طبعها من جفاء وغلظة ، بخلاف أهل الحضر فإنهم يميلون إلى التخفيف وذلك ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم التي تميل إلى التؤدة والليونة .[2]

٣ ـــ فعل وافتعل :

نطق العرب أفعالا جاءت على وزن (فعل) تارة ، وعلى وزن (افتعل) تارة ثانية ، وعزيت الصيغة المزيدة أو الطويلة (افتعل) إلى تميم ، والمجردة إلى الحجاز .

ومن ذلك : (اتخذ) يذكر يونس في نوادره أن أهل الحجاز يقولون : تخذت ووخذت ، وتميم يقولون : اتخذت ، وقد وردت الصيغة التميمية في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الله ولدا ﴾[3] . ومن ذلك ادخر في لهجة تميم ، ودخر في لغة كنانة و، نقد في لهجة أهل الحجاز ، وانتقد في لهجة تميم .[4]

ثانيا : البيئة بين السرعة في النطق والتأني فيه :

تميل القبائل البدوية إلى السرعة في نطقها ، وتلمس أيسر السبل فتبدل حرفا من آخر أسرع نطقا منه ، وتدغم الأصوات بعضها في بعض ، وتسقط من الأصوات ما يمكن الاستغناء عنه دون إخلال بفهم السامع ، وتقدم حرفا على آخر ، كل ذلك تحقيقا للسرعة في النطق ، ولاشك أن حياة السكينة والهدوء في البادية لا تتطلب نشاطا كذلك الذي قد تحتاج إليه حياة الحضر ، لما

---

[1] اللهجات العربية في التراث ٦٦٤ .

[2] اللهجات العربية في التراث ٦٥٧ .

[3] سورة البقرة من الآية (١١٦) .

[4] لغة تميم ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

بها من صخب وأمور دنيوية معقدة تدفع بالمرء إلى حل تلك المشاكل التي كثيرا ما تعترض الحضري بحكم بيئته ، وخضوعه لنظام من الحكم متعدد القوانين . ولا يستطيع المرء أن يشق طريقه بنجاح في حياة الحضر إلا بأن يظهر نشاطا في عمله ؛ وأن يلقي جهدا في موارد رزقه . أما البدوي الذي يقنع بالقليل ، ويخلد إلى السكينة والهدوء فحياته مليئة بالتراخي، ومما يشبه الكسل حتى في نطقه ، فهو يقتصد في الجهد العضلي وفي التنفس ، ويميل إلى الاختصار في القول ، لا يكاد يبدأ الكلام حتى ينتهي منه . [1]

يقول فندريس : " الذاكرة عند البدائيين ـــ (والبدو كذلك) ـــ نامية عادة نموا كبيرا . لقد فرضتها عليهم حاجيات كبيرة الأهمية وضرورات حيوية بالنسبة لهم ، فنشاطهم العقلي لا تعاونه تلك الطرق العديدة التي تحل في سهولة ويسر عند المتحضرين محل الذاكرة وتورثها الكسل دون أي ضرر في ذلك " . [2]

لهذا كله صبغت لهجات البدو بصفات صوتية في الأغلب ، وغير صوتية أحيانا تخالف لهجات الحضر ، وترجح في مجملها إلى أن البدوي ينطق الحروف أو الكلمات بصورة أسرع ، بخلاف الحضري الذي يتأنى في نطقه بالحروف والكلمات فيعطي كل صوت حقه دون حيف به أو إخلال .

وتتحقق السرعة في النطق عند البدو في مظاهر عدة أهمها ما يلي :

١ ـــ النطق بالأصوات الشديدة بدلا من الرخوة .

مالت القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة في نطقها ، وهو أمر طبيعي يلتئم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع ؛ لأن هذه الأصوات سريعة النطق بها ، حاسمة ، ثم إن ما فيها من عنصر انفجاري ينسجم وسرعة الأداء عند الأعراب ، وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من

---

[1] في اللهجات العربية ١٣٢ بتصرف .

[2] اللغة ٤٣١ .

الأصوات القوية السريعة التي تطرق الآن كأنما هي فرقعات متعددة ، في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام ، إذ فيها من التؤدة والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم . فالباء والتاء والدال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة قد نسمعها في أفواه المتحضرين على الترتيب : فاء ، سينا ، زايا ، شينا . هذا إلى أن الأصوات الشديدة تحتاج إلى جهد عضلي أقل من نظائرها الرخوة فإذا رويت لنا الكلمة بروايتين : في إحداهما تشتمل الكلمة على صوت شديد ، وفي الأخرى على نظيره الرخو ، أمكن نسبة الصيغة المشتملة على الصوت الشديد إلى بيئة بدوية وأن تنسب الأخرى إلى بيئة حضرية .[1]

ومما يدل على ذلك تلك الكلمات التي رويت بروايتين ونسب الصوت الشديد فيها إلى البدو ، والرخو إلى الحضر ومن ذلك ما يلي :

أ) ــ إبدال الطاء من الصاد مثل : لص ولصت ، والتاء شديدة ونظيرها الرخو هو الصاد ، أو السين ، وقد عزى النطق بالتاء إلى قبيلة طيئ . كذلك يقولون : الطست بدلا من الطس .[2] وقبيلة طيئ متوغلة في البداوة فلا غرابة أن يقلب في لهجتها صوت رخو إلى نظيره الشديد . فالسين صوت رخو ، نظيره الشديد التاء ، والصاد صوت رخو نظيره الشديد هو الطاء إذا رققت أصحبت تاء .[3]

كما عزى هذا الإبدال في بعض المراجع إلى الأزد ، وإلى تميم[4] ، والأزد من أشهر قبائل العرب ، وكنت تقيم باليمن ثم تركتها على أثر خراب سد مأرب فاختلفت اسماؤها باختلاف الأماكن التي نزلت فيها .[5]

---

[1] في اللهجات العربية ص١٠٠ .

[2] الجمهرة (ص ل ل) ١/١٤٤، والتهذيب (ص ت ل) ١٢ / ١٠٩ ، في التعريب والمعرب ١١٩ ، ١٢٠ ، وكشف المشكل ١ / ٣٥٦ ، واللسان (ل ص ت ، ل ص ص ، ط س س) وتاج العروس (ط س ت) .

[3] في اللهجات العربية ١٠٣.

[4] انظر اللهجات العربية في التراث ٤٥٤ .

[5] السابق ص ٥٠٠ .

ومثله : إبدال التاء من السين في (الناس) و(النات) في لهجة أهل اليمن ولقبت بالوتم . [1]

ب) ـــ تبدل قيس التاء من الزاي فيقولون : لاتب بدلا من لازب [2] ، وقيس أكثرهم من البدو ، وبالوجهين قرئ قوله تعالى: ﴿ من طين لازب ﴾ . [3]

جـ) ـــ تبدل عقيل الباء من الفاء فتقول : عكوب الطير بدلا من عكوف الطير ، وقيل : العكوب بالباء لبني خفاجة من بني عقيل [4] ، وعقيل من القبائل البدوية التي عاشت بالقرب من تميم وتأثرت بها . [5]

يتضح مما سبق أن القبائل البدوية كطيئ ، وتميم ، وبعض قيس ، وعقيل ، قد آثرت النطق بالصوت الشديد ، ومما لاشك فيه أن القبائل المتبدية تجنح إلى السهولة والأيسر عندها أن تنتقل الأصوات من الرخاوة إلى الشدة إذ الأسهل على اللسان ـــ أو الأسرع له ـــ أن يصطدم بالحنك ويلتقي التقاء محكما ينحبس معه النفس وهو ما يكون مع الأصوات الشديدة ، من أن تقف حركته عند مسافة قصيرة من الحنك ليكون بينهما مجرى يتسرب منه الهواء كما يحدث في الأصوات الرخوة ، فالصوت الشديد يتسم وحياة البدوي وما يعرف عنه من جفاء وحسم . [6]

وعلل بعض العلماء ميل القبائل البدوية إلى النطق بالأصوات الشديدة إلى الحالة النفسية التي يكون عليها الشعب ، " فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة ، فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس "[7] .

---

[1] الجمهرة (س ع ل) ، والمزهر ١ / ٢٢٢ ، ومميزات لغات العرب ١٣ .

[2] جامع البيان ٢٣ / ٤٢ ، واللسان ، والتاج (ل ت ب) .

[3] الصافات من الآية (١١) ، وانظر الكشاف ٤ / ٤٠ .

[4] اللسان والتاج (ع ك ب) .

[5] في اللهجات العربية ص ١٠١ .

[6] اللهجات العربية في التراث ٤٥٥ .

[7] الأصوات اللغوية ٢٣٥ .

وعلى هذا فإن الجو النفسي للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق فبقدر سرور الإنسان أو حزنه ، واستقراره وعدمه تكون ألفاظه معبرة . [1]

٢ــ النطق بالأصوات المتماثلة أو المتقاربة أو المتجانسة مدغمة بعضها في بعض :

الإدغام هو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين فيصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عند النطق به ارتفاعه واحدة . [2]

وهو صفة من الصفات النطقية التي يتمسك بها البدوي في نطقه ليكون أسهل عليه ، وأسرع ، ويتم ذلك بتبديل بعض الأصوات ببعض عن طريق تغيير المجالس أو الصفات في أحد الصوتين المتجاورين ، ليتفق في المخرج أو الصفة مع مجاوره فيحدث نوع من التوافق ، وهو في هذه الحال يكون أسهل من النطق بالحرفين مظهرين كل منهما على حده كما يفعل الحضري المتأني في نطقه .

ومما يؤكد نسبة الإدغام إلى البيئات البدوية أنه قد نسب إليها في كثير من كتب اللغة ، إذ نسب فيها إلى تميم ، وأسد ، وطيئ ، وتغلب ، وعبد القيس ، وبكر بن وائل ، وكعب ، ونمير وهما بطنان من عامر بن صعصعة من هوازن سكنتا العروض مجاورتين لتميم .

ونسب فيها الفك أو الإظهار إلى البيئات الحضرية كقريش ، وثقيف ، وكنانة ، والأنصار ، وهذيل . [3]

وإنما ناسب الإدغام البيئات البدوية ؛ لأنه يحقق السرعة في الأداء ، وهو ما ينسجم مع البدوي الذي يلتمس أيسر السبل وأسرعها في نطقه . وهذا ما فطن إليه علماء اللغة قديما وحديثا

---

[1] اللهجات العربية نشأة وتطورا ١٥٢ .

[2] نهاية القول المفيد في علم التجويد ١٠٤ .

[3] الكتاب ٤ / ٤٧٣ ، والحجة لأبي علي ٣ / ٢٣٢ ، وشرح الشافية ٣ / ٢٤٤ ، والتصريح بمضمون التوضيح ٢ / ٤٠١ ، والبحر المحيط ٣ / ٥٢٣ ، وفي اللهجات العربية ٧٣ ، واللهجات العربية في التراث ٣١١ ، واللهجات العربية نشأة وتطور ٣٥٦ .

فقد أشار ابن جني (رحمه الله) إلى هذه الخاصية في الإدغام وهي السرعة في الأداء فقال بعـــد أن تحدث عن إدغام المثلين كما في قطع وسكر ، والمتقاربين كما في ود : " والمعنى الجامع لهـــذا كلـــه تقريب الصوت ، ألا ترى أنك في قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نبا اللـــسان عنهما نبوة واحدة ، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر ، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت وقفة عليها تمتاز من شدة ممازجتها للثانية بها ، كقولك قططع وسككر ، وهذا إنما تحكمه المشافهة به ، فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة علـــى الأول وخلطته بالثاني فكان قربه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه ... " . [1]

أما المحدثون من علماء اللغة فقد بينوا السرعة النطقية التي يحققها الإدغام عـــن طريـــق توضيح العملية الفسيولوجية ، أو الحركات العضلية التي يقوم بها اللسان حال النطـــق بالـــصوتين المثلين أو المتقاربين أو المتجانسين مدغمين أو مظهرين .

يقول د / أنيس : " لا شك أن فناء صوت في آخر ، تلك الظاهرة التي نسميها بالإدغـــام يترتب عليه دائما اقتصاد في الجهد العضلي ، والوصول بالنطق إلى مرماه من أقصر الطرق ، فإدغام الثاء في التاء في مثل (لبثتم) يوفر علينا انتقال اللسان من مخرج الثاء إلى مخرج التاء كمـــا يـــوفر علينا الجمع بين عمليتين متناقضتين ، ففي الأولى منهما نسمع صوت صفير الثاء الـــتي هـــي مـــن الأصوات الرخوة ، وفي الثانية نسمع صوتا انفجاريا للتاء ، ووضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى والثنايا مختلف في كلتا العمليتين ، إذ في الأولى يترك فراغا يتسرب منه الهواء ، وفي الثانية يلتقـــي بالحنك التقاء محكما ينحبس معه الهواء ، ولكنا في حالة الإدغام نحتاج إلى وضع واحد للسان وإلى عملية واحدة ، وفي هذا اقتصاد محسوس في الجهد العضلي " . [2]

كما بين أستاذنا د / عبد العزيز علام كيفية الاقتصاد في الحركات العضلية حين النطـــق بالصوتين مدغمين فقال : " من المعروف في مجال الصوتيات أن لكل صوت منطوق تحركين : ضربة

---

[1] الخصائص ١ / ١٤١ ، ١٤٢ .

[2] الأصوات اللغوية ٢٥٢ .

أمامية تأخذ بها الأعضاء وضعها المطلوب ، وضربة خلفية تعود بها الأعضاء بعد الانتهاء من نطق الصوت إلى وضع الراحة ، ولما كانت هناك نظرية الاقتصاد في الجهد العضلي فإن جهاز النطق يطبقها في ظاهرة الإدغام ، فيستغني عن إحدى الضربات ، أو أحد التحركات ، ففي المثال الذي معنا ـــ (قالت طائفة) ـــ كان المفروض أن تقوم الأعضاء بأربع ضربات مع الصوتين لكل منهما ضربتان : أمامية وخلفية ، ولما كانت هذه الضربات متحدة الموضع من حيث الابتداء والانتهاء (أي أنهما تبدءان من مكان واحد وتصلان إلى مكان واحد) فقد مال جهاز النطق إلى الاقتصاد فيها . فاكتفى بثلاث ضربات وأسقط واحدة ، ذلك أن الأعضاء تتحرك لتأخذ الوضع المطلوب منها للتاء فهذه ضربة ، وبعد انتهاء الأعضاء من مهمة نطق هذا الصوت تأخذ في الرجوع إلى وضع الراحة ، فلا تكاد تبدأ حتى يصدر لها الأمر بأن تبقى كما هي في الموضع نفسه لنطق الطاء التالية وهذه ضربة ثانية ، وبعد أن ينتهي زمن الغلق مع الطاء التالية ترجع الأعضاء إلى وضع الراحة محدثة الإنفجار الذي نسمع معه الطاء ، وتلك ضربة ثالثة ، وهكذا يتم تفسير الظواهر الصوتية فسيولوجيا " .[1]

وعلى هذا يكون الإدغام ظاهرة صوتية تحدث كثيرا في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات ومزجها بعضها ببعض ، فلا يعطي الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به ، ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفي القبائل الرحل التي لا تكاد تستقر على حال ، أما البيئة الحجازية ـــ أو الحضرية ـــ فقد كانت بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيا ، فيها يميل الناس إلى التأني في النطق ، وإلى تحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها .[2]

٣ ـــ قلب أحد المثلين حرف علة أو ما يشبهه تحقيقا للسرعة في نطق الكلمات :

إذا كان العرب في البادية قد لجأوا إلى قلب أحد الصوتين المتقاربين أو المتجانسين إلى صوت آخر قريب منهما لينطق بهما دفعة واحدة فيتحقق الإدغام والسرعة في نطق الكلمات ،

---

[1] علم الصوتيات ص٨٣ .

[2] في اللهجات العربية ٧١ ، ٧٢ بتصرف .

فإنهم قد يلجأون أو يلجأ بعضهم إلى قلب أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت آخر مخالف لهما ، تحقيقا لنفس الغرض وهو الاقتصاد في الجهد العضلي والسرعة في النطق ، وذلك حين يجد المتكلم في تحقيقهما العسر والمشقة نفسيهما اللذين وجدهما في تحقيق الصوتين المختلفين محبسا وصفات ، فيسعى إلى التخلص من هذا العسر ، وتلك المشقة بأن يبدل من أحدهما صوتا آخر يختلف عنه في صفاته ، وغالبا ما يكون أحد أصوات العلة أو اللين ، أو أشباهها وهو ما يسمى بالمخالفة الصوتية.

وليس في في نسبة النطق بالمماثلة أو الإدغام إلى البيئات البدوية ، وبالمخالفة إليها أيضا تناقض ؛ لأن المخالفة لا تتم إلى حين يتعثر النطق بالمثلين مدغمين كما في تظننت إذ يجتمع فيها ثلاث نونات يصعب النطق بها كما سبق ، ففي قلب أحد النونين ياء إذ تصير تظنيت سرعة في النطق أو خفة على اللسان ، وكما في أحسست وأحسيت ، وأمللت وأمليت ... إلخ .

فالمخالفة هي تغيير أحد الصوتين المثلين في كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف.[1]

وقد عزيت إلى تميم وقيس [2] ، وبعض الهذليين وهم وإن كانوا حجازيين إلا أنهم قد جاوروا بعض القبائل القيسية والتميمية [3] ، كما نسبت إلى بني عبد القيس وهم بطن من أسد ، وكانوا يسكنون المنطقة الشرقية مجاورين لبني تميم وبكر بن وائل . [4]

أما كيف تحقق المخالفة الصوتية السرعة في النطق ، والاقتصاد في الجهد العضلي فإن ذلك يبدو واضحا من خلال تصوير دوايت بولنجر لظاهرة التخالف وتشبيهها بأداء عازف البيانو حين يحتاج إلى أداء صوتين موسيقيين متتابعين داخل المعزوفة فيقول : " عندما يقوم عازف البيانو بأداء دوره في عزف مقطوعة موسيقية ويحدث أن يحتاج إلى أداء صوتين موسيقيين مثلين متتابعين مثلا في داخل المعزوفة فعليه لكي يؤدي ذلك بصورة صحيحة أن يقوم بضرب مفتاح بعينه ضربتين

---

[1] ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي ص١٥ .

[2] اللسان ، والمصباح المنير ، وتاج العروس (م ل ل) .

[3] لغة هذيل ١٣١ .

[4] اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٥١ .

متتابعتين بواسطة إصبع بعينها ، وفي ذلك قدر من الصعوبة ، ولذلك فإنه يناور لتفادي تلك الصعوبة بأن يستخدم هذه الإصبع بعينها في الضربة الأولى ، ثم يستخدم إصبعا أخرى لضرب المفتاح نفسه في الضربة الثانية .

والعلة فيما سبق من صعوبة أنه يصعب عليه نفس التجمع العصبي في حالة ضرب المفتاح مرتين في تتابع سريع بإصبع واحد ، وكذلك الحال في الجهاز النطقي العصبي (الملكة اللسانية) للإنسان فيما يتعلق بالصعوبة . ولأن الجهاز العصبي النطقي لا يملك عضوين كالإصبعين مثلا في حالة عزف البيانو لإصدار الأصوات ، كأن يكون لديه لسانان مثلا ، فإنه يترتب على ذلك أن يتجنب الجهاز النطقي أمثال تلك الصعوبات عند الحاجة إلى إصدار صوتين متماثلين متتابعين ، وهي صعوبة التجمع العصبي المتكرر ؛ بأن يناور فيغير مخرج (مصدر) أحد الصوتين المكررين أو يحذف أحدهما " . [1]

٤ــ سقوط بعض الأصوات من الكلمات في أثناء النطق بها :

سقوط بعض الأصوات من الكلمات في أثناء النطق بها هو أظهر نتائج السرعة في النطق، وهو أيضا مظهر من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي ، لكنه في الوقت نفسه يحقق الغرض بين المتكلم والسامع ، ولا يخل بهدف الكلام وهو الفهم ، فقد ينطق البدوي دون تمهل في نطقه ودون انتظار لنهاية الكلمات ، فتصدر عنه الكلمات مبتورة الآخر ، وهو لا يخفل بهذا لأن كل ما يرمى إليه هو إفهام السامع ، وقد وصل إلى غرضه مع اقتصاد في الجهد وبطريقة أيسر وأسرع .

وسقوط بعض الأصوات من الكلمات نتيجة السرعة في النطق يتحقق في مظاهر عدة ، منها ما هو في الصوامت ، ومنها ما هو في الصوائت .

---

[1] المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي ٣٤ ، ٣٥ .

فمن الحذف في الصوامت ما يلي :

أ) ــ حذف الحرف من آخر الكلمة وهو ما يسمى بـ" قطعة طيئ ، فطيئي وهي بدوية كما سبق كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقولون : يا أبا الحكا ، ويريدون : يا أبا الحكم وعلى هذه اللهجة ورد قول الشاعر : [1]

درس المنا بمُتالع فأبان ∴ فتقادمت بالحيس والسربان

أي درس المنازل [2] ، وكذا قول علقمة :

كأن إبريقهم ظبي على شرف ∴ مفدم بسبا الكتان ملثوم[3]

أي بسبائب .

ب) ــ اللخلخانيه عند أعراب الشحر وعمان وهي نقص بعض حروف الكلم في الإدراج والوصل يقولون في ما شاء الله : مشا الله [4] ، وأصلها العجمة في المنطق . [5]

جـ) حذف الياء من الفعل يستحي في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ﴾ [6] ، وهو لغة تميم ، وبكر بن وائل وبها قرأ ابن محيصن [7] . نقلت حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت ثم استثقلت الضمة على الياء الثانية فسكنت فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين . [8]

د) ــ حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ، وقد ورد في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى : ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ [9] وقد عزى إلى هذيل ، على حين نسب إثبات الياء إلى أهل الحجاز . ويقصد بهذيل

---

[1] البيت ل لبيد انظر الديوان ١٢٧ ، والعين (ع د ب) ، والخصائص ١ /٨٢

[2] في اللهجات العربية ١٣٤ .

[3] الخصائص ١/٨٠ ، و٢ / ٤٣٩ .

[4] التاج (ل خ خ) والمعجم الوسيط (ل خ خ) .

[5] المقاييس (ل خ) .

[6] سورة البقرة آية (٢٦) .

[7] الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٤٢ ، وفتح القدير ١ / ٥٦ .

[8] المحرر الوجيز ١ / ١١٠ .

[9] سورة الزمر من الآية (١٦) .

ـــ هنا ـــ هذيلا البدوية ؛ لأن المجتمع الهذلي بعضه حضري يشتغل التجارة ، وبعضه بدوي يعيش أهله على قنن الجبال للقنص واشتيار العسل ، والدليل على أن هذيلا هذه تسقط أواخر الكلمات أنهم يقولون : اللذ . في الذي ، وقد ورد ذلك في الشعر الهذلي :

فكنت والأمر الذي قد كيدا ∴ كاللذ تزبى زبيه فاصطيدا[1]

هـ) ـــ حذف الواو والاكتفاء بالضمة وقد نسب إلى هوازن ، وقيس ، وأسد . [2]

و) ـــ حذف النون من (اللذان) و (اللتان) في لهجة بنى الحارث بن كعب ، وبعض ربيعة [3] وعليها قول الأخطل :

أبنى كليب إن عمى اللذا ∴ قتلا الملوك وفككا الأغلالا[4]

وقوله :

هما اللتا لو ولدت تميم ∴ لقيل فخر لهمو صميم[5]

ز)ـــ حذف نون (لدن)عند بعض بني تميم كما في قول العجاج :

من لد شولا فإلى إتلائها [6]

وكذا حذف النون من (منذ) في لهجة تميم . فأهل الحجاز يقولون : ما رأيته منذ يومين ، ومنذ يومان . وتميم : مذ يومين ، ومذ يومان ؛ فيتفق أهل الحجاز وتميم على الإعراب ويختلفون في مذ

---

[1] اللهجات العربية في التراث ٦٨٩ .

[2] السابق ٦٨٨ ، ٦٨٩ .

[3] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ١ / ١٤٠ ، وخزانة الأدب ٦ / ١٥ .

[4] الكتاب ١ / ١٨٦ ، والتفسير الكبير ٣١ / ١٦٨ .

[5] خزانة الأدب ٦ / ١٥ .

[6] إعراب القرآن ١ / ٣٥٧ .

ومنذ ، فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلا نون .[1] ونسبها ابن منظورإلى عكل [2] . وعزاهـا يونس إلى أهل نجد عامة . [3]

حـ)ـ حذف نون (من) الجارة إذا وليها ساكن في لهجة زبيد ، وخثعم . وهما من القبائل اليمنية كما في قول الشاعر :

لقد ظفر الـزوار أقفيـة العـدا ∴ بما جاوز الآمال م الأسر والقتل[4]

ولحذف بعض الحروف من الكلمات صور كثيرة ومتعددة خلاف ما ذكرته ـ هنا ـ وقد ذكرت طرفا منها هنا ، وطرفا آخر في أطروحتنا للدكتوراه بما يغني عن إعادته .

ومن الحذف في الصوائت أو الحركات :

أ) ـ تسكين المضموم أو المكسور في عين الكلمة في لهجة ربيعة [5] ، وبكر بن وائل ، وأناس كثير من تميم [6] ، وبني أسد [7] ، يقولون في عَضُد : عَضْد ، وفي كَتف : كَتْف .

ب) ـ تسكين أو جزم هاء الضمير كما في (لَهْ) ، و (يؤدهْ) بسكون الهـاء في لهجـة عقيـل ، وكلاب، و أزد السراة [8] ، وأغلبهم من البدو الذين يتعجلون نهاية الكلمة ويسرعون في النطـق بآخرها .

---

[1] المزهر ٢ / ٢٧٦ .

[2] لسان العرب (منذ) .

[3] ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص١٠ .

[4] في اللهجات العربية ١٣٥ ، واللهجات العربية في التراث ٧٠٣ .

[5] الجمهرة (ك ل م) .

[6] الكتاب ٤ / ١١٣ ، ١١٤ .

[7] جامع البيان ٣ / ١٧٢ .

[8] الخصائص ١ / ٣٧١ .

ويلاحظ أن هذه الظاهرة قد عزيت إلى قبائل شرقية كعقيل وكلاب ، وقبائل غربية كالأزد ، لكن الذي يجمع بين هذه القبائل أنها جميعها من القبائل البدوية يقول أحد الباحثين المحدثين: " من تاريخ هذه القبائل أرى أن عقيلا وكلابا كلاهما من القبائل القيسية ، وكانت مساكن عقيل في البادية من نجد ، كما أن كلابا وهي بطن من عامر بن صعصعة ــ كانت بعض منازلها مقسمة في نجد في حمى ضرية ، وبعضها الآخر في جهات المدينة ، والغالب على القسم الأول البداوة ــ كما أرجح أن من كان ينطق بتلك الظاهرة من أزد السراة كانوا بدوا كذلك ــ فتكون هذه الظاهرة أخص ما تكون في البدو ؛ لأن فيها حيفا للكلمة ، إذ هم يتعجلون نهاية الكلمة ويسرعون في النطق بآخرها وهذه من سمات البدو ، ولهذا سقط الصوت المتصل بالضمير (هو) ثم سكن فصارت في لهجتهم (لَهْ) . [1]

جـ) ــ الوقف على المنون المرفوع والمنصوب بالسكون في لهجة ربيعة يقولون : جاء زيدْ ، ومررت بزيدْ ، ورأيت زيدْ . [2]

د) ــ الوقف بالنقل أي نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى الساكن الصحيح قبله فيصير الموقوف عليها ساكنا وهو لهجة لخم ، وطيئ ، وبني فزارة . وكلها قبائل بدوية يشيع فيها الحيف على أواخر الكلمات عند الوقف . [3]

هـ) ــ الوقف بترك الترنم :

الترنم هو التطريب والتغني وتحسين الصوت بالتلاوة [4] ، ويحصل في الشعر عند الوقف على القافية ، إذ يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت [5] .

---

[1] اللهجات العربية في التراث ٥١٧ .

[2] القراءات في اللهجات ص١٤٠ .

[3] انظر تفصيل ذلك في كتاب الفكر اللهجي عند المعري ص٧٢ وما بعدها .

[4] اللسان (ر ن م) .

[5] الكتاب ٤ / ٢٠٤ ــ ٢٠٦ .

يقول ابن هشام : " ويحصل بأحرف الإطلاق لقبولها لمد الصوت فيها " [1] ويحقق الانسجام الغرامي" [2] فمما لاشك فيه أن الموسيقى في الشعر وإنشاده تثير فينا راحة نفسية ، لما تشتمل عليه من انسجام من حيث شكلها ومقاطعها وحجمها ولونها ، فالإحساس بالنغم هو لب الشعر والإنشاد. [3]

وللعرب في الوقف على حرف الروى مذاهب عدة كالتالي : فمنهم من يترنم أي يلحق الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون وهم الحجازيون . وعليه قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقول الأعشى :

هريرة ودعها وإن لام لائمو

وقول جرير :

متى كان الخيام بذى طلوح ∴ سقيت الغيث أيتها الخيامو

وإنما ألحقوه هذه المدة في حروف الروى لأن الشعر وضع للغناء والترنم فألحقوا كل حرف الذي حركته منه [4].

ومنهم من يبدل مكان المدة النون إذ إنهم لا يريدون أن يترنموا كقول الشاعر :

يا أبتا علك أو عساكن .

---

[1] مغنى اللبيب ٤٤٧ .

[2] خزانة الأدب وغاية الأرب ١ / ٤٣٣ .

[3] اللهجات العربية في التراث ٥١٨ .

[4] الكتاب ٤ / ٢٠٦ ، والأصول في النحو ٢ / ٣٨٦ .

وقول العجاج :

يا صاح ما هاج الدمـــوع الذرفن [1]

وقد نسب ذلك إلى أناس كثير من تميم [2] ، وعزاه السيوطي إلى التميميين عامة[3]، وعزاه البغدادي إلى تميم وقيس [4] ، وأطلقوا عليه تنوين الترنم . والصحيح كما قال سيبويه إنـــه لقطـــع الترنم [5] ، أو كما قال أبو حيان : " يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعارا بترك الترنم. [6]

ومنهم من يجري القوافي مجراها لو كانت في الكلام ، ولم تكن قـــوافي شـــعر ، جعلـــوه كالكلام حيث لم يترنموا وتركوا المدة ؛ لعلمهم أنها في أصل البناء وذلك كقول جرير :

أقلى اللـــوم عـــازل والعـــتاب [7]

و نسب إلى بعض التميميين [8] . وقد ناسب ترك الترنم لهجة تميم ، أو تميم وقيس ، إذ فيها تميـــل القافية إلى الفناء في أصواتها وحركاتها وذلك يلائم الطابع العام للهجتها حيـــث كانـــت تميـــل إلى السرعة في نطقها وتتلمس أيسر السبل لذلك ، ولذلك تركت الترنم في الإنشاد فزال معـــه تمـــام الوزن ، وحل به النقص ، وقصر الصوت .

---

[1] الكتاب ٤ / ٢٠٧ ، وخزانة الأدب ل اللبغدادي ٥ / ٣٥٥ .

[2] الكتاب ٤ / ٢٠٦ ، والأصول في النحو ٢ / ٣٨٦ ، والبرهان في علوم القرآن ٦٩/١ ، وخزانة الأدب ٥ / ٣٥٥ .

[3] همع الهوامع ٢ / ٦٢٠ ، وخزانة الأدب ٧ / ١٨٨ .

[4] شرح الأشموني ١ / ٣١ .

[5] مغني اللبيب ٤٤٧ .

[6] البحر المحيط ٨ / ٣٨٩ .

[7] الكتاب ٤ / ٢٠٨ .

[8] الهمع ٣ / ٤٤٢ .

أما بيئة الحجاز فالحضر منهم يلحقون الألف والياء والواو ؛ لأنهم أرادوا الترنم ومد الصوت فالشعر عندهم وضع للغناء ، وهذا يتفق ومظاهر لهجتهم التي تعطي كل صوت حقه كاملا ، فلا حيف على صوت من الأصوات ، بل ينطق تاما مستقلا ولاشك أن مد الصوت وإعطاءه حقه في النغمة الموسيقية واستراحة النفس لهذا الاسترخاء الموسيقي دليل على ذلك [١]. فقد تميزت حياتهم بالاستقرار والهدوء النفسي حتى كثرت عندهم ليالي الطرب، فكان طبيعيا أن يترنموا في إنشاد كل أشعارهم . [٢]

يلاحظ مما سبق أن البيئات البدوية تجنح إلى السرعة في نطق بعض الكلمات فتسقط منها حروفا ، أو حركات ، خلافا للبيئات الحضرية في الحجاز والذين يأتون بالصيغ تامة ، إنهم أهل حضر غالبا ، والحضري معني بتحسين النطق وتخير العبارات حتى ينال ما يشتهي من طموح ومركز اجتماعي ، لهذا يعمد إلى وضوح الكلام وحسن أدائه . [٣]

٥ ــ تقديم بعض حروف الكلمة على بعض :

وهو ما يسمى قلبا مكانيا . وهو من الصفات التى يتميز بها البدوي كثيرا في نطقه . إذ هو لا يحفل كثيرا بترتيب حروف الكلمة ؛ نظرا لسرعته في نطق الكلمات . ومما يدل على ذلك وجود كلمات كثيرة حدث فيها تقديم أو تأخير لبعض حروفها في النطق ومن ذلك : الحجاز تقول : لعمرى . أما تميم فتقول : رعملى [٤] كذا يقول التميميون : صاقعة ، وصواقع في : صاعقة ، وصواقع [٥]. و معيق في عميق [٦] . وطؤوى بتقديم الهمزة في لغة تميم ، وفي لغة الكلابيين طوئي [٧]

---

[١] اللهجات العربية في التراث ٥٢٣ .

[٢] لغة تميم ٣٥٧ .

[٣] اللهجات العربية في التراث ٦٨٤ .

[٤] المزهر ٢٧٧/٢ .

[٥] البحر المحيط ٨٦/١ .

[٦] السابق٣٤٧/٦ .

[٧] اللسان (طآ).

٦ ــ قصر الممدود :

المقصور هو الاسم المعرب الذي آخره ألف لازمة [١] . والممدود : هو كل اسم كانت في آخره همزة بعد ألف زائدة . [٢]

وقد سمع عن العرب قصر ما هو ممدود في الأصل ، ومد ما هو مقصور في الأصل مما يدل على أنهما من قبيل اختلاف البيئات العربية في صوغ هذه الكلمات المختلف فيها فينطقها قوم بالقصر ، وينطقها آخرون بالمد ، وليس أكثره ضرورة شعرية كما يذكر البعض . [٣]

وبالرجوع إلى كتب اللغة نجد أن قصر الممدود قد عزى في كثير من الكلمات إلى البيئات البدوية كبني تميم ، وربيعة ، وأسد ، وبني نمير [٤] ، لأنهم يميلون إلى السرعة في النطق فلا يعطون الحروف حقها كاملا في الأداء [٥] ، في حين نسب المد إلى أهل الحجاز أو أهل الحضر عامة.

ومن ذلك لفظ (هؤلاء) وأصله : أولاء فدخلت عليه هاء التنبيه . وفيه لغتان القصر والمد[٦] وقد نسب المد فيه إلى أهل الحجاز ،ونسب القصر (أولى) إلى تميم [٧] ، وعزاه بعضهم إلى تميم ، وبعض قيس ، وأسد [٨] ، وعزاه صاحب التصريح لأهل نجد من بني تميم وقيس وربيعة وأسد [٩] ، ومنه قول الشاعر :

---

[١] شرح المفصل ٦ / ٣١ .

[٢] السابق ٤ / ١٥٠ .

[٣] لغة الشعر (دراسة في الضرورة الشعرية) ٣٠٨ .

[٤] التصريح ٢ / ٢٩٣ ، وشرح الأشموني ٤ / ١٠٦ ، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٦٨ .

[٥] اللهجات العربية في التراث ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

[٦] تفسير الثعلبي ٣ / ٨٧ .

[٧] إعراب القرآن ٣ / ٥٣ ، وهمع الهوامع ١ / ٢٩٦ .

[٨] البحر المحيط ١ / ٢٨٥ .

[٩] التصريح بمضمون التوضيح ١ / ١٢٧ ، ١٢٨ .

أولالك قومي لم يكونوا أشابة .·. وهل يعظ الضليل إلا أولالكا[1]

ومن ذلك :(الملطاء) وهي القشرة الرقيقة التي بين عظم الرأس ولحمه [2] ، تمد في لهجة أهل الحجاز ، وتقصر في لهجة غيرهم فتصير الملطا . [3]

ومنه :(الشراء) عن ابن الأعرابي ممدود ويقصر ، قال أهل نجد يقصرونه ، وأهل تهامة يمدونه . [4]

ومما سبق نلاحظ أن السرعة في نطق الكلمات تناسب البيئات البدوية عامة ، وذلك لما تتميز به الشخصية البدوية من وجود ملامح عامة اجتماعية ونفسية لها أثرها الواضح في نطقها واستعمالها الكلمات ، ومن أهم هذه الملامح :

١. **سرعة الانفعال** : خاصة إذا اعتقد البدوي أن شرفه قد مس أو أن كرامته قد أهدرت أو أهينت ، لذلك فهو يثور بغير تدبر أو نظر لعاقبة ذلك الانفعال [5]. ويظهر ذلك بوضوح في ملامح وجهه وفي تعبيراته ونطقه للكلمات بسرعة زائدة عن الوضع الطبيعي .

٢. **الإقدام على المكاره** : لأن تقديره الشديد لذاته وسرعة استثارته يجعلانه يخوض الصعب دفاعا عن حريته و رداً لأى سوء ينال كرامته أو حريته [6]. فيكون أداؤه حينئذ أسرع ما يكون كأداء الشعر الحماسي ، أو خطب الحث على قتال الأعداء . فمشاعر الحزن و الفرح و الغضب يمكن أن تلاحظ بسهولة على البدوي العربي خصوصا ، حيث تبدو واضحة عليه بغير تخف أو مداراة ، فضلا عن مغالاة البدوي سواءا في حزنه أو فرحه . وميله إلى الاكتئاب والحزن لعله ناشئ عن توقعه الشر باستمرار ، ومفارقته دوما لديار

---

[1] أضواء البيان ٤ / ٨٧ .

[2] اللسان (ل ط م) .

[3] المصباح المنير ٢ / ٥٥٤ ، والتاج (ل ط و) .

[4] اللسان (ش ر ى) .

[5] البناء الاجتماعى للمجتمعات البدوية ٣٣٧ .

[6] السابق ٣٤٤ .

سكنها و لأحياء عاشرهم ، ولو تصفحنا الشعر البدوي العربي لوجدنا ألوف القصائد و ملايين الأشعار التى توضح حزن البدوي العربي و نعيه المستمر لأطلاله ، وحتى إذا علت عقيرة البدوي العربي بالغناء فإنها تنطق بآهات الحزن والألم و الندم والفراق [1].

٣. أن البدوي قلق وغير مستقر : ولعل ذلك القلق شئ مكتسب من الطبيعة غير المستقرة التى تمنح تارة فيكون عطاؤها بغير حساب ، والتى تمنع فجأة فيكون جفاؤها بغير حد . ولعله ـــ أيضا ـــ ناشئ عن الخوف المستمر لديه وحذره من أن يغدر به الناس أو الطبيعة ، لذلك فهو يفزع عند كل هزة ويلجأ إلى حسامه إذا ما استشعر خطرا ما [2]. وحياة قلقلة كهذه تبعث القلق فى نفوس أهلها ويظهر ذلك فى أداة تعبيره .

ثالثا : البيئة والإنسجام الصوتي :

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ، عند النطق بها في الكلمات والجمل ، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام فيحدث ـــ عن ذلك ـــ نوع من التوافق والإنسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو الصفات ، ويسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة . وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة ، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه .

وتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض يكون في الصوامت والصوائت ، فالكلمة إذا اشتملت على بعض الحركات المتباينة نراها تتطور وفي أثناء هذا التطور تحاول تقريب تلك الحركات المختلفة فيها .

والانسجام بين أصوات اللغة صفة من الصفات التي يحرص عليها البدوي ويتمسك بها ، إذ يحقق الخفة والسرعة في النطق لما فيه من الاقتصاد في الجهد العضلي إذ يكون عمل اللسان حينئذ من وجه واحد .

ويتحقق هذا الانسجام بين الأصوات في مظاهر عدة أهمها كالتالي :

---

[1] السابق ٣٤٥ .

[2] السابق نفسه .

أ) الانسجام بين الصوامت :

يحدث في الكلام أن تجتمع أصوات لا انسجام فيما بينها بحيث يشعر المتكلم بثقلها على لسانه ، أو يجد مشقة في تحقيقها ، فيهرب من ذلك بتعديل بعض صفات الأصوات حيث يخلع المتكلم صفة أحد الصوتين المتناقضين جهرا و همسا ، أو إطباقا وانفتاحا ، أو غير ذلك على مجاوره ؛ توفيرا للجهد ، وتحقيقا للانسجام في أصوات الكلام . ويتحقق التأثر بالحروف المجاورة في صور عدة أهمها ما يلي :

١ ــ قلب المنفتح إلى نظيره المطبق إذا جاورمطبقا :

ومن ذلك : قلب تاء (فعلت) طاء إذا كان قبلها الصاد وسكنت الصاد وتحركت التاء فناس من بني تميم [١] ، أو بنو تميم عامة [٢] يجعلون التاء طاء فيقولون : فحصط برجلي ، وكذلك إذا كانت التاء قبلها طاء موضع اللام يقولون : خبط بيدي وقال علقمة بن عبده .

وفي كل قوم قد خبط بنعمة ∴ فحق لشأس من نداك ذنوب[٣]

فأبدلت تاء (فعلت) طاءا كما أبدلت تاء (افتعل) طاءا بعد الصاد أو الضاد أو الطاء أو الظاء ووجه الشبه بين تاء (فعلت) وتاء (افتعل) أنها ضمير الفاعل ، وضمير الفاعل قد أجرى في كثير من أحكامه من الفعل مجرى بعض أجزاء الكلمة من الكلمة وذلك لشدة اتصال الفعل الفاعل[٤] والفرق بينهما أن إبدال تاء (الافتعال) طاء بعد هذه الحروف عليه جميع العرب ، لأنه من المواضع التي لا تراجع فيها الأصول ، فلا يجوز خروج هذه التاء على أصلها ولم يأت ذلك في نثر ولا نظم".[٥]

---

[١] الأصول في النحو ٣ / ٢٧٢ .

[٢] الكتاب ٤ / ٢٤٠ .

[٣] الكتاب ٤ / ٤٧١ ، والأصول في النحو ٣ / ٢٧٢ .

[٤] سر الصناعة ١ / ١٩٧ .

[٥] الخصائص ٢ / ٣٥١ .

أما إبدال تاء (فعلت) طاء بعدها فعليه بنو تميم خاصة ، لذا يقول سيبويه : " وقد شبه بعض ممن ترضى عربيته هذه الحروف الأربعة الصاد والضاد والطاء والظاء في (فعلت) بمن في (افتعل) لأنه يبني الفعل على التاء ، ويغير الفعل فتسكن اللام كما أسكن الفاء في (افتعل) ولم تترك الفعل على حاله في الإظهار فضارعت عندهم (افتعل) " .[1]

٢ ــ قلب المهموس إلى نظيره المجهور إذا جاور مجهورا :

نلحظ في البيئة البدوية أنه حين يلتقي صوتان أحدهما مجهور والآخر مهموس ، يتأثر أحدهما بالآخر ليصبح الصوتان إما مجهورين أو مهموسين ، ويغلب على اللغة العربية أن يتأثر الصوت الأول بالثاني ، فإذا كان الأول مجهورا والثاني مهموسا أصبح الصوتان مهموسين [2] لكن من القبائل من يميل إلى تأثر الثاني بالأول إذا كان الأول مجهورا والثاني مهموسا فيصبح الصوتان مجهورين . كما في (فزد) وأصلها : فزت . أبدلت تاء (فعلت) دالا لوقوعها بعد الزاي المجهورة ، يقول ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) : " وإبدال الدال من التاء لازم في نحو : ازدجر ، وادكر . وشاذ في نحو : فزد ، واجد معوا ،واجدر ، ودولج " . [3] فقوله : (لازم في نحو ازدجر) أي عليه جميع العرب ، وقوله (شاذ في نحو فزد) أي عليه بعض العرب وليس من سمات الفصحى .

وعزاه ابن السراج (ت ٣١٦هـ) إلى بعض بني تميم[4] ، وكذا قال ابن جني : " وقد قلبت تاء (افتعل) دالا مع الجيم في بعض اللغات قالوا : اجدمعوا في اجتمعوا ، واجدز في اجتز ... ولايقاس ذلك إلا أن يسمع " [5] ، وعلل ذلك سيبويه بقوله : " ليكون العمل من وجه واحد" .[6]

---

[1] الكتاب ٤ / ٤٧١ .

[2] في اللهجات العربية ١٣٢ .

[3] الشافية في علم التصريف ١١٨ .

[4] الأصول في النحو ٣ / ٢٧١ .

[5] سر الصناعة ١ /١٧٢.

[6] الكتاب ٤ / ٤٧٩ .

ومن ذلك : إبدال الصاد الساكنة زايا إذا وقع بعدها الدال كما في قولهم : مزدر، والتزدير وأصله : مصدر والتصدير . وكما في المثل المشهور :(لم يحرم من فزد له) [1] أي فصد . يقول الزمخشري : " الصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال جاز إبدالها زايا خالصة في لغة فصحاء من العرب ... " [2] وقد عزاها ابن جني إلى قبيلة كلب وهم بطن من قضاعة [3] وعزا أبو الطيب اللغوي إبدال الصاد الساكنة مطلقا زايا إلى طيئ [4] وعلل ابن جني هذا النوع من الإبدال لمجاورة الدال بقوله : " لما سكنت الصاد ضارعوا بها الدال التي بعدها بأن قلبوها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد وهي الزاي ؛ لأنها مجهورة كما أن الدال مجهورة ... فإن وقعت (الصاد) قبل غيرها (أي غير الدال) لم يجز ذلك فيها " . [5]

٣ــ قلب المستفل إلى مستعل إذا جاور مستعليا :

ومن ذلك : قلب السين صادا إذا جاء بعدها أحد حروف الاستعلاء وهي : الصاد ، والضاد ،والطاء ، والظاء ، والخاء ، والغين ، والقاف [6] ؛ لأنها حروف مستعلية ، والسين حرف مستفل ، فثقل عليهم الاستعلاء بعد التسفل لما فيه من الكلفة [7] ، فإذا تقدمت السين على هذه الحروف فلا كلفة على اللسان ؛ لأنه انحدار من علو وهو خفيف .

وقد نسب هذا الإبدال إلى بني العنبر [8] ، وهم من تميم وقد توغلوا في البداوة ، وعزاه

---

[1] مجمع الأمثال ٢ / ١٩٢ ، وأصله (من فصد له) بالصاد .

[2] المفصل ٥١٩ .

[3] سر الصناعة ١ / ١٧٩.

[4] الإبدال ١٢٦ ، ١٢٧ .

[5] سر الصناعة ١ / ٥٩ .

[6] سر الصناعة ١ / ١٨٩ .

[7] المخصص ١٣ / ٢٦٨ .

[8] الإبدال لأبي الطيب ١ / ١٥ ، ١٦ ، والأصول في النحو ٣ / ٤٣١ .

يونس إلى عمرو بن تميم [1] ، وعزاه د / الجندي إلى القبائل البدوية بصفة عامة [2] ، يقولون : صقت في سقت ، وصخر في سخر ، والصويق في السويق .

أما قصر هذا الإبدال على الصاد وحدها دون غيرها من حروف الاستعلاء فلأنها أقرب الحروف إليها ، لقرب المخرج ، ولأنهم وجدوا الصاد أشد ارتفاعا وأقرب إلى القاف والطاء[3] ، يقول ابن جني : " كل ذلك ليكون العمل من وجه واحد ، فهذا يدلك من مذهبهم على أن للتجنيس عندهم تأثيرا قويا " . [4]

ب) المجانسة الصوتية في الصوائت :

يتحقق الإنسجام الصوتي بين الحركات كما تحقق بين الحروف في بعض البيئات التي تجنح إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ، فالكلمة إذا اشتملت على حركات متباينة فإنها تتطور في بعض البيئات إذ تحاول تقريب تلك الحركات بعضها من بعض أو بتبديلها حتى يعمل اللسان حال النطق بها عملا واحدا .

ولهذا الانسجام بين الحركات صور عدة أهمها ما يلي :

١ ــ **الإمالة** : وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت . [5]

---

[1] اللهجات العربية في التراث ٤٤٦ .

[2] السابق نفسه .

[3] المزهر ١ / ١٩٦ .

[4] المنصف ٥٤١ ، والمحتسب ٢ / ١٦٨ .

[5] سر الصناعة ١ / ٦٠ .

وقد نسب الفتح إلى أهل الحجاز ، ونسبت الإمالة إلى بني تميم [١] ، وقيل أهل نجد عامة من تميم ، وأسد ، وقيس [٢] ، على حين نسب د / أنيس الفتح إلى جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي الجزيرة بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال : قريش ، والأنصار ، وثقيف ، وهوازن ،وسعد بن بكر، وكنانه . ونسب الإمالة إلى جميع القبائل الذين عاشوا في وسط الجزيرة وشرقيها وأشهرها : تميم وأسد ، وطيئ ، وبكر بن وائل ، وعبد القيس ، وتغلب ، والقبائل التي كثر انتشارها في أمصار العراق بعد الفتح الإسلامي . [٣]

وإذا تأملنا ظاهرة الإمالة والمواطن التي تأتي فيها نجد أن السبب الأصيل في وجودها لدى بعض القبائل يكمن في الرغبة في تحقيق المماثلة أو الانسجام بين الحركات بعضها وبعض ، أو بين الحركات والحروف السابقة أو اللاحقة تخففا من بعض الجهد العضلي . [٤]

فالإمالة ــ إذًا ــ راجعة إلى التجانس الصوتي وما فيه من خفة ومشاكلة ، وذلك لأنه وإن كانت الألف تشبه الياء في اللين فبينهما تباعد لانفتاح الألف ، وانسفال الياء فقاربوا بينهما في الصوت ، إذ أن الألف كما ذكر ابن يعيش تطلب من الفم أعلاه ــ أي من جهة الحلق ــ والكسرة تطلب منه اسفله وأدناه ــ أي من جهة الفم ــ فتنافرا ، ولما تنافرا أجنحت الفتحة نحو الكسرة ، والألف نحو الياء ، فصار الصوتان بين بين فاعتدل الأمر بينهما وزال الاستثقال الحاصل بالتنافر . [٥]

---

[١] شرح المفصل ٩ / ٥٤ .

[٢] السابق نفسه ، والنشر ٢ / ٣٠ ، وشرح الأشموني ٤ / ٤٣٨ ، والتصريح ٢/٣٥٠ ، والإتقان١/٢٤٣ .

[٣] في اللهجات العربية ص٦٠ .

[٤] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ١٤٥ .

[٥] شرح المفصل ٩ / ٥٥ .

وقد ناسبت الإمالة البيئات البدوية المنتشرة في وسط وشرق الجزيرة ؛ لأن طبيعة البادية يخيم عليها السكون ، وتسودها الرتابة فيأتي الصوت المركب لتغير هذه الرتابة بما تحدثه من موسيقى وإيقاع متناغم بين الحركات والحروف ، وبين الحركات بعضها وبعض . [1]

٢ ــ كسر فاء (فعيل وفعل) إذا كانت العين أحد حروف الحلق :

قد يحدث أن يتجاور صائتان قصيران في كلمة فيتأثر أحدهما بالآخر وينقلب إلى جنسه ويؤدي ذلك إلى انسجام في الأصوات كما في صيغتي(فعيل وفَعل) إذا كانت العين حرفا حلقيا ، فيكسر بعض العرب الفاء إتباعا للعين كما في قولهم : شعير ، ورغيف ، وبعير ، وزئير ، وبعت بكسر الحرف الأول ، وقد نسب ذلك إلى تميم [2] ، ونسبه الخليل إلى تميم وسفلى مضر وهم بنو تميم ومن جاورهم من سكان نجد [3] ، ونسبه ابن عطية وأبو حيان إلى هذيل [4] ، أما فتح الفاء فيهما فهو لأهل الحجاز إتباعا لأصل البنية [5] ، وهي اللغة الفاشية الفصيحة . [6]

وناسب ذلك البيئات البدوية ؛ لأنه أخف عليهم ، ويكون عمل اللسان من وجه واحد .

٣ ــ كسر ياء المتكلم إذا أضيف إلى جمع المذكر السالم :

الشائع في العربية الفصحى في ياء المتكلم إذا أضيفت إلى جمع المذكر السالم أن تفتح هذه الياء كما في قوله تعالى : ﴿ وما أنتم بمصرخي ﴾ [7] وكما في الحديث : " أو مخرجي هم " [1] لكن

---

[1] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ١٤٦ .

[2] الكتاب ٤ / ١٠٧ ، والمحكم ١ / ٢٩٦ (هـ ذ ب) ، والتصريح بمضمون التوضيح ٢/٩٥ واللسان (ب ع ر) .

[3] العين ٣ / ٣٩٨ .

[4] المحرر الوجيز ١ / ٣٦٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٣٧ .

[5] التصريح ٢ / ٩٥ .

[6] العين (هـ ش د) ٣ / ٣٩٨ .

[7] سورة إبراهيم من الآية (٢٢) .

لهجة بني يربوع بن حنظلة وهم من تميم يكسرون هذه الياء وعلى لهجتهم قرأ حمزة (وما أنتم بمصرخي " بكسر الياء . [٢]

فهم لم يشاءوا أن ينتقلوا من الصائت الضيق إلى الصائت المتسع أي من الكسر إلى الفتح مع سهولته ،لأنه مع هذه السهولة أكثر حاجة إلى بذل الجهد ، فالمماثلة بين ياء الجمع والكسرة السابقة عليها والتالية لها تحقق شيئا من الانسجام والتناغم وتوفر الجهد العضلي ، بخلاف المخالفة وهي متحققة بين الياء والفتحة ، فالياء من الأصوات الضيقة تكون مسبوقة بكسرة وهي أقرب ما تكون شبها بها فإذا انتقل اللسان إلى فتحة بعدها ، وهي صوت متسع يتسفل معه اللسان إلى قاع الفم وفيه شيء من الجهد العضلي وإن يكن يسيرا . [٣]

٤ ــ كسر كاف المخاطبين أو المخاطبات إذا سبقت بياء أو كسرة :

تكسر ربيعة كاف المخاطبين أو المخاطبات المسبوقة بياء أو كسرة فيقولون : عليكم بكسر الكاف وعلى هذه اللهجة ورد قول الحطيئة :

وإن قال مولاهم على جل حادث من الدهر ردوا بعض أحلامكم ردوا [٤]

وتسمى هذه اللهجة (الوكم) ، وعزاها سيبويه وآخرون إلى ناس من بكر بن وائل [٥] وهم من ربيعة . وقد أرادت هذه اللهجة تحقيق الإنسجام بالمماثلة بين الحركات بدليل قول السيوطي (وكانوا يرون في ذلك مناسبة) [٦] أي مناسبة الكسرة للياء ، بدلا من أن يتكلفوا أن ينتقل اللسان من الكسرة إلى الضم لما في ذلك من الثقل . [٧]

---

[١] صحيح البخاري (باب كيف كان بدء الوحي) ١ / ٤ حديث رقم ٣ .

[٢] زاد المسير ٤ / ٣٥٧ ، تفسير البغوي ٣ / ٣١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٥٧ .

[٣] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٢١٢ .

[٤] الكتاب ٤ / ١٩٧ .

[٥] الكتاب ٤ / ١٩٧ ، والمقتضب ١ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وإعراب القرآن ١ / ١٧٥ .

[٦] الاقتراح ص ٩٩ .

[٧] لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٢١١ .

يلاحظ ـــ مما سبق ـــ ميل البيئات البدوية وحرصها على تحقيق الانسجام بين أصوات الكلام سواء كان ذلك في الحركات أو في الحروف فتتأثر في هذه البيئات الأصوات المتجاورة بعضها ببعض وفي هذا اقتصاد في الجهد العضلي تحرص عليه هذه البيئات الساكنة أو الهادئة المقتصدة في معيشتها ونطقها من ناحية ، وفيه تناغم صوتي من ناحية ثانية .

أما أهل الحضر فإنهم يحترزون من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ، وهذا لا يتأتى إلا بمراعاة الدقة فى النطق ، والتأنى والتؤدة فى الأداء بحث يظهرون كل صوت ويعطونه حقه كاملا من جهر أو همس ، و من شدة أو رخاوة ، و من إطباق أو انفتاح أو ترقيق ،ومن استعلاء أو استفال ...الخ [1]

[1] فى اللهجات العربية ٧٥

رابعاً : البيـنة والوضـوح السمعي :

لوحظ أن بعض الأصوات ـــ في العربية ـــ أشد وضوحا في السمع من بعض بمعنى أنهـــا تسمع من مسافة أبعد عندما تنطلق بنفس الطول والارتكاز والدرجة .... ويلاحـــظ أن مقـــدار وضوح الأصوات في السمع يعتمد على طبيعتها، فالصوت الذي يسمع على أبعد مـــسافة أقـــوى الأصوات إسماعا، أما أضعفها إسماعا فهو الصوت الذي لا يسمع إلا علـــى أقـــصر مـــسافة مـــن المتكلم.(١)

لذا حاول بعض العلماء أن يضع مقاييس عالمية يستطيعون من خلالها تحديد قوة الإسماع في أصوات أية لغة ومدى وضوحها فرتبوا الأصوات حسب قوة انتقالها على هذا الترتيب :

١. أصوات عديمة الإسماع وهي الأصوات الانحباسية المهموسة وتشمل في العربية : التـــاء والكاف إجماعا . والقاف والطاء عند المحدثين .

٢. أصوات قوة إسماعها (١) وهي الأصوات الانحباسية المجهورة وهي أصـــوات يمكـــن سماعها دون انفجار، ولكن استمرار الانحباس يمنع من استمرار جريان الهواء الذي يحمل الذبذبات إلى الهواء الخارجي . ومنها في اللغة العربية : الجيم، والدال، والباء .

٣. أصوات قوة إسماعها (٢) وهي الأصوات الاحتكاكية المهموسة وتشمل في العربيـــة : الفاء ،والحاء، والثاء، والهاء، والشين، والخاء، والصاد، والسين .

٤. أصوات قوة إسماعها (٣) وهي الأصوات الاحتكاكية المجهورة وتشمل في العربيـــة : الزاي، والذال، والظاء، والغين .

٥. أصوات قوة إسماعها (٤) وهي الأصوات الأنفية والجانبية والترددية مثـــل : المـــيم، والنون، واللام، والراء .

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٥٠ .

٦. أصوات قوة إسماعها (٥) وهي أقوى الأصوات إسماعا، وهي الأصوات المجهورة التي يخرج الهواء عند النطق بها من الفم دون أن تعترضه أعضاء النطق العليا على الإطلاق، أو مع اعتراضها اعتراضا لا يؤدي إلى حدوث احتكاك مسموع وهي أصوات الحركات. (١)

فلكل صوت من الأصوات قوة إسماع خاصة يمكن أن تعرف على وجه الدقة، فأكثرها وضوحا في السمع هو أصوات الحركات وهي مجهورة، ثم الأصوات الأنفية والجانبية والترددية، ثم المجهورة الرخوة، ثم المهموسة الرخوة، ثم المجهورة الشديدة، وأقلها المهموسة الرخوة.

وكلما زادت المسافة بين اللسان والحنك الأعلى كان الصوت أشد وضوحا وأكثر بروزا، فالصوائت المنفتحة هي في الجملة أشد بروزا من الصوائت الضيقة، والصوامت المجهورة أشد بروزا من الصوامت المهموسة، وصوت اللام والصوامت الأنفية المجهورة أشد بروزا من سائر الصوامت المجهورة، أما الصوامت المهموسة فهي تتصف بقدر من البروز قليل جدا بالقياس إلى الأصوات المجهورة . (٢)

كما أن نطق الصوامت المهموسة يحتاج عادة إلى جهد عضوي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المجهورة . فالصوامت الانفجارية المهموسة مثل : (ت، ط، ك) يكون حبس الهواء فيها أشد إحكاما منه في حالة الانفجارية المجهورة كالدال، والضاد، والباء، كما أن انطلاق الهواء ــ (انفراج الأعضاء) ــ في الأولى يكون أشد حدة منه في الثانية . أما الصوامت الاحتكاكية المهموسة ــ مثل : (الفاء، والثاء، والسين) فتكون درجة الانفتاح فيها (أي مقدار البعد بين الأعضاء المشتركة في النطق والمحدثة للاحتكاك، أي درجة انفتاح المجرى الهوائي أو سعته) أقل من تلك التي تكون في نطق الاحتكاكية المجهورة مثل : الذال والزاي . (٣)

---

(١) أصوات اللغة د / عبد الرحمن أيوب ١٣٥، ١٣٦ بتصرف .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٥١ .

(٣) المرجع السابق ١٥٢، وعلم الأصوات اللغوية الفونتيكا ٢٣٠ .

وفي كتب اللغة كلمات وردت بروايتين مختلفتين تشتمل إحداهما على صوت أكثر وضوحا في السمع، والأخرى على صوت آخر أقل وضوحا في السمع منه، كذا في القراءات القرآنية كلمات قرأت بقراءات عدة بعضها أوضح في السمع من بعض .

وقد نسب اللفظ ذو الصوت الأوضح في السمع إلى البيئات البدوية، على حين نسب نظيره الأقل وضوحا في السمع إلى البيئات الحضرية، وبتحقق ذلك الوضوح السمعي عند البدو في أمور عدة أهمها ما يلي :

١ ــ الميل إلى جهر الأصوات المهموسة :

ذكرت من قبل أن البيئات البدوية تميل إلى جهر المهموس إذا جاور مجهوراً حتى يعمل اللسان عملا واحدا من ناحية، ولأن المجهور أخف من المهموس من ناحية ثانية . وهنا نذكر أنها أيضا تميل إلى قلب المهموس إلى مجهور وإن لم يجاور مجهورا آخر ؛ لأنه أوضح في السمع من المهموس، وليس معنى ذلك أن تلك البيئات لا تنطق الأصوات المهموسة قط، ولكن إذا رويت الكلمة بروايتين مختلفتين تشتمل على صوتين أحدهما مجهور والآخر مهموس فالغالب على هذه البيئات البدوية أن تختار النطق بالصوت المجهور .

فطيئ مثلا تقلب كل صاد ساكنة زايا يقولون في المصدغة : المزدغة، وهي المخدة [١]، والزاي أوضح في السمع من الصاد .

ومثله : الإبدال بين الهاء والنون، كما في تفكهون، وتفكنون، وبالوجهين قرئ قوله تعالى: ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[٢] فالهاء قراءة الجمهور، والنون قراءة أبي حزام العكلي[٣]. وقد نسب النطق بالهاء إلى أزد شنوءة [٤]، أما النطق بالنون فقد نسب تارة إلى تميم[١]، وأخرى إلى عكل [٢] . وعكل

---

(١) الإبدال لأبي الطيب ٢ / ١٢٦ .

(٢) سورة الواقعة من الآية (٦٥) .

(٣) فتح القدير ٥ / ١٥٧ .

(٤) الإبدال لأبي الطيب ٢ / ٤٥٩ .

تجاور تميما إذ من بلادها التسرير وتنتهي في بلاد تميم [٣] . والنون تناسب تميما وعكلا لأنها أوضح في السمع من الهاء الخافتة، فقوة إسماع النون (٤) أما قوة إسماع الهاء فهي [١] .

ومن ذلك : أن الهمزة قد أبدلت عينا في كثير من الكلمات مثل : أن وعن، وخبأ وخبع ومؤتلى ومعتلى، والسأف والسعف ... إلخ، وتسمى هذه الظاهرة باسم العنعنة وقد عزيت إلى تميم [٤]، ولعلها لأحد بطونها القريبة من وسط الجزيرة . ونسبها بعضهم إلى تميم وقيس وأسد، ومن جاورهم . [٥]

وكلها قبائل بدوية آثرت صوت العين المجهور ؛ لأنه أنصع وأوضح في السمع من الهمزة . يقول د / أنيس : " يحسن بنا أن نعد هذه الظاهرة محاولة للجهر بالصوت ؛ لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة، إذ مخرجها المزمار نفسه، ولا عمل للوترين الصوتين معها، وقد وصفناها قبلا بأنها من الأصوات الشديدة إن لم تكن أشدها، وأن أهل البادية يحققونها في لهجاتهم . فحين يبالغ في هذا التحقيق ويراد أن تكون أوضح في السمع يستبدل بها أحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجا وصفة، وأقرب أصوات الحلق إليها هو (العين) ؛ لأن العين صوت مجهور، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجا . [٦]

فالميل إلى السهولة والوضوح السمعي هو داعية هذا التعاقب، فالهمزة حنجرية شديدة والعين حلقية رخوة، أي أن أصحاب هذه اللهجة عدلوا عن الأثقل وهو الهمزة إلى الأخف وهو

---

(١) الإبدال ٢ / ٤٥٩، والجمهرة ٣ / ٢٩٧ باب النوادر، واللسان (ف ك هـ)، والمزهر ١ / ٣٦٥ .

(٢) التهذيب ٦ / ٢٠ باب الهاء والكاف مع الراء، وزاد المسير ١٤٨/٨، واللسان والتاج (ف ك هـ) .

(٣) معجم البلدان ٢ / ٣١ .

(٤) العين ٨ / ٣٩٨، والجمهرة ١ / ٢٣٨، وسر الصناعة ١ / ٢٢٩، والمقتضب ٣١٨، ومغنى اللبيب ١٩٨ وشرح الأشموني ٤ / ٢٨٢ .

(٥) التهذيب ١ / ١١١، واللسان (ع ن ن)، وتاج العروس ٩ / ٢٨٢ .

(٦) في اللهجات العربية ١١٠، ١١١ .

العين، وذلك لأن الهمزة تحتاج إلى جهد عضلي لا تحتاج إليه العين . كما يمكن أن يقال : ربما وقع هذا التعاقب لنصاعة العين ووضوحها عن الهمزة، وهذا الوضوح كان مدعاة هذا التعاقب عند قوم يحتاجون إلى الوضوح النطقي والسمعي في بيئة بدوية صحراوية .[1]

٢ ــ الميل إلى أوضح المجهورين أو المهموسين :

ذكرت ــ فيما سبق ــ أن المجهور أوضح في السمع من المهموس، وأن بعض المجهور أوضح من بعض، وبعض المهموس أوضح من بعض، وذكرت أنه إذا كانت إحدى الروايتين تشتمل على صوت مجهور والأخرى على نظيره المهموس فإن البيئات البدوية تجنح إلى اختيار الصوت المجهور ؛ لأنه أوضح في السمع .

لكن قد نجد صوتين مجهورين وأحدهما أوضح في السمع من الآخر، أو صوتين مهموسين وأحدهما أوضح في السمع من المهموس الثاني، وهنا أيضا ــ نلحظ أن البدو بوجه عام يميلون إلى المجهور الأكثر وضوحا، أو إلى المهموس الأكثر وضوحا .

فمن الصوتين المجهورين : النون والياء، فإذا رويت الكلمة بروايتين إحداهما بالنون والأخرى بالياء، فالأكثر أن تنسب الياء إلى البيئات البدوية، لأنها أوضح في السمع من النون فدرجة إسماعها (٥)، أما النون فقوة إسماعها (٤) .

وقد أبدلت الياء من النون في بعض الكلمات مثل قولهم : إيسان في إنسان، وقد عزى النطق بالياء في كتب العربية على اختلافها إلى طيئ [2] وهي بدوية وقد ورد ذلك في قول عامر ابن جوين الطائي :

---

(١) لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ١٥٦، ١٥٧ .

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس ٩٨٣/١، وتهذيب اللغة ٦٢/١٣، باب السين والنون، والمحكم ٥٥٤/٨ والمحرر الوجيز ٤٤٥/٤، والبحر المحيط ٣١٠/٧، واللسان (أ ن س) والتاج (أ ي س) .

فياليتني من بعد ما طاف أهلها .. هلكتُ ولم أسمع بها صوت إيسان [1]

ويجمع على أياسين .

ومن الإبدال بين المهموسين : الإبدال بين الثاء والفاء . مثل قولهم : تلفم وتلثم، والمغفور والمغثور، وجدف وجدث، والأثافي والأثاثي . وقد نسب النطق بالثاء في هذه الكلمات إلى البيئات البدوية كتميم، وبني أسد، وطيئ، وأهل نجد [2] . أما النطق بالفاء فقد نسب إلى بني سليم [3] وأكثرهم من حضر الحجاز .

فالثاء أليق بالبيئات البدوية ؛ لأنها أوضح في السمع من الفاء على الرغم من أنهما مهموسان. [4] .

ومن ذلك : الوقف بإبدال ألف الاسم المقصور همزة عند بعض طيئ، ولعلهم أرادوا بذلك غلق المقطع عند الوقف . ففروا من المقطع المفتوح إلى المقطع المغلق، واختاروا غلق المقطع بالوقوف بالهمزة لكونها أبين و أوضح فى السمع من الألف عند الوقف، وذلك لما فيهامن النبر و القطع الذى يحقق للبدوي السرعة فى النطق [5] .

فالبيئات البدوية أكثر ميلاً إلى الأصوات الأوضح في السمع، وذلك يناسب طبيعة موقعهم الجغرافي الذي يعيشون فيه، والذي يغلب عليه الجبال . وقد علل ذلك د / أنيس بقوله : " في مثل تلك الصحراء الشاسعة الخالية من مظاهر المدنية قد يفنى الصوت في جو لا آخر له، إذ يتحدث الناس غالبا في العراء وقد افترشوا الغبراء والتحفوا بالسماء، وليس هناك من حائل يصد موجات الصوت أو يركزها، بل تنساب الأصوات في محيط الفضاء تخفي فيه الأصوات فلا تكاد تبين

---

(١) المحكم ٨ / ٥٥٤ (أ س ن) .

(٢) الإبدال لأبي الطيب ١ / ١٨٣، والمصباح المنير (ج د ث) .

(٣) اللسان (ك ر ث أ) .

(٤) في اللهجات العربية ١١٥، واللهجات العربية في التراث ٤١٨ .

(٥) الجانب الصوتي للوقف فى العربية و لهجاتها ١٠٣، و ١٠٤ .

أو تتضح . ولا شك أن الأصوات المجهورة أوضح في السمع، إذ تتلقاها الأذن في مسافة عندها قد تخفى نظائرها المهموسة . لهذا كان من المعقول، بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدينة التي تتحدث بين جدران المنازل، والتي لا ترى داعيا لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه السامع القريب، تميل عادة إلى همس الأصوات.[1]

هذا بالإضافة إلى أن نطق الصوامت المهموسة يحتاج عادة إلى جهد عضلي أقوى من الذي يستدعيه نطق الصوامت المجهورة . ويتمثل ذلك في إخراج النفس ـ (الزفير) ـ فهو في الصوامت المهموسة يحتاج إلى قوة أكثر أو أعظم من التي يتطلبها نطق الصوامت المجهورة.[2]

فالأصوات المهموسة تتطلب جهدا أكبر في التنفس، مما لا يتفق وطبيعة البدوي الهادئ الوادع الذي يقصد في كل حركاته وسكناته . فما تحتاجه عبارة مثل (سكت شخص) من تنفس حين النطق بها أكثر مما تحتاجه عبارة مثل : (زرع رجل) ؛ لأن كل أصوات العبارة الثانية مجهورة، في حين أن كل الأصوات الساكنة في العبارة الأولى مهموسة .[3]

فالبيئات الصحراوية ـ إذن ـ تنتشر فيها الأصوات في مسافة شاسعة لا يعوقها عائق ولا يحول دونها حائل، وتميل بطبيعتها إلى الاقتصاد في الجهد العضلي وهذا يتطلب الميل إلى توضيح الأصوات، فتختار منها ما هو أوضح في السمع وذلك مما ينسجم مع بيئتها وطبيعتها .

ولا يتناقض ذلك مع ما ذكر ـ سابقا ـ من أنهم يميلون إلى الصوت الشديد في مقابل الرخو وإن كان الشديد أقل وضوحا في السمع من الرخو، كما في اختيار طيئ التاء في مقابل الصاد في (اللصت)، وعقيل الباء في مقابل الفاء في (عكوب الطير)، وقيس التاء في مقابل الزاي في (لاتب)، وكما في (التفتر) بالتاء وهو لغة في الدفتر بالدال، وقد نسب الفراء النطق بالتاء إلى بني

(١) في اللهجات العربية ١٠٦، ١٠٧ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ١٥٠ .

(٣) في اللهجات العربية ١٠٧ .

أسد، وقيل : هو لغة قيس . [1] وذلك لأن الشديد أسرع في النطق من الرخو وإن كان أقل وضوحا في السمع منه، وهي خاصية يعنى بها البدوي أكثر من اعتنائه بالوضوح السمعي، ربما لأن الوضوح السمعي أمر يختلف من شخص إلى آخر طبقا لاعتبارات مختلفة أهمها أمراض السمع، أو أداء المتكلم، أو وعي وتركيز السامع، أو مدى أو بعد المسافة بين المتكلم والسامع .

كما أن قوة إسماع الصوت تختلف اختلافا جوهريا تبعا لدرجته واتساعه، وهي أمور يمكن أن تتفاوت تبعا لتفاوت طريقة أداء الصوت . وبالتالي يمكن أن ننطق السين على نحو يجعلها أقوى إسماعا من اللام . مع أن هذه الأخيرة قد وضعت في قائمة الأصوات التي تبلغ قوة إسماعها (٤) بينما وضعت الأولى بين الأصوات التي تبلغ قوة إسماعها (٣) [2] وكما ـــ سبق ـــ أن ذكرت أن الثاء والفاء وهما من الأصوات التي تبلغ قوة إسماعها (٣) إذ هما صوتان مهموسان رخوان، إلا أن الثاء أوضح في السمع من الفاء كما ذكر .

و لا أدل على صحة ذلك من الاستماع إلى قراءة الشيخ عبدالباسط عبدالصمد ـــ (رحمه الله) ـــ لسورة التكوير من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٩) وكلها تنتهي فيها الفاصلة القرآنية بصوت (التاء) الساكن . فعلى الرغم من أن هذا الصوت يكاد يكون عديم السماع كما سبق ؛ لأنه شديد مهموس، إلا أنه في قراءة الشيخ ـــ (رحمه الله) ـــ كان كأوضح ما يكون إذ نطقه ساكنا شديدا موصولا، وهو ما أتاح له ضغطه وإبرازه، مما أضفى على الفاصلة القرآنية جمالا صوتيا، وجرسا موسيقيا تستلز الأذن لسماعه، وتطرب بأدائه . وكأن القارئ ـــ (رحمه الله) ـــ يعزف على أوتار السامع بألحان شجية حسنة حتى يقنعه بروعة الأداء وجمال الإيقاع، وكل هذا لا يتحقق إلا بأداء هذا الصوت بهذه الكيفية أي ساكنا شديدا موصولا حتى يبدو واضحا جليا محببا للنفس لما فيه من نغمة وقطع للصوت . وهو في هذه الحالة يكاد يشبه الوقف بالسكون على الحرف المقلقل ؛ لأنه إذا وقف على الساكن بالقلقلة كان حياة له ـــ لأي للحرف المقلقل ـــ بخلاف الوصل لامتناع القلقلة .

---

(١) تاج العروس (ت ف ت ر) .

(٢) أصوات اللغة ١٣٦، ١٣٧ .

أما إذا كان صوت (التاء) متحركا فإنه يكاد يخفى ولا يبين فى السمع إلا ضعيفا ؛ لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه، كما أنها ـ أى الحركة ـ أوضح فى السمع من الصوت الصامت.

وأما إذا كان صوت التاء موقوفا عليه فإن خفاءه فى السمع يكون أكثر ما يكون ؛ لأن الوقف موضع استراحة و فيه يهبط القارئ بالأداء فتختفى النغمة الموجودة فى حال الوصل لضعف الضغط عليه، وهذا يجعل الصوت خافتا لاسيما عن بعد .

وعلى هذا فإن الوضوح السمعى فى أصوات اللغة يخضع لخاصية فى الصوت نفسه تارة وفى هذه الحالة قد يكون مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية، وقد يخضع للسياق وطريقة الأداء تارة ثانية .

وليس معنى ذلك أن البيئات العربية لها من الحرية النطقية ما يجعلها تختار صوتا أو ترجح نطق صوت على صوت، إنما هي صفات نطقية اعتادها القوم كل في بيئته، وتوارثها جيل عن جيل، فنبعت في المجتمع وعاشت فيه، وتستمر أو تتلاشى حسب العوامل التي تؤدي إلى هذا أو ذاك حسب أنماط الشخصية العربية . وسيأتي توضيح ذلك في المباحث التالية إن شاء الله تعالى.

تعقيب :

بمراجعة ما ذكر في هذا المبحث في المطالب الأربعة السابقة قد نلاحظ تناقضا في بعض الصفات النطقية عند البدو .

ففي المطلب الأول نجد أن البدوي يختار من الحروف والحركات والصيغ أو الأبنية أثقلها، وهذا يتناسب مع خشونة طبعه وجفائه .

وفي المطالب الثلاثة التالية نجد أن البدوي يميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي فلا يعطي الحروف حقها فيسرع بالنطق بالحروف أو الكلمات، فيسقط بعضا منها، أو يبدل حرفا بآخر ليعمل اللسان عملا واحداً، أو يختار الأوضح في السمع والأسهل في النطق، مما جعل ابن جني يحاول تبرير هذا التناقض بقوله : " ومما يدلك على لطف القوم ورقتهم مع تبذلهم . وبذاذة

ظواهرهم، مدحهم بالسباطة والرشاقة، وذمهم بضدها من الغلظة والغباوة، ألا ترى إلى قولها:

فتى قُدَّ قَد السيف لا متآزف ∴ ولا رهل لباته وبآدله

.....وقوله :

ولقد سريت على الظلام بمغشم ∴ جَلْد من الفتيان غير مُنْقل

وأظن هذا الموضع لو جمع لجاء مجلداً عظيماً . (١)

وإنني أرى أن : لعرب البادية صفات صوتية خاصة يتعصبون لها ويستمسكون بها حتى تصبح صفة مميزة لهم عن غيرهم، وتصبح مظهرا من مظاهر فخرهم، وقد نبعت من بيئتهم . فهم يتعصبون لبعض صفات الكلام التي اشتهرت عنهم واشتهروا بها، ويستمسكون بكل ما يميزهم من غيرهم، وإنما يكون هذا حين يشعرون بمثل هذه الصفات، فإذا عرفوا أن لهم نطقاً معينا بالقاف أو الهمزة عرف عنهم واشتهروا به استمسكوا بمثل هذا النطق لا يحيدون عنه ولا يسمحون لأبنائهم بالحيدة عنه .... ومثل هذه العصبية لا تكون إلا حين يشعرون بصفة معينة، ويدركون الفرق بينهم وبين غيرهم فيها إدراكا تاما . أما حين تكون الصفات غامضة عليهم، دقيقة على إدراكهم فنراهم لا يكادون يعبأون بها، بل يتركونها وشأنها تتغير في أفواههم وعلى ألسنتهم دون عمد أو شعور بمثل هذا التغير أو التحور . (٢)

وفي نطق السواكن في كل اللغات يبذل الكثير من الجهد العضلي لإنتاجها، ففي بعضها يقل المجهول إلى حد ضئيل فيتسلل الكلام مستمرا هادئا في تعادل متصل، وفي بعضها على العكس من ذلك يوجد احتجاز عضلي يعطي للسماع طابع العنف وتتخلله أنواع من الاسترخاء المفاجئ ومواقع الوزن والاصطدام . وفي داخل كل لغة تتطلب بعض الأصوات اللغوية توترا عضليا أشد من غيرها مما جعل أهلها يميزن في سواكنهم بين اللطيفة والقوية . (٣)

والعربية واحدة من هذه اللغات التي تتنوع أصواتها بين القوة والضعف، أو اللطافة والقوة وكانت اللهجات العربية أو البيئات العربية هي أبرز ما يكون لتوضيح هذه الفروق الدقيقة بين الأصوات .

---

(١) الخصائص ١ / ٨٠ بتصرف .

(٢) في اللهجات العربية ٨٨، ٨٩ .

(٣) اللغة فندريس ٥٨ .

المبحث الثاني

البيـئة بين التأثيـر والتأثـر

في حديثنا عن أثر المجتمع في اللغة ذكرنا أن اللهجات في الأمة الواحـــدة تختلـــف تبعـــا لاختلاف أقاليهما وما يحيط بكل منها من ظروف ، وما يمتاز به أهله من خصائص ، وأنه قد يتـــاح لبعضها فرص للاحتكاك بأخرى من إخوانها فتؤثر فيها وتتأثر بها ، وقد يبقي بعضها منعزلا لعـــدم دخولها في صراع لغوى مع غيرها فتجد فيها ظواهر لغوية تكاد تنفرد بها ولا توجد في غيرها .

وعلي هذا فإن التأثير والتأثر بين اللهجات العربية ليس حكماً عاماً ينطبق علـــى جميـــع الأعراب ، فمن العرب من يتمسك بلهجته ويتعصب لها ، ومنهم يتأثر بلهجة من يخالطه ؛ لذا قسم ابن جني (رحمه الله) العرب إلي ثلاثة أقسام ـ حال اختلاطهم وتزاورهم ـ قال : " واعلـــم أن العرب يختلف أحوالها في تلقي الواحد منهم لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع قبول مـــا يـــسمعه ومنهم من يستعصم فيقيم علي لغته ، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره علية لصقت به ووجدت في كلامه " [1] وذكر لذلك عددا من الأمثلة .

أما عن تمسك بعض القبائل بلهجاتها دون تأثرها بغيرها : فإنه قد يسهل على المرء أن ينطق بكلمة من غير لغته في جوهرها ولا يسهل عليه أن ينطق بكلمة من غير لغته نفسها بلهجة غير لهجته وطريقة في الأداء غير طريقته . ذلك لأن الترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، والإظهار والإدغام، والفتح والإمالة ونحوها ما هي إلا أمور دقيقة وكيفيات مكتنفة بشيء مـــن الغمـــوض والعسر في النطق على من لم يتعودها ولم ينشأ عليها. [2]

يقول الإمام ابن قتيبة في تعليله لنزول القرآن على سبعة أحرف : " فكان من تيـــسير الله

---

(١) الخصائص ١ / ٣٨٤ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ١ / ١١٤ .

تعالى أن أمر نبيه ـــ ﷺ ـــ أن يقرأ كل أمة ـــ لعله يريد بالأمة القبيلة ـــ بلغتهم وما جرت بـــه عادتهم، فالهذلي يقرأ (عتى حين) هكذا يلفظ بها ويستعملها .... والأسدي يقرأ تعلمون ونعلـــم وتسود وجوه، وألم أعهد بكسر حروف المضارعة في ذلك كله، والتميمـــي يهمـــز والقرشـــي لا يهمز..... ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفـــلا ويافعـــا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه، ولا يمكن إلا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته أن يجعل لهم متسعا في اللغات ومتصرفا في الحركات كتيسيره عليهم في الدين " . (١)

وقال ابن الجزري : " كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم المختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغة إلى غيرها، لاسيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابا، فلو كلفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم، لكان من التكليف بما لا يستطاع ؛ وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع . (٢)

وعلى هذا فإن كل لهجة من اللهجات المحلية تعمل على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، فلا تدخر وسعا في محاربة عوامل الابتداع والتغيير داخل منطقتها ولا تألوا جهدا في درء ما يوجه إليها من خارجها من هجمات " . (٣)

فالعربي ـــ لاسيما البدوي ـــ يتمسك بلهجته، ولا يتنازل عنها حتى في أحرج الأحـــوال؛ لأن لسانه قد طبع عليها، ونشأ منذ نعومة أظفاره مقيما عليها، ومتعصبا لها . يؤكـــد لنـــا ذلـــك القصص المروية عن الأعراب في عصر فصاحة اللغة ومن ذلك ما يلي :

١ ـــ ما رواه ابن جني عن أبي حاتم السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال : "قرأ علي أعرابي

---

(١) السابق ١ / ١١٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ / ٢١، ٢٢، والقراءات واللهجات / عبد الوهاب حموده ٦، ٧ .

(٣) اللغة والمجتمع ١٦٥ .

بالحرم :﴿ طيبى لهم وحسن مئاب ﴾ [1] فقلت : طوبى، فقال : طيبى . فأعدت فقلت : طوبى، فقال : طيبى، فلما طال علي قلت : طوطو، قال : " طى طى " أفلا ترى إلى هذا الأعرابي، وأنت تعتقده جافيا كذا، لا دمثا ولا طيعا، كيف نبا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثر فيه التلقين، ولا ثنى طبعه عن التماس الخفة هز ولا تـــمرين " [2]، أو أفلا ترى إلى استعصام هذا الأعـــرابي بلغتـــه وتركه متابعة أبي حاتم " . [3]

٢ ـــ ومن ذلك ما رواه الأصمعي عن الحكاية بين عيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء في قولهم : (ليس الطيبُ إلا المسكُ) يقول : " جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بـــن العلاء فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه، قال : وما هو، قال : بلغني عنك أنك تجيـــز ليس الطيب إلا المسك بالرفع، فقال أبو عمرو : نمت يا أبا عمرو وأدلج الناس، لـــيس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، وليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ثم بعث معه خلفا الأحمر واليزيدي فجاءا إلى حجازي فجهدا به على أن يرفع فلم يفعل، وجاءا إلى رجل تميمي فجهدا بـــه علـــى أن ينصب فلم يفعل وقال ليس هذا بلحن قومي . [4]

٣ ـــ ومن ذلك قولهم : هو أشد سوادا من حلك الغراب . وأنكرها بعضهم وقال: إنما هـــو مـــن حنك الغراب أي منقاره، وقيل : سواده، وقيل : نون حنك بدل من لام حلك، قـــال يعقـــوب: قـــال الفراء قلت لأعرابي أتقـــول : كـــأنه حنك الغراب أو حلكه، فقال : لا أقـــول حلكه أبدا [5] .

٤ـــ ومن ذلك ما جاء عن الأصمعي قال : " اختلف رجل من مضر ورجل مـــن ربيعـــة فقـــال

---

(١) سورة الرعد من الآية (٢٩) .

(٢) الخصائص ١ / ٧٦، ٧٧ .

(٣) السابق ١ / ٣٨٥ .

(٤) الأمالي ٣ / ٤٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٩ / ٢٨١، والمزهر ٢ / ٢٧٧، ٢٧٨، وهمع الهوامع ٤٢٣/١ بتصرف .

(٥) المحكم ح ك ل ٣ / ٤١ .

المضري : السقر، وقال الربعي : الصقر، فأقبل رجل من قضاعة فأخبره فقال : لا أقول كما قلتما إنما هو الزقر " . (١)

فالإنسان كثيرا ما يتمسك بلهجته التي اعتادها طفلا ويافعا وكهلا إذ يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته إلا أن يحدث له عارض ناتج من التعليم، وذلك في حالة أن يتلقن نطقا أجنبيا يحل محل النطق القومي كما ذكر فندريس.(٢)

ولتمسك البدوي بلهجته التي اعتادها في أكثر الأحيان أسباب عدة أهمها :

١. **التعصب** : سواء كان هذا التعصب تعصبا من البدوي لرأيه أو لشخصه أو تحزبا منه لأهله وعشيرته، أو تعصبا لهما معا، فإنه على كل حال ناصر لنفسه ولعشيرته ومتعصب لهما في كل المواقف ـــ (ومنها استعماله لهجة قبيلته) ـــ ولا يهمه بعد ذلك أن يكون غانما أو غارماً . (٣)

فتميم وقيس وأسد ومن جاورهم من قبائل البدو في وسط الجزيرة العربية وشرقيها يتعصبون لبعض صفات الكلام التي اشتهرت عنهم ويستمسكون بكل ما يميزهم من غيرهم . وإنما يكون هذا حين يشعرون بمثل هذه الصفات فإذا عرفوا أن لهم نطقا معينا بالقاف أو الهمزة عرف عنهم واشتهروا به استمسكوا بمثل هذا النطق لا يحيدون عنه ولا يسمحون لأبنائهم بالحيدة عنه.... ومثل هذه العصبية لا تكون إلا حين يشعرون بصفة معينة، ويدركون الفرق بينهم وبين غيرهم فيها إدراكا تاما . (٤)

٢. العلاقات الوثيقة التي تربط الناطقين بعضهم ببعض وتربطهم ببيئتهم ومجتمعهم .

---

(١) غريب الحديث للخطابي ١ / ٣٨٣ .

(٢) اللغة فندريس ٢٤٦ .

(٣) البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ٣٣٧ .

(٤) في اللهجات العربية ٨٨، ٨٩ .

وذلك أنه بقوة هذه العلاقات يقوى الضمير الجمعي، وتتأكد سيطرة النظم الاجتماعية ويعظم نفوذها، ويشتد بطشها بالمعتدين . فكل محاولة فردية للخروج على النظام اللغوي تلقى في مجتمع قوي كهذا مقاومة عنيفة تكفل القضاء عليها في مهدها، وبذلك تتقي اللهجة ما عسى أن يوجه إليها في داخل منطقتها من محاولات الابتداع وعوامل التغيير . (١)

ويبدو ذلك كأوضح ما يكون في البدو لأمرين هما :

الأول : أن من أهم خصائص البدوي العربي أنه يدين بالولاء لجماعته القرابية — خصوصا قبيلته — أيا كان مكانها، ويتشرف بالانتماء إليها، ويحفظ التسلسل القرابي لقبيلته عن ظهر قلب، ويتمسك بكل العادات والتقاليد والقيم التي تدعم صلته بها وتزيده قربا منها على الرغم من المسافة التي تباعد بينه وبينها .... ومن هنا كان القول بأن ولاء البدوي لا ينصرف إلى المكان وإنما يعود إلى الزمان بكل ما فيه من أنساب وعادات وتقاليد وقيم (٢). وإن فارق مكان إقامته .

ففي المجتمع المحلي الصغير نجد أن الروابط الاجتماعية تتميز كما يقول فرديناند تونيز بالوحدة التفاعلية والمشاركة الجماعية في قيم واحدة، وتكامل المسئوليات والالتزامات الجماعية، وعلى هذا فإن أي لون من ألوان التعديل لن يتناول أفرادا وإنما يواجه وحدات تشتد صلابتها أو تخف مقاومتها وأصداها بحسب تغلغل جذور الأفكار والعادات السائدة إلى أعماق بعيدة الأغوار وإلى تراث تقليدي ضارب بجذوره .... وليس لأفراد هذه الجماعات حرية التصرف أو انتهاج أي سلوك بعيداً عن التوحد الوثيق داخل بنائها الجماعي . (٣)

واللغة أوثق العرى التي تجمع بين أعضاء الجماعة . وهي على الدوام رمز ما بينهم من تشارك وحارسه الأمين، وهي وسيلة للاتفاق بين الجماعة وعلامة لأعضاء هذه الجماعة، بها يعرف بعضهم بعضا ويهرع بعضهم إلى بعض . (٤)

---

(١) اللغة والمجتمع ١٦٥ .

(٢) البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ٣٤٢ .

(٣) علم الاجتماع ٨٥، ٨٦ بتصرف .

(٤) اللغة فندريس ٣٠٣، ٣٠٤ بتصرف .

الثاني : أن استجابة البدوي لمختلف مظاهر التغيرات الحضارية بطيئة . ولعل هذا ناشئ من حرص البدوي على القديم وحنينه الدائب إلى الماضي وإلى كل ما تركه الآباء، فضلا عن تخوفه المستمر من المجهول وبما يأتي به الغد، ومن هنا كان حرصه على عدم المغامرة بما يعرفه في مقابل مالا يعرفه وإن كان في الأخير خيره ومصلحته، وغلف ذلك التخوف من المجهول بمجموعة من الأمثال والحكم تدور كلها حول أن الذي يعرفه خير مما لا يعرفه .[1]

٣. ضعف الصلات التي تربطهم بمجاوريهم من الحضر، وقلة فرص الاحتكاك بهم، وما يبدونه في العادة من نزوع إلى العزلة والاستقلال وهذا يؤدي إلى حماية لهجاتهم من اللهجات المجاورة، إذ يكاد سكان كل منطقة يعيشون في معزل عن سكان المناطق الأخرى[2]. مما يترتب عليه عدم تأثر اللغة واللهجة المحلية السائدة بغيرها من اللغات واللهجات .[3]

أما عن التأثير والتأثر بين البيئات العربية : فإننا نجد كثيراً ما يتأثر البدو بعضهم ببعض في كثير من الظواهر اللغوية التي تعزي إلى بيئات متعددة يغلب عليها الطابع البدوي، كما يتأثر الحضر بعضهم ببعض أيضا، وفي بعض الأحيان يحدث نوع من التأثير والتأثر بين البدو والحضر وذلك قليل .

وفي هذه الحالة يكون تأثر الحضري بالبدوي أكثر من تأثر البدوي بالحضري يقول الأستاذ (شارل كوينز) : " البدو الرحل أبعد من غيرهم عن التأثر بلهجات سواهم، لما في طبيعة البدوي من الاعتزاز، وسكان الحواضر يأخذون ويعطون، ولذلك كانوا أسرع في التأثر من البدو،

(١) البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ٣٤٤، ٣٤٥ .

(٢) اللغة والمجتمع ١٦٥ .

(٣) علم الاجتماع اللغوي ــ السيد عفيفي ٩٢ .

يفيدون من اللغات المحيطة بهم " .[1]

فليس الغالب أن يبقى العربي ـــ إذن ـــ على لهجته غير متأثر بلهجة من يجاوره أو يخالطه، بل الغالب هو التفاعل بين اللهجات حيث تتأثر كل لهجة بما يجاورها وتؤثر فيها . وما جاء في حديثهم عن تركيب اللغات وتداخلها أقوى دليل على ذلك .

فلم يعش العرب في شبه الجزيرة العربية منعزلين، بل اضطرهم ظروف الحياة وقسوة البيئة إلى الاتصال ببعضهم البعض لتبادل المنافع من تجارة وغيرها . فاجتمعت في الأسواق الأدبية التي كانت مسرحا للتباري في قرض الشعر، واتصلت عند شن الغارات والحروب. وهذه الاتصالات وغيرها أوجدت سبيلا للصراع اللغوي بين اللهجات العربية المختلفة وترتب عليه أن تتأثر هذه اللهجات ببعضها .

ولهذا الاتصال أو الاحتكاك بين اللهجات العربية عوامل كثيرة أهمها ما يلي :

١ ـــ المجاورة والاختلاط :

وقد بين ابن جني (رحمه الله) أن الاختلاط بين العرب يظهر أثره في اللغة فقد ذكر في باب (العربي يسمع لغة غيره أيراعيها ويسمع حكمها أم يلغيها ويطرح حكمها) أن العرب في تجاورهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة فقال : " قد علمت بهذا أن صاحب لغة قد راعى لغة غيره . وذلك لأن العرب وإن كانوا كثيرا منتشرين، وخلقا عظيما في أرض الله غير متحجرين ولا متضاغطين، فإنهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة. فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مهم أمره فهذا هذا ".[2]

ولذلك نماذج كثيرة بين العرب منها ما يلي :

أ) ـــ قول بعضهم في الوقف : (رأيت رجلأ) بالهمزة . فهذه الهمزة بدل من الألف في

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٩١ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٧، ١٨ .

الوقف في لغة من وقف بالألف، لا في لغته هو ؛ لأن من لغته هو أن يقف بالهمزة . أفلا تراه كيف راعي لغة غيره، فأبدل من الألف همزة . (١)

فالهمزة في رجلأ، وفي حبلأ في قولهم : هذه حبلأ . بدل من الألف التي هو عوض من التنوين في الوقف، ولا ينبغي أن تحمل على أنها بدل من النون لقرب ما بين الهمزة والألف، وبعد ما بينها وبين النون، ولأن حبلى لا تنوين فيها، وإنما الهمزة بدل من الألف اللينة فكذلك ألف رأيت رجلأ، وحكى أيضا هو يضربأ . (٢) وقد عزى السيوطي هذا الوقف بإبدال الألف همزة إلى بعض طيئ . (٣)

ب) ـ ومنه إلزام المثنى الألف في لهجة بني الحارث، وكنانة، وخثعم، وهمدان، وبني العنبر، وبني الهجيم، وبني زبيد، وبطون من ربيعة، وبكر بن وائل . (٤)

وعلى هذا فهي لهجة منتشرة بين قبائل عدة بعضها من شرق الجزيرة وبعضها من غربها، وفي شمال اليمن . فكنانة من مجاري قريش، وبلحارث بن كعب وبلعنبروبني الهجيم وبني زبيد من بطون تميم، وخثعم بطن من كهلان وكانت تسكن السراة إلى جوار مذحج، وهمدان أيضا بطن من كهلان وكانت تنزل شمالي همدان، ومراد بطن من كهلان وكانت تنزل إلى جوار بالحارث، أما ربيعة وبكر بن وائل فكانت مواضعهم بالعراق . (٥)

ومعظم هذه القبائل التي نسبت إليها هذه الظاهرة اللهجية قبائل بدوية تقوم حياتها على التنقل والارتحال من مكان إلى مكان بحيث يسمح هذا الارتحال بانتشار هذه الظاهرة اللهجية . نتيجة اختلاطهم بعضهم ببعض في تنقلاتهم ورحلاتهم . (٦)

---

(١) السابق ٢ / ١٩ .

(٢) سر الصناعة ١ / ٧٤ .

(٣) همع الهوامع ٣ / ٤٣٠ .

(٤) الصاحبي ٢٩، والمفضل في شرح المفصل ١١٤/١، وفتح الوصيد في شرح القصيد لوحة رقم ١٤٦، والهمع١/ ٤٠ .

(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٨٥، ١٨٦ .

(٦) لهجة ربيعة ٢٢٢ .

جـ) ومن ذلك نسبة (الاستنطاء) وهي قلب العين الساكنة نونا في أعطى إلى سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، والأنصار . ونسبها الجوهري إلى أهل اليمن . [1]

وبنو سعد بن بكر من هوازن[2]، وأرض هوازن في نجد مما يلي اليمن[3] . وبعض بطون هذيل وقيس كانت تجاور وتخالط الأزد في السراة . [4]

د) ومنه قلب (الحاء هاء) في كلمات منها : المده وأصله : المدح . والكده وأصله : الكدح والقهقهة وأصله : الحقحقة . في لهجة سعد بن زيد مناة بن تميم، وكانت قد تفرقت في أماكن عديدة في الجزء الشرقي من الجزيرة فذهبوا إلى يبرين، ثم خالطوا عامر بن عبد القيس في قطر، وذهبت طائفة منهم إلى عمان، وطائفة أخرى بين أطراف البحرين إلى ما يلي البصرة . وكانت هذه القبيلة تجاور الفرس، فإذا عرفنا أن النعمان بن المنذر ظهرت هذه السمة اللهجية في كلامه وهو ممن تأثر بالفرس عرفنا أن هذه السمة اللهجية تأثرت بها القبائل العربية التي كانت تتاخم حدود فارس، ومما يؤيد ذلك أن هذه اللهجة نفسها عزيت إلى قبيلة لخم كما جاء عن المبرد، وقد كان للخميين ملك بالحيرة من العراق، وهذا يشير إلى أن هذه الظاهرة اللهجية قد دخلت اللهجات العربية من الخارج لاسيما فارس، ومما هو جدير بالذكر أن الحاء الفارسية تنطق كالهاء العربية . [5]

هـ) ـ ومنه حذف عين المضعف عند إسناده إلى ضمير الفاعل البارز كما في قوله تعالى : ﴿ فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [6] دون نقل حركته إلى الفاء في لهجة نمير وبني سليم وطيئ . وبنونمير بطن من عامر بن صعصعة ينتهي نسبها إلى قيس عيلان، وعامر كان بعض بطونها بدوا إذ كانوا يتزلون نجداً، وسليم قبيلة عظيمة تنسب إلى منصور بن عكرمة وينتهي نسبها إلى قيس، وكانت منازلهم في عالية نجد، ويظهر أن بعض بطونها كان يتزل مع طيئ بدليل ما جاء عن الهمذاني

---

(١) المزهر ١ / ٢٢٢، وتاج العروس (ن ط و) .

(٢) معجم البلدان ٢ / ٣٧ .

(٣) معجم ما استعجم ٣ / ٩٥٣ .

(٤) معجم البلدان ٣ / ٢٠٥ .

(٥) اللهجات العربية في التراث ٤٦٩، ٤٧٠ .

(٦) سورة الواقعة من الآية (٦٥) .

من قوله : " فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرق المدينة إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرة ديار سليم، لا يخالطهم إلا صرم من الأنصار سيارة، وقد يحالون طيئا " . وقد شاركت طيئ نميرا وسليما في تلك السمة اللهجية نتيجة اختلاطهم .[1]

كما تتيح المجاورة بين شعبين مختلفي اللهجة فرصا كثيرة للاختلاط واحتكاك لهجتيهما فقد تنتصر إحداهما على الأخرى كما حدث للقرشية التي اقتبست من أخواتها وأصبحت العربية المثالية ولغة الشعر والآداب في الأغلب وبها نزل أكثر القرآن، وقد تعيش اللهجتان المتجاورتان معا جنبا إلى جنب في إطار التأثير والتأثر المتبادل بينهما، وذلك كما حدث للهجة تميم مع جيرانها، فقد كانت المساحة التي أقامت بها تميم شاسعة، لذا لم تكن خالصة لها كلها، بل شاركتها قبائل أخرى أو فروع لقبائل، كما أن هناك قبائل أحاطت بها مما جعل هذه القبائل تتأثر باللهجة التميمية في كثير من مظاهرها ومنها ضبة بن أد، وعكل، وربيعة نزار، وأسد بن خذيمة، وقيس عيلان، وغطفان، وبني عامر بن صعصعة من هوازن .... إلخ .[2]

ومما يدل على التأثير والتأثر بين هذه القبائل المتجاورة جغرافيا أنك تجد الظاهرة الواحدة قد عزيت إلى تميم ومن جاورهم ومن ذلك ما يلي :

أ) ــ تسكين المضموم أو المكسور العين كقولهم في كتف : كتْف، وفي عَضُد : عَضْد . ورُسُل : رُسْل . وقد نسب ذلك إلى تميم، وبكر بن وائل، وربيعة [3] وبني كلاب وهي من ديار نجد [4] إذ يقولون في الرَحم : الرَحْم بسكون الحاء مع فتح الراء [5]، وأسد، وجمع بين هذه القبائل الجوار الجغرافي .

ب) ــ تثقيل (رب) في لهجة تميم، وقيس، وربيعة، وقيل : بكر بن وائل وهي من ربيعة[6] ويرى أحد الباحثين أن أصل هذه اللغة في تميم ثم انتقلت بالمجاورة إلى كل من قيس وربيعة، وهذا ما

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٧٠٠، ٧٠١ بتصرف .

(٢) لغة تميم ٣٧ وما بعدها .

(٣) أنظر صـ من البحث .

(٤) معجم البلدان ٢ / ٤٠٠ .

(٥) المصباح المنير (ر ح م) .

(٦) زاد المسير ٤ / ٣٧٩، والتفسير الكبير ١٩ / ١٢٠، وفتح القدير ٣ / ١٢١، وأضواء البيان ٢٥٢/٢ .

يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة باسم (Adstratmm) أي : تأثير اللغات المتجاورة أو اللهجات المتجاورة بعضها في بعض [١] . على حين يخففها أهل الحجاز وعليها قرئ قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [٢] وهي قراءة نافع وعاصم وعامة قراء المدينة. [٣]

جـ) ومن ذلك :نسبة (الطمطمانية) إلى أهل اليمن أو حمير، وطيئ، والأزد، ودوس، وأصلها لأهل حمير، ثم انتقلت إلى القبائل التي كانت تسكن جنوب اليمن [٤]. وعليها الحديث الشريف : (ليس من امبر امصيام في امسفر) [٥] فيبدلون لام التعريف ميما .

د) ـ إتمام اسم المفعول مما عينه واوا كقولهم : ثوب مصوون في لهجة تميم، وبني يربوع وبني عقيل . فبنو يربوع بطن من حنظله من تميم، أما عقيل فكانت مساكنها عن كثب من تميم، فلا غرو أن تأثرت عقيل بمجاوريهم من تميم في تلك الصيغة [٦] . وبينهما حروب. [٧]

هـ) ـ قلب الياء ألفا إذا تحرك ما قبلها بفتحة غير إعرابية فى لهجة طيئ . يقولون في بقى : بقا، وفى فنى : فنا، وفي نسى : نسا . وقد عزيت إلى قبائل أخرى غير طيئ وظهرت فى لسان شعرائها ك مزينة، وسعد تميم، وقيس عيلان، وتميم، وبني القين وهم من قضاعة، وبولان وهم بطن من طيئ القحطانية، وكندة، وبلحارث بن كعب، وأسد، وعلى، وهذه القبائل بعضها شرقي ك تميم وأسد وغنى، وبعضها يرجع إلى قبائل يمنية ك الحارث بن كعب وطيئ وبولان وبني القين . فلعل الظاهرة كانت في الأصل في طيئ ثم قلدها القبائل المجاورة لها كأسد ومزينة وتميم ؛ لأن العلاقة

---

(١) اللهجات في كتاب سيبويه ٦٧ .

(٢) سورة الحجر من الآية (٢) .

(٣) جامع البيان ١٤ / ١، وفتح القدير ٣ / ١٢١ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في بحثنا الفكر اللهجي عند أبي العلاء المعري ص١١، ١٢ .

(٥) الكفاية في علم الرواية ١٨٣/١، وغريب الحديث لابن سلام ٤ / ١٩٤ .

(٦) اللسان (د و ف، ص و ن)، والاقتضاب للبطليوسي ص٢٧٥، واللهجات العربية في شرح المفصل ٢٦٣، والفكر اللهجي عند أبي العلاء المعري ٩٢ .

(٧) معجم ما استعجم ٢ / ٥٥٨ .

الجغرافية بينها ثابتة فظهرت في أسد ؛ لأن طيئا لما هاجرت سكنت مساكن أسد، كما ظهرت في بلحارث بن كعب ؛ لأن بلحارث قبيلة يمنية ك طيئ، كما يحدث التاريخ أن اختلاطا حدث بين بطون طيئ وقضاعة فالعلاقة النسبية موجودة .[1]

و) ــ ومن ذلك : ما سمعه الكسائي عن شيخ من هوازن أنه كان يقول : " (عليهُ مال)، وكان يقول : عليهُم و فيهُم وبهُم . بضم هاء الضمير[2] وهو من لهجة أهل الحجاز . وعليها قراءة حفص : ﴿بما عاهد عليهُ الله﴾ [3] . وما ذلك إلا لمجاورة هوازن لأهل الحجاز، فهي و إن كانت من قيس إلا أن بعضها قد سكن منطقة الحجاز [4] . وكانت لها صلات بمكة والطائف، ولهذا سارت فى ركب الحجازيين [5] .

وقد يحدث الاختلاط عن طريق (التجارة وتبادل المنافع) مما يتيح للعرب فرصة اتصال بعضهم ببعض .

فالعلاقات التجارية تعمل على توثيق العلاقة بين البيئات العربية من ناحية، وعلى نقل آثار لهجية من بيئة إلى بيئة أخرى من ناحية ثانية فقريش مثلا كانت لها جولات خارجية اتصلت فيها بالقبائل المختلفة وبالأمم الأخرى عبر رحلاتهم التجارية في الشتاء والصيف والتي عبر عنها القرآن الكريم بقوله : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [6] وقد أتاحت لهم هذه العلاقات التجارية فرصة الالتقاء بإخوانهم العرب والتأثر بلهجاتهم لذا قال الفارابي " كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس " . [7]

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٥٣٢ ــ ٥٣٦ بتصرف .

(٢) اللسان .

(٣) سورة الفتح من الآية (١٠) .

(٤) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٢١/٤

(٥) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ١٢٣١/٣

(٦) سورة قريش آية (١، ٢) .

(٧) المزهر ١ / ٢١١ .

ومما يدل على تأثيرها في لهجة غيرها ما روى عن بني كلب أنهم كانوا يكسرون هاء الضمير فيقولون عليكم ومنهم . وبنو كلب هؤلاء فرع من قضاعة ترددت مساكنهم بين تخوم الشام وما يقرب من بلاد العراق ... وهذا الكسر للضمير صفة من صفات اللهجات الحجازية، أما كيف يمكن أن بني كلب قد تأثروا بلهجات الحجاز، فذلك لأنهم عاشوا على حدود الشام أي على الطريق الذي كان الحجازيون يسلكونه دائما في تجارتهم مع بلاد الشام، فبيئتهم ليست إلا امتدادا طبيعيا للبيئة الحجازية . (١)

ومن ذلك :كسر الشين وفتح الجيم في (شجرة) في لغة تميم، ثم انتقالها إلى بني سليم ومكة . وقد قرئ ﴿ وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشجَرَةَ ﴾ (٢) بكسر الشين وفتح الجيم وعزاها ابن أبي إسحق الى بني سليم . وقال أبو عمرو : يقرأ بها برابر مكة وسودانها (٣) . إلا أن بنى تميم يكسرون الشين ويفتحون الجيم ويقلبون الجيم ياءا فيقولون : شيرة، وعلى هذه اللغة أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى ∴ فأبعدكن الله من شيَرات

وأم الهيثم هذه من بني منقر من تميم، وكانت حجة في التشريع اللغوي (٤)، وقرئ (ولا تقربا هذه الشيرة) بكسر الشين والياء المفتوحة بعدها وكره أبو عمرو هذه القراءة وقال : يقرأ بها برابر مكة وسودانها، وينبغي أن لا يكرهها لأنها لغة منقولة فيها (٥) . ومن تاريخ سليم نعرف أن أرضها تقع في منطقة مهمة إذ كانت تهيمن على طرق التجارة، فلعلها سقطت إليها تلك اللهجة من هذا المنفذ ثم لقنتها لمكة ؛ لأن التاريخ يتحدث عن سليم بأنها كانت وثيقة الصلة بقريش . (٦)

---

(١) في اللهجات العربية ٩٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية (٣٥) .

(٣) المحتسب ١ / ٧٣، ٧٤ .

(٤) اللهجات العربية في التراث ٤٥٩ .

(٥) البحر المحيط ١ / ٣١٠ .

(٦) اللهجات العربية في التراث ٤٥٩ .

٢ ــ الانتقـــال :

كثيراً ما تنتقل جماعة من منطقة إلى منطقة أخرى، وكثيرا ما تغير هـــذه الجماعـــات مـــن عادات وطباع الجماعات القديمة تدريجيا حتى تزول العادات القديمة وتنطبع الجماعـــات القديمـــة بطباع الجماعات الجديدة، وتسمى هذه العملية بعملية الانتشار .[١]

فالمجتمع العربي لم يكن مجتمعا انعزاليا كما يظن، بل كان من أهم مميزاته النشاط والحركـــة والتوثب، وكانت تيارات القبائل تتحرك في قلب الجزيرة وعلى أطرافها تارة صـــاعدة وأخـــرى هابطة، والعربي بعد ذلك كثير التنقل للقنص أو السطو على القوافل الـــسابحة في بطـــن الجزيـــرة وكانت الهيئة الجبلية والصحراء الوعرة لها الأثر الكبير حيث صبغتهم بصبغة خاصة، وطبيعة الإقليم في الجزيرة هو الذي حدد تنقلاتهم وتحركاتهم .[٢]

ويترتب على هذا الانتقال بين البيئات العربية نزوح عناصر أجنبية عن الإقليم أو القبيلـــة إلى مكان آخر قريب إليه أو بعيد عنه ينطق لهجة أخرى لها صـــفات نطقيـــة وبنيويـــة وتركيبيـــة ومفردات خاصة بها مختلفة عنها فيحدث نوع من التأثير والتأثر بين اللـــهجتين وإن كـــان تـــأثير المستقرة في الوافدة أكبر كثيرا من تأثرها بها . يقول أحد الباحثين : " كثيرا ما تـــصاحب الهجـــرة الداخلية أو الخارجية عملية صراع لغوي للهجات الوافدين، ولا يجدون مفراً لتحقيـــق التوافـــق الاجتماعي واللغوي مع المجتمع الجديد من أن يغيروا لهجاتهم المحلية، حتى لا يتعرضوا للـــسخرية، ولهذا تجدهم يحاكون اللهجة المحلية السائدة ويقلدونها في معية محافظتهم على لهجتهم المحلية الأصلية لاستخدامها مع أهلهم عندما يلتقون بهم ...." .[٣]

يقول فندريس : " تنوع اللغات ــ (واللهجات كذلك) ــ يرجع إلى تعقـــد الـــروابط الاجتماعية . ولما كان من النادر أن يعيش فرد محصورا في مجموعة اجتماعية واحدة كان من النادر

---

(١) المجتمع ص ١٢٥ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٣٦ .

(٣) علم الاجتماع اللغوي د / السيد عفيفي ١٢٨، ١٢٩ .

أيضا أن تبقى إحدى اللغات دون أن تنفذ إلى مجموعات مختلفة، إذ يحمل كل فرد معه لغة مجموعته ويؤثر بلغته على لغة المجموعة المجاورة التي يدخل فيها " .[1]

وقد ذكر د / الجندي صورة واضحة عن تنقلات القبائل العربية بما يغني عن ذكر شيء منها هنا [2] ؛ لأن هدفنا هو بيان أثر هذا الانتقال في استعمال اللغة، وفي عملية التأثير والتأثر بين اللهجات العربية عن طريق ذكر النماذج الداعمة لذلك .

أما أثر هذا الانتقال في اللغة : فقد وضحه ابن جني في باب (العربي الفصيح ينتقل لسانه) . فقال : " اعلم أن المعمول عليه في نحو هذا أن تنظر حال ما انتقل إليه لسانه . فإن كان إنما انتقل من لغته إلى لغة أخرى مثلها فصيحة وجب أن يؤخذ بلغته التي انتقل إليها، كما يؤخذ بها قبل انتقال لسانه إليها، حتى كأنما حضر غائب من أهل اللغة التي صار إليها، أو نطق ساكت من أممها. فإن كانت اللغة التي انتقل لسانه إليها فاسدة لم يؤخذ بها، ويؤخذ بالأولى حتى كأنه لم يزل من أهلها ، وهذا واضح " [3] وضرب لذلك عددا من الأمثلة . [4]

وللانتقال بين البيئات العربية عاملان مهمان هما :

أ) الهجرات :

تساعد هجرة القبيلة من مكانها إلى مكان آخر على امتزاج بعض البيئات أو القبائل العربية بعضها في بعض أو تغلب بعضها على بعض مما يحدث كثيرا من التأثير والتأثر بين هذه البيئات في مظاهر الحياة والعادات والتقاليد والطباع ونطق الألفاظ والعبارات، واستعارة بعض المفردات اللغوية ويبدو ذلك واضحا في النماذج التالية :

---

(١) اللغة / فندريس ٣٠٦، ٣٠٧ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٣٦ ــ ٥١ .

(٣) الخصائص ٢ / ١٤ .

(٤) السابق ٢ / ١٤ ــ ١٩ .

١ ـــ هجرة طيئ من اليمن إلى ديار بني أسد، إذ كانت منازلهم باليمن فخرجوا منه على إثر خروج الأزد منه، ونزلوا سميراء وفيدا في جوار بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على أجا وسلمى، وهما جبلان في بلادهم يعرفان بجبلي طيئ فاستمروا فيها، ثم افترقوا في أول الإسلام في الفتوحات [١].

يقول الأصطرخي : " ليس بين المدينة والعراق مكان يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل : فيد، وفيد في ديار طيئ، وجبلا طيئ منها على مسيرة يومين، وفيها نخيل وزرع قليل لطيئ، وبها ماء قليل، يسكنها بادية من طيئ، يتنقلون عنها في بعض السنة للمراعي " . [٢]

فديار طيئ كانت لبني أسد، فلما خرج بنوطيئ من اليمن تغلبوا على أجا وسلمى وتفرق بنو أسد، وقد كانوا يتزلون الحجاز عند مجيء الإسلام. [٣]

وقد ظهر أثر هذه الهجرة من طيئ في تأثير لهجتهم فيمن جاورهم . ومن ذلك : أنه قد شاع في كلام طيئ استخدام (ذو) اسما موصولا عاما للمفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، بصورة واحدة لا تتغير في كل ذلك، وهي كثيرة الورود بهذه الصورة في أشعارهم . مثل قول سنان الفحل الطائي :

فإن الماء ماء أبي وجدي ∴ وبئري ذو حفرت وذو طويت [٤]

ومن أمثالهم قولهم : " أتى عليهم ذو أتى " أي الذي أتى على الناس وهو الموت [٥] وقد تأثر بهم بنو أسد فاستعملوا (ذو) اسما موصولا بمعنى الذي . ووردت هكذا في لسان بعض شعرائهم يقول منظور بن سحيم الفقعسي الأسدي :

---

(١) بحوث ومقالات اللغة ٢٢٨، نقلا عن قلائد الجمان ٧٢ .

(٢) المسالك والممالك ص٥٤ .

(٣) صبح الأعشى ١ / ٣٤٩ .

(٤) شرح ديوان الحماسة ـــ المرزوقي ورقة رقم ٦٨ .

(٥) مجمع الأمثال ١ / ٦٨ .

فإما كرام موسرون لقيتهم .. فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا [1]

وكانت هذه الظاهرة في طيئ أولا ؛ لأنها هكذا كانت في اللغات السامية، واللهجات اليمنية أقرب إلى السامية من لهجات العربية الشمالية كما سيأتي .

ومن ذلك : قلب الياء المفتوح ما قبلها ألفا في لسان طيئ وتأثر أسد ومن جاورهم بهم، ومن ذلك قول بشر بن أبي خازم الأسدي :.

بدعلبة بَرَاها النَصُ حتى بلغتُ نضارها و فنا لسنامُ [2]

ومن ذلك تأثر بني أسد بأهل الحجاز بعد نزولهم إليها عند مجيء الإسلام وتغلب طيئ على أجأ وسلمى، وقد ظهر ذلك في استعمال بعض الألفاظ حسب ما كان ينطق أهل الحجاز، فالمشهور عن بني أسد أنهم يكسرون الحرف حين يفتحه الحجازيون، لكن هناك بعض الألفاظ شاركت فيها أسد أهل الحجاز في الفتح ومن ذلك : الحج بفتح الحاء وكسرها . والكسر لغة نجد، والفتح لأهل العالية والحجاز وأسد . [3]

ومنه : تسكين أهل الحجاز عين (فُعُل) وقد شهر عنهم الضم، فقد عزى لهم (دبر) بسكون الباء . قال أبو حيان : " قرأ الجمهور : (من قبل، ومن دبر) بضم الباء فيهما وبالتنوين، وقرأ الحسن وأبو عمرو وفي رواية بتسكينها وبالتنوين وهي لغة الحجاز وأسد . [4] ولعل هذا من تاثير بني أسد في أهل الحجاز .

٢ ــ هجرة أو نزوح عناصر كثيرة، وقبائل عدة من شرق الجزيرة ووسطها إلى العراق وانتشارها فى أمصاره بعد الفتح الإسلامي . يقول د / أنيس : " وقد حدثنا تاريخ الهجرات القبلية

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٥ .

(٢) بحوث ومقالات في اللغة ٢٣٩ .

(٣) حجة القراءات ــ لأبي زرعة ١٧٠، والإتحاف ٢٢٧ .

(٤) البحر المحيط ٥ / ٢٩٧ .

رغم غموضه، بأن أشهر القبائل التي أثرت في بيئة الكوفة والبصرة هي قبائل وسط الجزيرة وشرقيها. فعن معظمهم أخذ علماء الكوفة والبصرة وبهم اقتدوا ... فلا غرابة إذن أن نرى الإمالة ـ وأصلها في قبائل وسط الجزيرة وشرقيها وأشهرهم : تميم وأسد وطيئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب ـ شائعة في القراءات القرآنية التي انتظمت البيئة العراقية في القرن الثاني الهجري وأشهر من روى عنهم الإمالة من القراء العشرة هم حمزة (ت ١٥٦هـ) والكسائي (ت ١٨٩هـ) وخلف (ت ٢٢٩هـ) وهم أئمة القراءة بالكوفة، فقد تأثروا بتلك القبائل التي أقامت بالعراق أو تعودت النزوح إليه، وهي قبائل قريبة مساكنها من العراق وعرفت لهجاتها الإمالة، فاستمد القراء نماذجهم من البيئة التي عاشوا فيها .[1]

كذلك تأثرت البيئة العراقية بهذه القبائل في ميلها إلى الإدغام وظهرت في كثير من قراءات الأئمة بالكوفة مثل الكسائي وحمزة وخلف، والبصرة كأبي عمرو بن العلاء .[2]

ب) الحروب وشن الغارات :

تهتم المجتمعات البدوية العربية بالحروب وشن الغارات على القبائل المجاورة إذ يعتبر الغزو قيمة من القيم التي يحرص عليها البدوي، وسجية من سجاياه، ومظهرا لتفاخره واستظهار شجاعته، إلا أن لهذه الحروب أسبابها وتقاليدها وآدابها الخاصة التي لابد من مراعاتها ومن أهم هذه الأسباب تلك الطبيعة القاسية التي كثيراً ما كان ينضب معينها فتهدد البدو بالمجاعات وتدفعهم غريزة حب البقاء إلى نهب غيرهم حتى ولو كانوا جيرانهم، كما كانت تدفعهم إلى سلب القوافل التجارية المارة بدورهم أيا كان نوعها ومهما كان أصحابها لا يصدهم عن ذلك وازع من خلق أو دين .[3]

ومثل هذه الحروب تتيح للقبائل المتحاربة فرصة الاحتكاك والاختلاط أو الانتقال من

---

(١) في اللهجات العربية ٦٠، ٦١ .

(٢) السابق ٧٢ .

(٣) البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ٢٧٣ ـ ٢٨٠ .

مكان إلى مكان آخر . ولعل خير مثل لذلك ما ذكره البكري (ت ٤٨٧هـ) عن تنقل قبائل ربيعة بسبب الفتن التي قامت بين قبائلها، وأشهر القبائل التي فارقتها عبد القيس وشن بن أفصى ومن معهم فاختاروا البحرين وهجر واقتسموها بين قبائلهم .

ودخلت قبائل أخرى من ربيعة ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة وما والها وانتشروا فيها .... و تيامنت قبائل أخرى من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفت أهله، واستقرت بها وبقوا على أنسابهم، وكان منهم أكلب بن ربيعة بن نزار، وقبيلة عز وتنسب إلى عبد الله بن وائل بن قاسط من بني أسد بن ربيعة .

ولم تزل الحروب والوقائع تنقلهم من بدل إلى بلد، وتنفيهم من أرض إلى أرض[١] . مما جعلهم يتأثرون بلهجات النازلين فيهم ويؤثرون فيهم أيضا .

ومن ذلك ظاهرة (الكشكشة) وهي عبارة عن قلب كاف المخاطبة شينا في حالة الوقف.[٢] أو إلحاق الشين بالكاف [٣]، وقد عزيت إلى ربيعة [٤]، ونسبها الزمخشري إلى تميم وربيعة[٥]، ونسبها ابن دريد إلى بكر بن وائل [٦]، وعزاها القلقشندي إلى حمير . [٧]

والصلة بين تميم وربيعة خاصة بكر بن وائل واضحة بسبب الحروب التي استمرت بينهما ومن أشهرها : وقعة (ذات الحناظل) وهو موضع في ديار بني أسد . وكانت وقعة لبني تميم على بكر بن وائل [٨] . فضلا عن الجوار الذي كان بينهما .

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٤٤، ٤٥، نقلا عن معجم ما استعجم ٨٠ وما بعدها .

(٢) تهذيب اللغة ١ / ٣١٦ .

(٣) المزهر ١ / ١٧٥ .

(٤) العين ١ / ١٠٤، التهذيب ١٦ / ٣١٦، واللسان (ل س س) والاشتقاق ٢٥٧ .

(٥) المفصل ١ / ٤٦٣ .

(٦) الجمهرة ١ / ٢٠٧، (ش ش ك) .

(٧) صبح الأعشى ١ /١٩٦ .

(٨) معجم ما استعجم ١ / ٤٧٠ .

وربما انتقلت من ربيعة إلى حمير بعد انتقال بعض قبائلها إلى بلاد اليمن مثل : عنز و أكلب بسبب الحروب .

ومن ذلك أنه قد وجدت مظاهر لغوية مشتركة بين بني تميم وبني عامر بن صعصعة من هوازن وكانت بينهما حروب ومنها : (يوم رحرحان) وفيه قال النابغة الجعدي :

هلا سألت بيومي رحرحان وقد ∴ ظنت هوازن أن العز قد زالا [1]

ومن ذلك (السؤبان) بضم أوله وإسكان ثانيه بعده باء معجمة بواحدة وهو واد في ديار بني تميم، ويوم من أيام حروب بني عامر وبني تميم يسمى يوم السؤبان، وفي ذلك اليوم سمى عامر بن مالك ملاعب الأسنة و فيه فر طفيل . [2]

ومن هذه المظاهر المشتركة بينهما : إبدال أحد المضعفين ياءا إذ يقولون في أما : أيما يقول القرطبي : " لغة بني تميم وبني عامر في أما : أيما . يبدلون من إحدى الميمين ياءا كراهية التضعيف وعلى هذا ينشد بيت عمر بن أبي ربيعة :

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت ∴ فيضحى وأيما بالعشي فيخصر [3]

ومن ذلك ــ أيضا ــ اتفاقهما في إعراب الملحق بجمع المذكر السالم وهو (سنين وبابه) فأهل الحجاز وعليا قيس يعربونه إعراب الجمع، وأما بعض بني تميم وبني عامر فيجعل الإعراب في النون ويلزم الياء قال :

أرى مر السنين أخذن مني [4]

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ٤٣٢ .

(٢) معجم ما استعجم ٣ / ٧٠٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٢٤٤ .

(٤) همع الهوامع ١ / ١٧٣ .

ومن هنا ندرك أن التأثير والتأثر بين البيئات العربية ينتج عن عدة عوامل أهمها : الجوار في الموقع الجغرافي، والاشتراك في الخصائص الفسيولوجية، والاختلاط بين العرب في تزاورهم وترحالهم، والعلاقات التجارية، والهجرات، وشن الحروب والغارات .

مظاهر التأثير والتأثر :

يتحقق التأثير والتأثر اللغوي بين البيئات العربية في ثلاثة مظاهر كالتالي :

١ ــ تنوع نسبة الظاهرة إلى بيئات عدة لعامل من العوامل السابقة وفيما سبق من نماذج يكفي لبيان ذلك .

٢ ــ الجمع بين اللغتين في لسان العربي الفصيح .

قد يجمع العربي الفصيح في كلامه بين لهجتين أو أكثر، وهذا إن دل فإنما يدل على تأثر كل منهما بالأخرى، سواء تغلبت إحداهما أم كتب لكلتيهما البقاء، وهذا كثير في كلام العرب الفصحاء وقد وردت له آثار كثيرة في الشعر العربي وفي القراءات القرآنية حين تروى عن القارئ الواحد روايتان إحداهما تمثل لهجة بيئته والأخرى تمثل لهجة بيئة أخرى ممن أخذ عنهم القراءة.

يقول ابن جني : " ما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به " [١] ودلل على ذلك بنماذج عدة منها قول الشاعر :

ألما يئن لي أن تجلى عمايتي .. وأقصر عن ليلى بلى قد أنى ليا

فجمع بين اللغتين وهما :(آن) في يئن، و (أنى) في : قد أنى ليا، والأصل هو أنى، أما آن فمقلوب عنه ؛ لوجود مصدر (لأنى) وعدم وجود مصدر (لآن) فهو بذلك أعم تصرفا منه. [٢] ومن ذلك

---

(١) الخصائص ١ / ٣٧٣ .

(٢) سر الصناعة ١ / ١٩٠ بتصرف .

قول لبيد :

سقى قومي بني مجد وأسقى ∴ نميرا والقبائل من هلال

فجمع بين " سقى، وأسقى " وهما لهجتان، ولهجة قومه أسقى ... " .[1]

ومنه قوله :

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ∴ ومطواى مشتاقان لَهْ أرقان[2]

فهاتان لغتان : أعني إثبات الواو في (أخيلهو)، وتسكين الهاء في (له) .[3]

ومن ذلك في القراءات القرآنية : جمع الإمام حمزة بين لهجتي الفتح والكسر في لفظ (السلم) فقرأ ﴿ وَتَدْعُوا إِلَى السلمِ ﴾[4] بالكسر، وقرأ : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ﴾[5] بالفتح وهما بمعنى الصلح، والكسر لأهل نجد عامة، والفتح لغيرهم من البيئات المتحضرة كالحجاز وهذيل .[6]

ولا عجب في ذلك خاصة إذا علمنا أنه من قراء الكوفة، وأن قراءته تنتهي إلى عبد الله بن مسعود الهذلي، فربما كانت قراءة الفتح هذه أثرا من قراءة ابن مسعود علقت به في الكوفة إذ تؤثر بيئته الفتح على الكسر، على حين تؤثر الكوفة لقربها من البيئات البدوية في شرق الجزيرة الكسر على الفتح . يقول الثوري : " ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر "[7]

ومن ذلك : جمع الإمام عاصم في قراءاته بين الإمالة والفتح لاختلاف راوييه يقول أحد

---

(١) الديوان ٥٣ .

(٢) البيت ل يعلى بن الأحول، التاج (م ط و) .

(٣) الخصائص ١ / ٣٧١،

(٤) سورة محمد آية (٣٥) .

(٥) سورة الأنفال الآية (٦١) ومعاني القراءات ١ / ١٩٧، ١٩٨. .

(٦) إصلاح المنطق ١ / ٣٥، والبحر المحيط ٣ / ١٢، وروح المعاني ٤ / ٧ .

(٧) وفيات الأعيان ٥ / ٣٦٨ .

الباحثين : " أقرأ عاصم راوييه بقراءتين . الأولى : أقرأها لحفص عن السلمي عن عثمان عن علي . والثانية : أقرأها لشعبة عن زر بن حبيـــش عن ابن مسعود وعثمـــان، إذن فقـــد كانـــت هنـــاك مدرستان لعاصم : إحدهما ممثلة في السلمى يؤثر عنها الفتح، والأخرى : ممثلة في زر بن حبيش يؤثر عنها الإمالة . [1]

فالذي يجمع بين اللغتين أو اللهجتين، لغته في الأصل إحداهما، ثم إنه استفاد الأخـــرى مـــن قبيلة أخرى، وطال بها عهده، وكثر استعماله لها، فلحقت ـــ لطول المدة واتصال استعمالها ـــ بلغته الأولى . فإن كانت إحدى اللغتين أو اللهجتين أقل في الاستعمال عنده من الأخرى فهـــي المفـــادة والكثيرة الاستعمال هي الأصلية . [2]

يقول ابن جني : " وهذا يدلك على أنهم قد يستعملون من الكلام ما غيره آثر في نفوســـهم منه، سعة في التفسح، وإرخاء للتنفس، وشحا على ما جشموه فتواضعوه أن يتكـــارهوه فيلغـــوه ويطرحوه . فاعرف ذلك مذهبا لهم، ولا تطعن عليهم متى ورد عنهم شيء من ذلك ". [3]

٣ ـــ استعمال اللهجة الوافدة في لسان من ليس من أهلها .

ولذلك نماذج عدة منها :

أ) ـــ أن الرسول ـــ ﷺ ـــ كان يترك لهجة قومه ـــ أحياناً ـــ ويـــتكلم بلهجـــــة أخـــرى نموذجية يفهمها العرب جميعا، وقد يحدث مجالسيه بلغاتهم " [4]، ومن ذلك قراءته ـــ ﷺ ـــ :

(يا يحي) فقيل له : يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش فقال هي لغـــة الأخـــوال من بني سعد

---

(١) إعجاز القراءات القرآنية ـــ صبري الأشوح ص١٤٨، ١٤٩ .

(٢) الخصائص ١ / ٣٧٣ بتصرف .

(٣) الخصائص ٣ / ٣٢٢ .

(٤) اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم ص٦٥ .

" [1] . ومنهاالحديث : " ليس من امبر امصيام فى امسفر " وقد سبق . والحديث : " اليد المنطية خير من اليد السفلى " [2] . والحديث : " لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت " [3] .والحديث : " ... وقد قيل له ـــ ﷺ ـــ كأنك قد وهمت، قال : وكيف لا إيهـــم " [4] .والحـــديث : " لا وتران فى ليلة " [5] . ومنها قوله ـــ ﷺ ـــ في وفد تميم إليه : " أرأيت المريض إذا حان فوظه " بالواو أي موته.[6] فأهل الحجاز يقولون : فيظه بالياء، وبنو تميم فوظه بالواو . [7]

ب) ـــ استعمال الشاعر في شعره لغة غير لغة قومه . فالظاهرة اللغوية تنسب إلى قبيلة بعينها، ولكنها تظهر في شعر شاعر غيرها، ومن ذلك ظهور قطعة طيئ في شعر عبيد بن الأبرص وهو مـــن قبيلة أسد إذ يقول :

ليس حى على المنون بخـــال

يريد : بخالد، وكذلك في شعر لبيد وينتمي إلى بني عامر في قوله :

درس المنـــا بـــمتالـــع فأبـــان

يريد : المنازل . وأسد وبنو عامر قبيلتان تعيشان على مقربة من ديار طيئ . [8]

ومـــن ذلـــك : تحقيـــق الهمـــز في شـــعر بعـــض القرشـــيين مثـــل الـــزبير بـــن عبـــد

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٤٤ .

(٢) المعجم الكبير – الطبراني ١٦٦/١٧، ١٦٩

(٣) النهاية ٧٥/٥، و كنز العمال ٢١٢/٦

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٣٣/٥

(٥) سنن الترمذي ٣٣/٢ حديث رقم ٤٧٠، و صحيح ابن حبان ٢٠١/٦

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٤٨٥ .

(٧) اللهجات العربية نشأة وتطورا ص٢٤٣ .

(٨) السابق ٣٧٤، ٣٧٦ بتصرف .

المطلب في قوله:

إذا قمنا إلى التأسيس شدت ∴ تهيبنا البناء وقد تهابا[1]

فالشاعر نطق بالهمز في (التأسيس) ولم يبدلها ألفا للتخفيف . وكذا قول حسان بن ثابت وهو من الخزرج ومن شعراء الرسول ـ ﷺ ـ :

أسألت رسم الدار أم لم تسأل ∴ بين الجوابي فالبُضَيْع فحومل[2]

فلم يحذف الهمزة في (تسأل) .

ومن ذلك : ظهور اللفظ (أفلط) بالطاء وهو لغة تميمية بدلا من (أفلت) بالتاء في شعر ساعدة بن جؤية الهذلي إذ يقول :

بأصدق بأس من خليل ثمينة ∴ وأمضى إذا أفلط القائم اليد

أراد : أفلت القائم اليد . [3] كذا قال المتنخل الهذلي :

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٩ / ٧٠٩ .

(٢) السابق ٩ / ٧٣٤ .

(٣) اللسان (ف ل ط) والتاج (ف ل ط) .

أفلطها الليل بعير فَشْس ∴ عي ثوبها مجتنب المعدل

ومن ذلك : ظهور لهجة أهل الحجاز في إعمالها (ما) النافية عمل (ليس) في شعر الفرزدق وهو تميمي، وتميم تهملها فيأتي ما بعدها مرفوعا، يقول :

فما المرء منفوعا بتجريب واعظ [1]

وكان عليه أن يقول : فما المرء منفوع .

ومن ذلك : أن العرب تختلف في العيافة . فمنهم من يتمين بالسانح، ويتشاءم بالبارح وهم أهل نجد، ومنهم من يتيمن بالبارح ويتشاءم بالسانح وهم أهل الحجاز، لكن وجدنا في شعر عمر ابن قميئة وهو نجدي ما يدل على اتباعه لهجة أهل الحجاز فتشاءم بالسانح، وكان عليه وهو نجدي أن يتشاءم بالبارح إذ قال :

فبيني على طير سنيح نحوسه ∴ وأشأم طير الزاجرين سنيحها

فاستعمل النجدي لغة الحجازي . [2]

ومن ذلك : قول هند بنت عتبة فى رثاء أبيها :

---

(١) التاج (ف ل ط) .

(٢) اللسان (س ن ج) والتاج (س ن ح) والسانح المبارك، والبارح : الشؤم .

يدفع يوم المغلبت

يطعم يوم المسغبت [1]

فوقفت على الاسم المفرد المؤنث بالتاء ولم تبدلها هاءا كما هو الحال فى لغة قريش و إنما استعملت لهجة طي وحمير .

وربما كان بعضهم ينشد شعر بعض ومن ثم كثرت الروايات فى البيت الواحد .

وفي ظهور لهجة طيئ وهي قلبها الياء ألفا بعد فتح ما قبلها في لسان كثير من شعراء القبائل ما يؤيد هذه الظاهرة . [2]

وعلي هذا فالشاعر يستخدم العربية المشتركة أوالفصحى في شعره، ولكنه قد يمثل لهجة قومه أحيانا، ويجمع بين اللهجتين أحيانا، ويستخدم غير لهجته تارة ثالثة، مما يدل على أن الشعر يمثل اللهجات العربية في كثير من الأحيان ومصدر من مصادرها .

(١) اللسان (غ ل ب) .

(٢) بحوث ومقالات فى اللغة٢٣٧ وما بعدها

المبحث الثالث

مفارقة البيئة لمعتاد حالها

ذكرنا في المبحث الأول من هذا الفصل أن لكل من المجتمعين العربيين وهما : البدو والحضر عاداته النطقية التي تميزه عن غيره، وتنبع من قيمه وأخلاقه ومعتقداته، وما يقوم به من عمل يتسم مع طبيعة بيئته التي يعيش فيها، وأن ذلك كله قد ألقى بظلاله على اللغة المستعملة في المجتمعين، فظهرت في أدائهما، وفي لسان شعرائهما، إذ وجدنا البدوي يختار من الحروف والحركات أثقلها وأصعبها على اللسان فيحقق الهمز، ويستعمل الصوت المطبق أو المفخم، في حين يختار الحضري تخفيف الهمز، ويستعمل الصوت المرقق، كذلك يجنح البدوي إلى النطق بأصعب الحركات وأثقلها وهي الضم في مقابل الكسر أو الضم في مقابل الفتح، أو الكسر في مقابل الفتح، ويميل إلى طول البنية في الوقت الذي يجنح فيه الحضري إلى قصر البنية واختيار البنية المجردة . كما يميل البدوي إلى السرعة في نطق الكلمات فيجنح إلى نطق الأصوات الشديدة بدلا من الرخوة، ويدغم بعض الحروف في بعض، أو يخالف بين المتماثلين، أو يحذف بعض الأصوات (الحروف والحركات) من الكلمات، ويقصر الممدود، في حين يتأنى العربي الحضري في نطقه فيعطي كل صوت حقه ومستحقه في الأداء فينطق بنهج مخالف لما سبق، إلى غير ذلك مما سبق ذكره في طرائق النطق المختلفة باختلاف البيئات العربية .

لكن بالبحث في بطون الكتب وجدنا أن كلا البيئتين قد تخالف عاداتها اللغوية فتنطق عكس أو بخلاف ما كان يتوقع منها، وما ذلك إلا لأن الظواهر اللغوية لا تعرف الإطراد، فهي ليست كالقوانين الطبيعية في الكون تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها، بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها .[1]

يقول د / الجندي : " ليس القول بأن هذه القبيلة تؤثر الضم مثلا، وأن أخرى تؤثر الكسر

(١) في اللهجات العربية ٧٧ .

بالأمر السهل، بل لابد لذلك من قوانين صوتية غالبية تسير عليها كثيرا، وتشذ عنها قليلا" . (١)

فخروج كل من البدوي والحضري عن معتاد حالهما في استعمال اللغة يعد قليلا أو نادرا لذا يقول د / أنيس : " قد حدث في النادر من الأحيان أن نسى البدوي نفسه وانطلق على سجيته فنطق بالكسر حيث كنا نتوقع منه الضم . هذا هو ما يمكن أن يفسر لنا تلك الروايات النادرة على افتراض صحتها، التي جاء فيها الكسر منسوبا لقبيلة بدوية " (٢) . وهكذا الأمر في الظواهر اللغوية الأخرى .

فاللهجات لا تلتزم دائما حالة واحدة في كل صفاتها، بل أحيانا تخرج عن تلك الظاهرة التي اختصت بها لظروف لغوية خاصة وحينئذ يكون واجب الباحث المدقق انكشف عن تلك الظروف الخاصة . (٣)

وقد اكتفى أكثر العلماء بتعليل خروج كل من البيئتين عن معتاد حالهما بقولهم : إنه من انتقال اللهجات، أي انتقال لهجة إلى لهجة أخرى (٤)، فتنتقل لهجة أهل الحجاز إلى تميم والعكس، فالعربي الفصيح عندهم قد ينتقل لسانه إلى لغة غيره فيعتد بها .

لكن الأمر لا يقتصر على ذلك، إذ بتدبر كثير من الظواهر اللغوية التي خالفت فيها البيئتان معتاد حالهما وجدت أن لذلك أسبابا كثيرة أهمها ما يلي :

أولا - التأثير والتأثر بين البيئات العربية :

فالقبائل العربية يتأثر بعضها ببعض بفعل عامل من العوامل السابقة مما يؤدي إلى انتقال لهجة إلى لهجة أخرى، وفيما سبق ما يكفي لبيان ذلك .

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٢٥٦ .

(٢) في اللهجات العربية ٩٦ .

(٣) السابق : ٧٧ .

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٢ .

ثانياً ــ تعميم النسبة أو الأحكام عند القدماء :

كثيرا ما نسب علماء العربية القدامي الظاهرة اللغوية إلى القبيلة الأم أو الأساسية وهي في الحقيقة لفرع من فروعها، أو بطن من بطونها .

ومن ذلك أننا نجد كتب اللغة أجمعها تنسب إعمال (ما) عمل ليس إلى أهل الحجاز عامة، وعدم إعمالها إلى تميم [1] . لكن وجدنا في قراءة عبد الله بن مسعود ما يدل على أن هذيلا وهي من بلاد الحجاز ترفع خبر (ما) على لغة التميميين فقد قرأ ــ رضي الله عنه ــ : ﴿ ما هذا بشر ﴾ [2] برفع (بشر) وعدم إعمال (ما) عمل ليس . مما جعل أحد الباحثين يذهب إلى أن المراد بأهل الحجاز هنا قريش قال : " المراد بأهل الحجاز هاهنا ــ فيما يبدو ــ قريش، وقد يوافقها قليل من جيرانها، إذ نسب إلى هذيل ــ وهم من أهل الحجاز ــ أنهم يرفعون خبرها وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (رضي الله عنه) ــ (ما هذا بشر)، ويدل على قلة معمليها ما ذكره الأصمعي من أنه لم يسمع إعمالها في شيء من أشعار العرب، وسبب ذلك ــ فيما يبدو ــ أن معمليها هم القرشيون ولم يكونوا شعراء، ولو كانت القبائل الأخرى التي لها شعر تعملها لظهر في كلامهم". [3]

ويقول باحث آخر عن هذه القراءة : " إذا كانت هذه قراءة ابن مسعود فما صلته بالتميميين ؟ ولماذا يقرأ بلغتهم وهو حجازي هذلي ؟ إنه ــ في أغلب الظن ــ لا يفعل هذا إلا لأن هذه لغة قومه، ولكن اللغويين وقد سيطرت عليهم غالبا فكرة المقابلة بين الحجازية والتميمية ألهاهم تعميم الأحكام بهذه الصورة عن الدقة في تتبع لهجات القبائل حتى يخلصوا من هذا التعميم إلى حكم سليم، وكيف يذكرون أن هذه قراءة ابن مسعود ثم لا ينبههم هذا إلى أن هذه ربما كانت لهجة

---

(١) الكتاب ١ / ٥٧، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٨/٣، والخصائص ١٢٦/١، ٢٤٤/١، وشرح ابن عقيل ٣٠٢/١، وشرح الأشموني ٢٤٧/١، همع الهوامع ١ / ١٢٣ .

(٢) سورة يوسف آية (٣١) .

(٣) لغة قريش ١٧٣ .

قومه، ويكتفون بالقول بأن ابن مسعود قرأ بلغة تميم " .[1]

ومن ذلك ـــ أيضا ـــ أننا نجد سيبويه قد عزى نصب المصدر المقترن بأل في ابتداء الكلام إلى عامة تميم قال : " من العرب من ينصب المصادر بالألف واللام ومن ذلك : الحمد لله، فينصبها عامة بني تميم وكثير من العرب، وسمعنا العرب الموثوق بهم يقولون : الترابَ لك، والعجبَ لك " .[2] وعلى هذه اللهجة قرأ رؤبة بن العجاج وابن عيينة، وهارون بن موسى العتكـي (الحمـد لله) بنصب أوفتح الدال .[3]

والصحيح أنها ليست في عامة بني تميم وإنما في بعض بطونها فقط مثل بني سعد بـن زيـد مناة، بدليل أنه قد عزى إلى تميم أنهم يقولون : الحمد لله بكسر الدال إتباعا لكسر اللام بعدها.[4]

ومن ذلك : أن بعض العلماء ذكر أن أهل الحجاز يحققون الهمزة الأولى ويخففون الثانيـة عند اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة وأولاهما همزة استفهام[5]، وذكر سيبويه أن أهـل الحجـاز أيضا يحققون الأولى ويخففون الثانية ويزيدون ألفا بينهما فيقولون : آإنك، وآأنت[6] . وهذا يعني أن للحجازيين نطقين مختلفين . والصواب أن النطقين مختلفين باختلاف فروع الحجاز وبطونها، لذا كان قول أبي جعفر النحاس في تحقيق الأولى وتخفيف الثانية دون ألف بينهما : إنها لغة قريش وسعد بن بكر وكنانة[7]، وهي بيئات حضرية وقد عرف عنها المبالغة في التخفيف أولى من نـسبتها إلى أهل الحجاز عامة .

---

(١) لغة هذيل ٣٤٢، ٣٤٣ .

(٢) الكتاب ١ / ٣٢٩، ٣٣٠ .

(٣) إعراب القرآن ١٦٩/١، إعراب ثلاثين سورة من القرآن ٢٢، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٨١/١ .

(٤) لغة تميم ٥١٥ .

(٥) الدر المصون ١ / ١١٠، والمجيد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٦٨ .

(٦) الكتاب ١ / ٥٥١، والحجة لأبي علي ١ / ٢١٥ .

(٧) إعراب القرآن ١ /١٨٤ .

أما تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وزيادة ألف بينهما فلعله لبعض فروعها أيضا ممن هم أقرب إلى البادية كهوازن وغطفان [1] فممن نزل بالحجاز غطفان، ولعل نزولهم الحجاز كان بعد الإسلام ومثلهم فزارة وعدوان " . [2]

ومن تعميم الأحكام أيضا : إن الإمام الطبري (رحمه الله) قد ذكر أن (فعَل) بفتح العين (يفعُل) بضمها في محا يمحو لغة مضر، يقولون : محوت الكتاب أمحوه محوا، أما بعض ربيعة فيقولون : محيت أمحي بزنة (فعَل يفعَل) بفتح العين فيهما [3] وذلك عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [4] . وما ذهب إليه من عزوه (يمحو) إلى مضر لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ؛ لأن مضرا قبيلة كثيرة البطون والفروع منها الحجازي الحضري والبدوي، ومنها النجدي البدوي، لذلك كان عليه أن يقول لبعض مضر . [5]

ومن ذلك : اختلاف مناهج العرب في الاسم الذى يجوز حكايته إذا كان معرفة . فأهل الحجاز ــ في كثير من مصادر اللغة ــ يحكون الاسم على لفظه أى يجرون الاسم على إعراب الاسم المتقدم فيقولون في جواب جاءنى زيد : من زيدُ . وفي جواب رأيت زيداً : من زيداً . وفي جواب مررت بزيد : من زيد . أما بنو تميم فيرفعون الاسم على كل حال [6] .

والحق أن الحكاية ليست لغة أهل الحجاز كلهم، بل هى لغة بعضهم فحسب كما ذكر السيوطي . [7] وربما كان ذلك من قبيل انتقال اللهجات إذ يقول في الهمع : " قد يترك الحجازيون حكاية العلم مع وجود شرطه ويرفعون على كل حال كلغة غيرهم فإن بنى تميم لا يجيزون الحكاية أصلاً " . [8]

---

(١) انظر الظواهر اللغوية في معاني القراءات ٢٣٧ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ص٤٧ .

(٣) جامع البيان ١٣ / ١٧٢ .

(٤) سورة الرعد آية (٣٩) .

(٥) لهجة ربيعة ١٩٤ .

(٦) الكتاب ٤١٣/٢، وشرح المفصل ٢٠/٤، وشرح الأشموني ٩١/٤ .

(٧) ارتشاف الضرب ٣٢٣/١

(٨) الهمع ٣/ ٢٦٧

فتعميم أحكام القدماء في نسبة الظاهرة اللهجية هو أحد الأسباب الرئيسة في عدم اطراد كثير من الظواهر اللغوية، وخروج بعض البيئات العربية عن طبائعها وعاداتها اللغوية. إذ تنسب الظاهرة إلى القبيلة الأم ولها هيكل عام في طباعها وخصائصها وسماتها، والحقيقة أنها في فرع من فروعها أو بطن من بطونها له سمة معينة مخالفة لسائر فروع أو بطون القبيلة متبديا أو متحضرا أو مجاورا لآخر ومتأثراً به .

ومما يدل على مخالفة بعض الفروع أو البطون للقبيلة الرئيسة ما يلي :

١- أن قريشا وجميع العرب يقولون (حتى)، وهذيل وثقيف يقولون : (عتى) [١] وعليها قراءة عبد الله بن مسعود (عتى حين) [٢] فيما يسمى بفحفحة هذيل . وقريش وهذيل وثقيف من بطون الحجاز .

٢- البناء على الفتح في (حيث) وهو من لغة بني يربوع وطُهَيَة من تميم قال الكسائي "سمعت في بني تميم من يربوع وطهية من ينصب الثاء على كل حال في الخفض والرفع فيقول : من حيثَ التقينا، ومن حيثَ لا يعلمون، ولا يصيبه الرفع في لغتهم" . [٣]

٣- ينقل التميميون ضمة هاء الضمير إلى الساكن الصحيح قبلها فيقولون في أضربْهُ : أضربُهْ، وفي عَنْهُ : عَنُهْ . إلا أن ناسا من تميم قد خالفوا هذه القاعدة عند الوقف على الضمير المفرد الغائب المتصل بكلمة سابقة فحركوا الحرف السابق للأخير بالكسر فقالوا ضَرَبَتهْ، وهم بنو عدي كما ذكر سيبويه . [٤]

٤- ما ذكره أبو زيد من أن : لمق الشيء : بمعنى كتبه في لغة عقيل، وسائر قيس يقولون لمقه : بمعنى محاه [٥] . وعقيل من قيس وبطن من بطونها. [١]

---

(١) إعراب القرآن ٢ / ٢٥٣، والفائق في غريب الحديث ٢ / ٣٩١ .

(٢) سورة يوسف من الآية (٣٥)، والكشاف ٢ / ٤٤١، وروح المعاني ١٢ / ٢٣٧ .

(٣) إعراب القرآن ١ / ١١٣، والجمع لأحكام القرآن ١ / ٣٦٠، والمصباح المنير (حيث) .

(٤) الكتاب ٤ / ١٨٠ .

(٥) المحكم ق ل م ٦ / ٤٤٢، واللسان ل م ق .

٥- ما ذكره ابن السكيت عن أعرابيين فصيحين من بني كلاب وقد سألهما عن (أنفحة الجدى) فقال أحدهما : لا أقول إلا أنفحة، وقال الآخر : لا أقول إلا منفحة، ثم افترقا على أن يسألا عنها أشياخ بني كلاب فاتفقت جماعة على قول ذا، وجماعة على قول ذا " وهم لغتان " . (٢)

٦- ومن ذلك ما روى عن طيئ أنهم كانوا يقفون على المقصور بقلب ألفه واوا تارة، وهمزة تارة تانية، وياءا تارة ثالثة فيقولون : هذه أفعو وأفعأ وأفعي . والأرجح أن بطنا من طيئ كان ينطق بالهمزة، وآخر بالواو، وثالثا بالياء . (٣)

لذا كان فندريس مصيبا في قوله : " من حقنا أن نتكلم عن وجود لهجات كلما رأينا عددا كبيرا من الخطوط التي تفصل بين الخصائص، ينطبق بعضها على بعض ولو بشكل تقريبي . فهناك لهجة محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة . وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فإنه يبقى أن كلا منهما تتميز في مجموعها ببعض السمات العامة التي لا توجد في الأخرى " . (٤) أ.هـ

ومن ـ هنا ـ ندرك أن اللغة أو اللهجة في انتقالها من الأم إلى العمائر والبطون والأحياء تصيبها بعض التغيرات الصوتية والبنائية والتركيبية والدلالية أو المعجمية في نظامها اللهجي. وهذا يؤدي بنا إلى ضرورة دراسة اللهجات العربية بناء على أصغر وحدة قبلية .

ثالثا : عدم التجانس أو الترابط في تركيب بعض المجتمعات :

تتركب بعض المجتمعات في كثير من الأحيان من أعداد كبيرة من الناس يختلفون فيما بينهم من حيث طبيعة البيئة التي يعيش فيها كل منهم وتشمل الموقع والتضاريس والتربة والمناخ، كما أن لكل طائفة منهم قيما اجتماعية مختلفة، وعادات وتقاليد تشمل مظاهر الحياة، ويترتب على هذا في

---

(١) معجم قبائل العربي القديمة والحديثة ٢ / ٨٠١ .

(٢) إصلاح المنطق ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) اللهجات العربية في التراث ٤٩٧ .

(٤) اللغة ٣١٢ .

كثير من الأحيان أن يحدث تغيير ما في لغة هذه المجتمعات .

ففي بعض البيئات العربية نجد انقسام البيئة أو القبيلة الواحدة إلى بطون عدة مختلفة بعضها يغلب عليه طابع البداوة أو مجاور لهم، والآخر يغلب عليه طابع التحضر أو مجاور للحضر، مما يعني عدم الترابط أو التجانس في تركيب هذا المجتمع القبلي، لما يتميز به كل منهما من سمات معينة، وقيم محددة، وعادات وتقاليد مرعية تختلف في البدو عنها في الحضر .

فالهذليون عامة يوصفون بأنهم أهل حضر، والحق أنهم وهم يعيشون في بادية الحجاز يجمعون بين بعض خصائص البدو في وسط الجزيرة، وبعض خصائص الحضر من الحجازيين.[1] لذا نجد فروقا لغوية كثيرة بين لهجة هذيل ولهجة أهل الحجاز كما نجد ظواهر لغوية كثيرة في لهجة هذيل وهي أقرب للحجاز أشبه بنطق البدو مما يعني جمعها في نطقها بين المتناقضين في الظاهر ومن ذلك : أنها تميل إلى الإظهار وعدم إدغام الحروف بعضها في بعض إتباعا لأصلهم الحجازي، لكن الإدغام ـ أيضا ـ قد ورد في أشعارهم، وفي قراءة ابن مسعود الممثلة للبيئة الهذلية كما في قراءته : ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يساءلون ﴾ [2] بإدغام التاء من يتساءلون في السين، وكما في قراءته : ﴿ إن البقر يشابه علينا﴾ [3] بإدغام التاء من تشابه في الشين .

وكما في ميلها إلى الإتباع في بعض الكلمات مثل " حليهم " بكسر الحاء، و"بكيا" و"عتيا" بكسر الباء والعين فيهما، وقراءة : ﴿ فلإمه السدس﴾ [4] بكسر الهمزة والميم . والإتباع الحركي من خصائص تميم وهوازن والبيئات البدوية ؛ لأن ظروفها دفعت إلى وجود شيء من التناسق الصوتي في بعض ألفاظها، فليس غريبا إذن ما ذكره اللغويون حين نسبوا ذلك إلى هوازن وهذيل، فهذيل وإن كانت حجازية متأثرة بأهل المدر من الحجازيين ولاسيما قريش،

---

(١) لغة هذيل ١٤٤ .

(٢) سورة المؤمنون من الآية ١٩١، والبحر المحيط ٦ / ٣٨٨ .

(٣) سورة البقرة، من الآية (٧٠)، المحرر الوجيز ١ / ١٦٣ .

(٤) سورة النساء من الآية (١١)، وهي قراءة حمزة والكسائي ،المحرر الوجيز ٢ / ١٦٠ .

فإنها مع هذا قبيلة بدوية تجاور هوازن وغيرها من البدو بين مكة والطائف ... فمن المعقول أن تتأثر هي أو تتأثر بطونها القريبة من هؤلاء بهذا التناسق الصوتي في بعض ألفاظها . (١)

ومن ذلك ــ أيضا ــ حذفها الياء والاكتفاء بالكسرة قبلها (٢)، وفتح عين الجمع وهي ساكنة في لهجة أهل الحجاز يقولون : بيضات و عورات (٣)، وقلب ألف المقصور ياءا وإدغامها في ياء المتكلم يقولون : عصى، في حين يقول الحجازيون : عصاى (٤) . كذا يقولون : أسحت رباعيا . وأصل لهجتهم : سحت ثلاثيا (٥) . ويخلص بعضهم ضم فاء الكلمة عند بناء أجوف الثلاثي للمجهول فيقولون : قُول و بُوع، في حين يكسرها أهل الحجاز كقريش ومن جاورهم من بني كنانة (٦) . كما يبدلون أحد المثلين ياءا كراهية التضعيف فيقولون : أمليت وأحسيت كتميم وقيس(٧)، وهذا إن دل فإنما يدل على أن لهجة هذيل لها مكانة متميزة بين اللهجات العربية، وربما نشأ هذا الاختلاف مع لهجة الحجاز من مجتمعها القلق، إذ إن بعضه كان حضريا يشتغل بالتجارة، والآخر كان بدويا يحتمي فيه الصعاليك والقراصنة، والذين يعيشون على قنن الجبال للقنص واشتيار العسل، والشذوذ الاجتماعي يخلق شذوذا لغويا ؛ لأن اللغة ما هي إلا مظهر من مظاهر المجتمع (٨) . فهي قبيلة منتشرة في أماكن واسعة، جزء منها في الحجاز، وجزء على مشارف نجد وآخر في تهامة (٩) وقد وصف هذا الإقليم بأنه شاذ جغرافيا لجمعه بين المتناقضات . فمن جبال فارعة الطول إلى وديان منبسطة فسيحة، ومن منابع ضحلة ينبت فيها الكلأ وتكثر

---

(١) لغة هذيل ٤٨، ٤٩ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٦٨٤، ولغة هذيل ٦٥ .

(٣) البحر المحيط ٦ / ٤١٤، و حجة القراءات ١ / ٥٠٦، و روح المعاني ١٤٦/١٨، وفتح القدير ٢٤/٤ .

(٤) إعراب القرآن ٢١٦/١، والمحكم ٤٥٢/٤ (هـ و ى)، وشرح المفصل ٢٣٩/٣ .

(٥) لغة هذيل ٣٢٤، ٣٢٥ .

(٦) إعراب القرآن ١ / ١٨٨، والبحر المحيط ١ / ١٩١ .

(٧) لغة هذيل ١٣١ .

(٨) اللهجات العربية في التراث ٦٨٩ .

(٩) معجم قبائل العرب ٣ / ١٢١٣ .

المراعي إلى صحراء قاحلة جافة ملتهبة، ولهذا كان مجتمع هذيل شاذا، لشذوذ عالم الجغرافيا فيه فشذت لغتهم لذلك . (١)

ومن ذلك : أننا قد ذكرنا ـــ من قبل ـــ ميل البيئات البدوية إلى النطق بالأصوات الشديدة لأنها أسرع في النطق من الرخوة، وقد عزى ذلك إلى قيس، وطيئ، وعقيل، وتميم. لكننا وجدنا في كتب اللغة ما يخالف هذا الاتجاه العام في البيئات البدوية إذ نسب إلى ربيعة أنهم يبدلون الدال الشديدة ذالاً رخوة فيقولون في عدوفة : عذوفة بالذال . (٢)

والحق أن ربيعة فيها بطون حضرية كإياد والنمر، وبطون بدوية ؛ ولذلك نؤثر أن ننسب النطق بالذال لهذين البطنين . (٣)

ومن ذلك : أنه قد نسب إلى قيس أنهم يقولون : فاضت نفسه بالضاد، وفاظت بالظاء(٤)، وليس معقولا أن تتحدث قبيلة واحدة بنطقين مختلفين، لذا يقول أحد الباحثين المحدثين : " أمام هذه الروايات المضطربة نرجح أن قبائل قيس منها ما كان يجاور الحجاز كغطفان ومنها ما كان يجاور مناطق الشرق كغنى، والذين كانوا يجاوروا الحجاز من الحضر، وما كان منها متصلا بتميم وأسد من البدو . كما عزى النطق بالضاد فيها إلى (قضاعة) والأرجح أنه للقبائل البدوية منها خاصة كجهينة وجرم مثلا، أما الحضرية ك عذرة وهي متصلة بقريش فكانت تنطق بالظاء . (٥)

رابعاً : الخطأ في النسبة أو عدم الدقة في النقل :

يخطئ ـــ أحيانا ـــ بعض العلماء في نسبة الظاهرة اللهجية إلى بيئتها اللغوية، مما يوحي إلى

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٥٤١

(٢) التهذيب ٢ / ١٣٣ (ع د ف)، والتاج (ع د ف) .

(٣) في اللهجات العربية ١٠١ .

(٤) الجمهرة (ظ ف ى)، وشرح النووي ٧ / ٨١، واللسان (ف ى ظ) .

(٥) في اللهجات العربية ١٠٤، واللهجات العربية في التراث ٤٢٩ ،.

أن القبيلة أو البيئة قد فارقت عاداتها اللغوية ؛ ولكن بالبحث والتأمل وجد أن هناك خطأ ما مرجعه عدم الدقة في النقل أو الضبط ومن ذلك ما يلي :

١- ذكرنا ـــ سابقا ـــ أن النطق بالهمزة محققة إنما هو سمة من سمات البيئات البدوية، أما أهل الحضر فإنهم يخففون الهمزة، لكنا وجدنا عكس ذلك في بعض الألفاظ، إذ نسب الكسائي تخفيف الهمز في : (مرجون) إلى تميم وأسد، ونقل عنه أبو جعفر النحاس أنهم يقولون : أرجيت الأمر إذا أخرته [١] . ووافقه في ذلك الإمام الطبري والذي نسب التحقيق فيه إلى بعض قيس. [٢]

وبمراجعة مصادر اللغة ندرك أن العلماء مختلفون في هذه النسبة فمنهم من نسب تخفيف الهمز إلى قريش والأنصار أو أهل الحجاز، ونسب التحقيق إلى تميم وسفلي قيس [٣] . ومنهم من نسب الهمز لتميم، وترك الهمز إلى بني أسد وقيس . [٤]

والراجح عندي هو أن الهمز في هذا العمل (أرجأ) ومشتقاته (ترجئ، مرجئون) إنما هو من لغة نجد عامة وتشمل تميما وأسداً وقيسا، أو بعض قيس كما ذكر الطبري ؛ لأنها قبيلة عظيمة تشتمل على عدة قبائل منها ما هو أقرب إلى الحضر كثقيف وبعض هوازن، ومنها ما هو أقرب إلى البادية كبني عامر بن صعصعة من هوازن، وسليم، وغطفان، وغني . [٥]

أما التخفيف فهو من لهجة قريش أو أهل الحجاز عامة وبها قرأ عامة قراء المدينة وهم نافع وأبوجعفر وطلحة والحسن في : (أرجه وأخاه، ومرجون لأمر الله، وترجي من تشاء)

٢- ذكرنا ـــ أيضا ـــ ميل البيئات البدوية إلى النطق بأثقل الحركات، والحضرية إلى النطق بأسهلها، فيضم البدوي حين يكسر الحضري أو يفتح، ويكسر البدوي حين يفتح

---

(١) إعراب القرآن ٢ / ١٤٣ .

(٢) جامع البيان ٩ / ١٦ .

(٣) الكشف ٥٠٦/١، المحرر الوجيز ٨٠/٣، لغة قريش ٤٦ .

(٤) زاد المسير ٣ / ٢٣٩ .

(٥) بلاد العرب ـــ للأصفهاني ٣٨٦ ـــ ٣٩١، وقلائد الجمان ١١٢ .

الحضري، لكنا وجدنا صاحب الإتحاف ينسب الكسر والضم معا إلى أهل الحجاز في لفظ (العدوة) [1] وقد قرئ بالوجهين في قوله تعالى : ﴿ إذ أنتم بالعدوة الدنيا ﴾ [2].وهو في هذا مخطئ؛ لأنه لا يعقل أن تتكلم بيئة واحدة بالكلمة مضمومة تارة ومكسورة تارة ثانية في زمان واحد، اللهم إلا إذا كانت هذه البيئة تنقسم إلى قسمين أحدهما متأثر بالبدو، والآخر متأثر بأهل الحضر كما سبق .

ومما يدل على خطأ صاحب الإتحاف أن أكثر المصادر نسبت الكسر فيه إلى أهل الحجاز، والضم إلى بني تميم . [3]

٣- ومن ذلك أن البيئات البدوية تجنح إلى النطق بالبنية الطويلة أو المزيدة، فيأتون بالكلمة على (أفعل) أو على وزن (فعل) بتضعيف العين، حين تجنح الحضرية إلى النطق بالبنية مجردة أو قصيرة، فيأتون بها على وزن (فعل) بفتح الفاء والعين . لكن وجدنا أن أهل الحضر قد ينطقون بالصيغة مزيدة ــ أيضا ــ على سبيل انتقال اللهجات كما في : وفى، وأوفى، وأوفى لغة أهل الحجاز . [4] وقد يكون نطق البدوي بالصيغة مجردة من قبيل الخطأ في الضبط كما في لفظ (بشر) بتخفيف الشين وتضعيفها . وقد عزا صاحب الإتحاف (بشر) بالتضعيف إلى أهل الحجاز. [5] كما عزا أحد المحدثين (بشر) بالتخفيف إلى عكل . قال : " إذا رجعنا إلى معاني القرآن ــ للفراء ــ وجدنا المحققين وهما حجة في اللغة لم يضبطا لهذا الفعل رغم حرصهما الشديد على ذلك، مما يدل على عدم تأكدهما من ضبط معين، فتركا الكلمة عارية من التشكيل . ولما رجعت إلى (لسان العرب) وجدته يقول : وبَشَرْتُ لغة رواها الكسائي، وبمقارنة هذه العبارة بعبارة الفراء : " وبشرت لغة سمعتها من عكل ورواها الكسائي

---

(١) الإتحاف ٢٩٨ .

(٢) سورة الأنفال من الآية ٤٢ .

(٣) إبراز المعاني ٤٩١، والدر المصون ٣ / ٤٢٢، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٥٢٦ .

(٤) البحر المحيط ٢ / ٥٢٦ .

(٥) الإتحاف ٤٧٨ .

عن غيرهم، يتبين أن ضبط هذه الكلمة بالتخفيف وليس بالتضعيف " . [1]

فهو قد نسب التضعيف فيه إلى عكل، على حين جعل الفراء التشديد من لهجة عكل، لأن عكلا من تميم الرباب وهم أبناء عم تميم، وقد عزى التشديد فيه إلى تميم وهذا ما أيده بعض المحدثين [2] . فالتضعيف إذن لتميم وعكل، وأفعل في (أبشر) من لهجة أهل الحجاز [3]، أما (بشر) بالتخفيف بزنة (فعل) فلعلها خطأ في الضبط من الناسخ .

٤- ذكرت ـ سابقا ـ أن البيئات البدوية تميل إلى السرعة في نطقها فتقصر الممدود، على حين يميل أهل الحضر إلى التأني في النطق فيبقون على الممدود ويأتون بالصيغة كاملة . لكني وجدت الفراء يقول : " أهل الحجاز يمدون (زكرياء) ويقصرونه وأهل نجد يحذفون منه الألف ويصرفونه فيقولون : ذكرى " [4] ووافقه في ذلك بعض العلماء [5] .

والصواب أن المد فيه من لهجة أهل الحجاز، وقصره من لهجات بني نمير وقيس وأسد وربيعة " [6] . أما (ذكرى) فهو من لهجة أهل نجد على حذف ألف المقصور وإلحاق ياء النسب [7] . ومما يدل على ذلك أن قراء الحجاز وهم ابن كثير ونافع وأبو بكر وقراءته ترجع إلى عبد الله بن مسعود قد قرأوا بالمد، أما قراء الكوفة وهم حمزة والكسائي وحفص وقراءته ترجع إلى أبي عبد الرحمن السلمي الكوفي فقد قراوا بالقصر (زكريا) وهم أقرب إلى البيئات البدوية المنتشرة في شرق الجزيرة . [8]

---

(١) لغة تميم ٣٨١ .

(٢) السابق نفسه، ولغة قريش ٢٢٤، والمعجم الكامل ٥١ .

(٣) المراجع السابقة نفسها .

(٤) إعراب القرآن ١ / ٣٧٢ .

(٥) زاد المسير ١ / ٣٧٨، والمجيد في إعراب القرآن المجيد ٢ / ٥٣٧ .

(٦) اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء ٢٩٨ .

(٧) المجيد في إعراب القرآن المجيد ٢ / ٥٣٧ .

(٨) معاني القراءات ١ / ٢٥١، ٢٨٢ .

٥- ذكرت ـــ سابقا ـــ أن الإنسان البدوي خاصة يسلك في نطقة أيسر السبل وأسرعها فينطق الصوت الشديد بدلا من الرخو ؛ لأنه أيسر من نظيره و أقل مجهوداً منه . لكن ورد أن أبا عبيدة ذكر أن : فاظت نفسه وفاضت لغة لبعض تميم وأنشد :

اجتمع الناس وقالوا عرس .·. ففقئت عين وفاضت نفس [١]

وهذا موضع شك ؛ لأنه قد ورد في أكثر مصادر اللغة أن بني تميم يقولون : فاضت بالضاد الشديدة، أما أهل الحجاز فيقولون : فاظت بالظاء الرخوة [٢]، ومما يؤيد أن الظاء لأهل الحجاز : أن الضاد كتبت بالظاء في مصاحف ابن عباس وعائشة، كما قرأها بالظاء ابن محيصن وابن كثير في قوله تعالى : بظنين " بدل " بضنين " [٣] وابن عباس وعائشة حجازيان، وابن كثير مكي، وابن محيصن قرشي، فهم جميعا يؤولون إلى بيئة الحجاز . [٤]

٦- و من ذلك : ذكر ابن خالويه أن بني تميم يقولون : روضات، وجوزات، وعورات بفتح العين و سائر العرب بالإسكان [٥]، أي يجمعون (فعلة) بسكون العين على (فعلات) بفتح العين . والصواب أن جمع (فعلة) على (فعلات)بالفتح هو من لغة هذيل عند أكثر علماء العربية [٦]، وعزاه بعضهم إلى قيس [٧] . و لم ينسبه أحد إلى تميم غير ابن خالويه . و

---

(١) إصلاح المنطق ١ / ٢٨٦، واللسان (ف ى ض) .

(٢) التهذيب ١ / ٢٨٥ (ظ ف واىء) والزاهر في معاني الكلمات الناس ٣٤٧/٢، واللسان (ف ى ظ)، والتاج (ف ى ظ).

(٣) سورة التكوير من الآية (٢٤) .

(٤) اللهجات العربية في التراث ٤٢٨ .

(٥) مختصر شواذ القرآن ١٠٤ .

(٦) المفصل ١٩١ ،والكشاف٢٣٧/٣ ،والمحرر الوجيز ١٧٩/٤ وشرح ابن عقيل ٣٥٢/٢، والبحر المحيط٤١٤/٦ ،والمصباح المنير (ع و ر)، و حجة القراءات٥٠٦/١، وفتح القدير ٢٤/٤، وروح المعاني ١٤٦/١٨ .

(٧) إعراب القرآن ١٣٤/٣، والمحتسب ٥٦/١ ،والجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١٢ .

رضى الدين الاستراباذي[1] . فلعل ابن خالويه قد خلط بين هذيل و تميم، كما أن أباحيان نقل إسناد الظاهرة إلى تميم عن ابن خالويه[2]، كما أرجح أن رضي الدين فى شرحه لشافية ابن الحاجب ناقل عن ابن خالويه أيضا ؛ لأن النقل متشابه، فكأنه رجل واحد وهو ابن خالويه ذلك الذى عزاه إلى تميم، ورجل واحد مع دليل واحد لا يناهض عددا شهد له بالأمانة العلمية والضبط فى الأداء، والدقة في التحري حيث عزوها إلى هذيل، وهناك دليل يناهض ابن خالويه من كلامه نفسه فهو يذكر في قوله تعالى : " ثلاث عورات" أن الأعمش قرأ بها ـــ أى بفتح الواو ـــ و الأعمش أسدي لا تميمي حتى ينسب إليه ظاهرة لهجية من سمات تميم، ثم إن الأعمش من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة [3]. فإذا أضيف إلى هذا أن هذه الصيغ وردت في شعر هذيل حيث يقول شاعرهم :

أبو بيضات رائح و متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح [4]

كان ذلك دليلا كافيا على أن اللهجة في هذيل[5] . كما أن تميما تميل إلى حذف الحركات القصيرة المنبورة تخفيفا كما سبق في كتف، وعضد . وعلى هذا تكون نسبة الظاهرة إلى تميم غير صحيحة .

وفتح العين فى الجمع (فعَلات) هو الأصل [6]، والتسكين أجود ؛ لأن الواو إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفا [7]، وعلى هذا فقول ابن مجاهد عن قراءة الأعمش بأنها لحن[8] غير صواب .

---

(١) شرح الشافية ١١٠/٣ .

(٢) البحر المحيط ٤٣٣/٦، ٤١٤/٦.

(٣) اللهجات العربية في التراث٥٤٣ -٥٤٤

(٤) البيت من دون نسبة فى المحتسب ٥٨/١، والمحكم (ب ى ض)، واللسان (ب ي ض) .

(٥) اللهجات العربية في التراث ٥٤٤.

(٦)المحرر الوجيز ١٧٩/٤.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٧/١٢.

(٨) مختصر شواذ القرآن ١٠٤ ،والبحر المحيط ٤١٤/٦.

٧- ومن ذلك : التلتة . و هى عبارة عن كسر حرف المضارعة . وقد نسبت إلى البيئات البدوية ك تميم وقيس وأسد وربيعة وكلب وبهراء . وهم من سفلى مضر كما سيأتى بيان ذلك . وقد نسبها أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) إلى عليا مضر، بينما نسب فتح حروف المضارعة إلى أسفلها[١] . وعليا مضر هم الحجازيون وسفلاها هم سكان نجد . فكلامه مخالف للروايات المتوترة في نسبة هذه الظاهرة، فهو منه أو من الفيومي سبق قلم[٢] .

خامساً : الرغبة في التقليد أو المحاكاة :

وفي حديثنا عن مظاهر التأثير والتأثر بين البيئات العربية ما يوضح ذلك، وهنا أضيف أن الشاعر ربما أراد أن يحاكي لغة غير لغته أو لهجة غير لهجته فيخطئ . ومن ذلك الفرزدق التميمي، وقد عرف عن بني تميم، أنهم لا يعملون (ما) النافية عمل ليس، أما أهل الحجاز أو قريش خاصة فإنهم يعملونها عمل ليس فيرفعون اسمها وينصبون خبرها بشروط خاصة[٣]، لكن الفرزدق لما أراد أن يحاكي أو يقلد القرشيين في لهجتهم اعتقادا منه أنها الأفصح أخطأ فقدم خبرها على الاسم وهو غير ظرف ولا جار ومجرور منتقضا شروط عملها فقال :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم ∴ إذ هم قريش وإذا ما مثلَهم بشرُ[٤]

يقول الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد : " إن الشاعر أخطأ في هذا والسر في ذلك الخطأ أنه تميمي، وأراد أن يتكلم بلغة أهل الحجاز فلم يعرف أنهم لا يعملون (ما) إذا تقدم الخبر على الاسم، ولعله وجد خبر ليس قد جاء متقدما على اسمها فتوهم أن (ما) لكونها بمعنى ليس

---

(١) المصباح المنير(ى أ س).

(٢) لغة تميم ٢٠٦.

(٣) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٣، وشرح الأشموني ١ / ٢٤٧، والهمع ١ / ٤٤٧ .

(٤) الديوان ١/١٨٥ .

تعطى حكمها ولم يلتفت إلى أن (ما) فرع عن ليس في العمل، وأن الفرع ليس في قوة الأصل"[1]

ويقول أحد الباحثين المحدثين : " أراد أن يحاكي الحجازيين في لغتهم فغلط، إذ نصب الخبر المتقدم وهم لا يفعلون ذلك " .[2]

ومن ذلك : همز الحجازيين لبعض الكلمات منها ــ النبىء، والبريئة، والخابئة[3] يقول أبو زيد : " أهل الحجاز وهذيل ومكة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا "[4] يقول د / صبحي الصالح : " لهجة تميم تنبر الهمز أى تحققها، وتلتزم النطق بها يشاركها في ذلك أكثر البدو على حين يسهل الحجازيون الهمزة ولا ينبرونها إلا إذا أرادوا محاكاة التميميين استلطافا لهذه الصفة الحلوة من صفات لهجتهم ؛ لشعورهم بأن تحقيق الهمزة في الأساليب الأدبية من شعر وخطابة أقرب إلى الفصاحة من تسهيلها ... " .[5]

سادساً : الرغبة في المخالفة :

ذكرت ــ سابقا ــ أن البيئات البدوية تميل إلى تقليل الجهد العضلي والسرعة في النطق فتسكن عين الكلمة مكسورة كانت أو مضمومة فيقولون في كبد : كبد بسكون الباء، وفي رسل: رسل بإسكان السين ؛ وذلك لأنهم يكرهون أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور أو المضموم إذ فيه انتقال من الأخف إلى الأثقل، أما أهل الحضر فإنهم يأتون بالصيغ كاملة دون انتقاص منها. لكني وجدت أن كلا من البدو والحضر يفارقون عادتهم هذه فيسكن أهل الحضر المتحرك، ويكسر أهل البدو الساكن . وذلك في العدد (عشرة) ــ عند تركيبها ــ فيقول

(١) شرح ابن عقيل ١ / ٣٠٤ هامش (١) .

(٢) مميزات لغات العرب ص١٨ .

(٣) الكتاب ٣ / ٥٥٥ .

(٤) اللسان ١ / ٢٦ .

(٥) دراسات في فقه اللغة ٧٧، ٧٨ .

الحجازيون : خمس عشْرة . بسكون الشين، أما بنو تميم فيحركون الشين بالكسر ويقولون : عشرة [1]، وبالوجهين قرئ قوله تعالى: ﴿ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ﴾ . [2]

يقول ابن جني : " .... لكن القبيلتين جميعا فارقتا في هذا الموضع من العدد معتاد لغتها، وأخذت كل واحدة منها لغة صاحبتها، وتركت مألوف اللغة السائرة عنها، فقال أهل الحجاز: اثنتا عشرة بالإسكان، والتميميون : عشرة بالكسر . وسبب ذلك ما أذكره، وذلك أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول وتضم فيه الكلم بعضه إلى بعض، وذلك من أحد عشر إلى تسعة عشر، فلما فارقوا أصول الكلام من الإفراد وصاروا إلى الضم فارقوا أيضا أصول أوضاعهم ومألوف لغاتهم، فأسكن من كان يحرك وحرك من كان يسكن " . [3]

سابعاً : المبالغة في الفصاحة أو الحذلقة :

كما في همز كثير من الكلمات التي لا أصل لها في الهمز مثل : الضألين، وشأبة، ولبأت بالحج، واستلأمت الحجر، ورثأت زوجي بأبيات .... إلخ . فبعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى تسابق العرب في النطق به، فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز مبالغة في التفصح... ويشيع في العربية الفصحى همز ما ليس أصله الهمز ؛ بسبب عقدة الحجازيين في صوت الهمزة، وتوهمهم في الأمثلة التي يوجد في مكان منها واو أو ياء، أنهما ناتجتان بسبب الانزلاق بين حركتين بعد سقوط الهمزة في نطقهم، ولذلك يزيدون في هذه الأمثلة همزات غير أصلية فيها، عن طريق الحذلقة والمبالغة في التصفح . [4]

ومن ذلك ــ أيضا ــ استعمالهم صيغة (أفعل) في : أوفى، وأسرى . ألحقوا الهمزة بالثلاثي ظنا منهم أن الهمزة قد سقطت منه في لهجاتهم المحلية، فألحقوا الهمزة بالثلاثي تحذلقا

---

(١) إعراب القرآن ١/٢٣٠، والبحر المحيط ٤/٤٠٥، و المزهر ٢/٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة من الآية (٦٠) .

(٣) المحتسب ١ :/ ٢٦١، ٢٦٢ .

(٤) التطور اللغوي ١١٧ ــ ١١٩ بتصرف .

ومبالغة في التفصح.[1]

وينتج ذلك بسبب الحرص الشديد على محاكاة اللغة الأدبية، ممن لا يملك زمامها من عامة الشعب، فهو يحاول أن يرد العامية التي يتحدث بها إلى نمط اللغة الأدبية، وهو في محاولته هذه لا يفرق بين الظواهر الجديدة والقديمة في لغة الخطاب، فإذا رد كلمة جديدة إلى أصلها القديم أصاب، أما إذا فعل مثل ذلك مع الكلمات التي احتفظت بالأصل القديم، وشابهت مع ذلك الجديد فإنه حينئذ يكون متقعرا أو متحذلقا....[2]

وقد سمى ذلك فندريس الإسراف في المدنية إذ قال : " الإسراف في المدنية هو المبالغة التي يؤدى إليها ولع صحة الكلام عند من يفخر بجمال العبارة....فالمدني بطبعه كان ميالا إلى المبالغة في المدنية حتى لا يتهم بالكلام على طريقة الفلاحين، وذكر عددا من الأمثلة لإثبات صحة ما ذكره، كما ذكر أمثلة أخرى للإسراف في اللهجية وهو الخطأ في استعمال لهجة أجنبية بسبب التردد في صيغة الكلمات غلوا في مراعاة الصحة ...."[3]

ثامنا : الربط بين القارئ والبيئة :

كثيرا ما يربط اللغويون ــ لاسيما المحدثون ــ بين قراءة القارئ وبين بيئته، فينسبون قراءة ابن كثير ونافع وأبي جعفر وابن محيصن إلى لهجة أهل الحجاز، وينسبون قراءة ابن مسعود إلى هذيل، وينسبون قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم .

والحق أن القراءة تمثل بيئة القارئ أحيانا، وبيئة شيخه الذي أخذ عنه القراءة تارة ثانية، وتارة يجمع بين بيئته وبيئة شيخه أوالبيئة التي انتقل إليها كما في قراءة أبي عمرو بن العلاء الذي

---

(١) مشكلة الهمزة العربية ١٢٧ ــ ١٢٨ بتصرف .

(٢) بحوث و مقالات في اللغة ٢٣٣.

(٣) اللغة ٨٠، ٨١ بتصرف .

قضى الشطر الأول من حياته في مكة والمدينة وأخذ عن ابن كثير ونافع، ثم انتقل إلى البصرة فصار أحد أعلامها المبرزين . وتارة ثالثة تمثل القراءة ثقافة القارئ كما في بعض قراءات حمزة والكسائي وهما من أئمة المذهب الكوفي في النحو العربي . وتارة رابعة يتقيد القارئ بموافقة الرسم العثماني .

وعلى هذا فالربط بين القارئ والبيئة ينبغي ألا يؤخذ على عمومه، إذ لكل قراءة مؤثراتها، وشيوخها الذين نقلت عنهم .

تاسعاً : تشابه أسماء بعض القبائل :

تتشابه ـــ أحيانا ـــ أسماء بعض القبائل العربية فينتج عن ذلك ما يوحى بخروج البيئة عن معتاد حالها . ومن ذلك قبيلة (مازن)، وهم قبائل وبطون عدة أهمها :مازن بن منصور بن عكرمة ـ خصفة بن قيس عيلان وهو أخو سليم وهوازن والمشهور منها . ومازن الأنصار، ومازن مالك ابن عمرو بن تميم [1]، ومنها بنو مازن بن ربيعة بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد [2]، ومنها بنو مازن بن الأزد بن الغوث وقد نزلوا غسان بسد مأرب في اليمن [3] . وبالرجوع إلى مصادر اللغة نجد أن العلماء ينسبون إبدال الباء ميما إلى مازن، وإبدال الميم باءا إلى مازن أيضا دون أن يحددوا من هم مازن . يقول الزبيدي عن حرف الباء . "وقال شيخنا : إنها تقلب ميما في لغة مازن كما قال أهل العربية " [4] . ويقول : " الغشب بالباء أهمله الجوهري وقال ابن دريد هو لغة في (الغشم) بالميم، قال شيخنا : وأكثر أئمة اللغة والتصريف أنها ليست بلغة وإنما هي إبدال وهي مطردة في لغة مازن " . [5]

وقال : " قال الأزهري خاصة روى أبو العباس عن ابن الأعرابي قال : " البُنُح "

---

(١) الأنساب ٥ / ١٦٥، ٣ / ٣٥ .

(٢) السابق ٣ / ١٣٥ .

(٣) الإنباه على قبائل الرواة ـــ لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي ١٨/١، وشرح مشكل الآثار ١٩٣/٦ .

(٤) تاج العروس ٢ / ٥ .

(٥) السابق (غ ش ب) .

بضمتين العطايا . قال أبو منصور : كأن أصله منح، جمع المنيحة كصحيفة وصحف، فقلب الميم باءا وهو عند مازن لغة مطردة " . (١)

وقال ابن عطية : " اختلف الناس في (بكة) فقال الضحاك وجماعة من العلماء بكة وهي مكة فكأن هذا من إبدال الباء بالميم على لغة مازن وغيرهم " . (٢)

وعلى هذا فمازن عندهم تقلب الباء ميما تارة، والميم باءا تارة أخرى، وهذا أمر غير مقبول ؛ لأنه أقرب إلى الفوضى اللغوية التي لا تمت إلى منطق العقل بصلة إلا إذا كان ذلك على سبيل الحذلقة أو المبالغة في التفصح إذا أراد محاكاة اللغة الأدبية لغة الشعر والخطباء وفي اللهجات الحديثة ما يؤيد ذلك .كما ذكر أحد الباحثين المحدثين . (٣)

ولعل ما يؤيد ذلك ما جاء في بعض الروايات أن قلب الميم باءا، والباء ميمًا في مازن ربيعة، أو مازن بن شيبان بن ذهل، وهو متصل النسب إذن ببكر بن وائل التي يؤول نسبها إلى ربيعة . (٤)

ولكن يبقى الاحتمال الآخر وهو الأرجح أن إحدى الموازن تقلب الميم باءا والأخرى تقلب الباء ميما .يقول د/ أنيس : " يمكن أن ننسب لمازن ربيعة قلب الباء ميما، و أن ننسب لمازن تميم أو قيس قلب الميم باءا ؛ لأن فيه انتقال من الصوت الرخو إلى الصوت الشديد وهو ما يلائم البيئات البدوية التي لم تتأثر بعنصر أجنبي " . (٥)

ومن ذلك قبيلة (بني كلاب) . فقد أورد أبو زيد في نوادره عن أعرابية من بني كلاب وقد أبدلت الهمزة عينا، أى نطقت بالعنعنة إذ أنشدت :

---

(١) السابق (ب ن ح) .

(٢) المحرر الوجيز ١ / ٤٧٤ .

(٣) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ١١٧ .

(٤) اللهجات العربية في التراث ٤١١ .

(٥) فى اللهجات العربية ١١٨بتصرف

فتعلمن و إن هويتك عنني قطـــاع أرمام الحبال صروم

فقال لها : ما هذا ؟ فقالت : هذه عنتنا [١] . وكلاب أكثر من قبيلة . فلا ندرى هل يقصد بهـــا بطنا من عامر بن صعصعة، أوكلاب بن مرة، أو كلاب بن معاوية ؟ مما جعل أحد الباحثين المحدثين يقول : " والأرجح أن التى تنطق بالعنعنة من هذه الأسماء المتشابهة هى كلاب من عامر بن صعصعة لا غير ؛ لأن نسبها ينتهى إلى قيس، و قيس هذه أثر عنها العنعنة صراحة ـــ (وهى المقصودة أيضا فى أكثر اللهجات) ـــ أما كلاب بن مرة فإنها لا تنطق بالعنعنة ؛ لأنها كما تشير كتب الأنساب من قريش، وقريش لم يؤثر عنها العنعنة ولا قبائل الحجاز[٢] .

عاشراً : التأثـــر الثقـــافـــي .

البيـــئة الجغرافية هى العامل الوحيد فى اختلاف الثقافات وتنوع ضروبها مما جعل العلامة ستيوارد (j Stewar) يخصـــص فرعا خاصا من فـــروع الأنثربولـــوجيا الثقافيـــة باســـم (الأيكولوجيا الثقافية) ... فالبيـــئة الجغرافية ـــ عند بعض الجغرافيين ـــ لا تسمـــح بإمكان ظهور ثقافة معينة فحسب بل إنها تفرض ذلك إلى حد بعيد [٣] .

إذن لكل مجتمع ثقافته ولغته مهما تدنت درجة تحضره، كما أن لكل لغة مجموعـــة مـــن الصيغ ذات معنى تعكس خبرات المجتمع والثقافـــة السائدة فيه . ولذا فإن المجتمعات التى تختلف فى الثقافـــة تختلف أيضا فى الفئات التى تتعلق بصيغها اللغوية [٤] .

وما الاختلاف بين مدرستى البصرة والكوفة إلا صورة من صور اختلاف الثقافة باختلاف البيـــئـــة وموقف كل منهما من مصادر الاحتجاج باللغة . ونظرة فاحصة فى قـــراءات أبى عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي يتبين صدق ذلك . إذ تارة تمثل القراءة بيـــئة القارئ الأصلية، وتارة

---

(١) النوادر في اللغة ٢٩.

(٢) اللهجات العربية في التراث ٣٦٧.

(٣) الأنثروبولوجيا الاجتماعية والفكر الإسلامى ١١٤ .

(٤) علم الاجتماع اللغوي ١٥٢ بتصرف .

أخرى تمثل ثقافته اللغوية المستمدة من البيئة التي يعيش فيها، وفي جميعها تعد مظهرا من مظاهر اختلاف اللهجات العربية باختلاف البيئات الجغرافية .

فثقافة أى أمة أو جماعة ترتبط ارتباطا وثيقا بنمط لغتها مادامت الأخيرة تعكس عادة نشاطات هذه الطائفة ....ومهما يكن من شئ فلاشك أن اللغة تشكل جزءا من الوعى الثقافي للجماعة، وهى تعد واحدة من أقدم المظاهر لهذا الوعى . (١)

والعنصر الثقافي يتبدل ويتغير بفعل عوامل كثيرة فى المجتمع منها القيم، وذلك لأن نظرة أفراد المجتمع إلى قيم الأشياء تتغير تبعا لتغير ثقافتهم . ومن ثم يؤدى الانتشار الثقافي نتيجة لتقدم وسائل الاتصال الفكرية إلى كثير من التغيرات فى نظم المجتمع و أفكار أفراده، و التى ينعكس أثرها على البناء الاجتماعى للمجتمع (٢) وعلى لغته أيضا .

ولمفارقة البيئة لمعتاد حالها أسباب أخرى كثيرة يمكن إدراكها . منها : الميل إلى الإفهام كما في حديث الرسول ـ ﷺ ـ بلغات القبائل . ومنها : الاستحسان .ومنها : اتباع مقاييس اللغة المشتركة عند ذوى النفوذ وإن خالفت مقاييس اللهجة .ومنها : أن تكون لبعض الحروف في العربية طبيعة نطقية خاصة عند بعض القبائل العربية كما في فتح حرف الحلق الثاني الساكن في لهجة عقيل البدوية أو إتباعه كسر ما قبله عند تميم . وقد بينا علة ذلك في بحث سابق (٣) . ومنها : كثرة الاستعمال . ومنها : التطور اللغوي في بعض البيئات .

(١) أسس علم اللغة – ماريو باى ٢٠٦

(٢) التغير الاجتماعى ٢٩ .

(٣) الفكر اللهجي عند أبي العلاء المعري ١٠١ ـ ١٠٦ .

المبحث الرابع

البيئة بين التطوراللغوي والمحافظة على الأصل

اللغة كائن حي ؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، كما أنها تتطور بتطور هذا المجتمع فترقى برقيه وتنحط بانحطاطه .

واللغة شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وقواعدها ومتنها ودلالاتها، وتطورها هذا لا يجري تبعا للأهواء والمصادفات أو وفقا لإرادة الأفراد، وإنما يخضع في سيره لقوانين جبرية ثابتة مطردة النتائج واضحة المعالم محققة الآثار، ولا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي إليه .[1]

واللغة العربية الجاهلية، ليست بدعا بين اللغات، فهي حلقة في سلسلة حلقات طويلة من التطور والتغير يسلم بعضها إلى بعض، وكل حلقة منها تتكون من مجموعة من الظواهر المطردة القواعد، غير أننا نلحظ في كل حلقة من حلقات التطور اللغوي أمثلة شاذة عن تلك القواعد المطردة، ويرجع السبب في وجودها في اللغة في غالب الأحيان إلى واحد من ثلاثة أمور : فإما أن تكون تلك الشواذ بقايا حلقة قديمة ماتت واندثرت، وهو ما نسميه نحن (الركام اللغوي للظواهر المندثرة في اللغة) ــ وهو ما يعنينا في هذا المبحث ــ إذ احتفظت بعض البيئات العربية ببعض الظواهر اللغوية التي اندثرت من الفصحى، ولم تستطع الظاهرة اللغوية الجديدة أن تمحو الظاهرة القديمة تماما بل تبقى منها بعض الأمثلة الدالة عليها في بعض البيئات العربية كما سيأتي .

وإما أن يكون هذا الشاذ بداية وإرهاصا لتطور جديد لظاهرة من الظواهر تسود حلقة تالية، وتقضي على سلفها في الحلقة القديمة، وحينئذ نجد الصورتين الحديثة والقديمة جنبا إلى جنب

---

(١) التطور اللغوي مظاهر وعلله وقوانينه ص ٩ بتصرف .

في بعض الأحيان، بل في سياق لغوي متشابه إلى حد كبير، فمعناهما حينئذ واحد، وإحدى الصورتين أصل للأخرى .

وإما أن يكون ذلك الشاذ شيئا مستعارا من نظام لغوي مجاور كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان ولغته في الأصل إحداهما، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، وطال بها عهده، وكثر استعماله لها .. وكل مثال شذ لسبب من الأسباب الثلاثة السابقة على القواعد المطردة في حلقة من حلقات التطور اللغوي إنما كان مطردا في بيئته ومتوافقا مع القواعد السائدة في تلك البيئة (١) .

واللغة في تطورها تتأثر بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى أربع طوائف :

أحداها : انتقال اللغة من السلف إلى الخلف .

ثانيها : تأثر اللغة بلغة أو لغات أخرى .

ثالثها : عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافية، كحضارة الأمة ونظمها وعاداتها وتقاليدها وعقائدها وثقافتها واتجاهاتها الفكرية ومناحي وجدانها ونزوعها وبيئتها الجغرافية

رابعها : عوامل أدبية مقصودة تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة وما تبذله معاهد التعليم و المجامع اللغوية وما إليها في حمايتها والارتقاء بها . (٢)

واللغات أو اللهجات في تطورها يحتفظ بعضها بكثير من عناصر اللغة الأصلية تدل على أصلها القديم، وتربطها بأخواتها .

فالعربية لغة سامية، إذ تؤلف مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها اسم الشعبة السامية الجنوبية، وذلك أن صلات القرابة التي تربطها بهذين الفرعين أقوى بكثير من صلات القرابة التي تربطها بشعبة اللغات السامية الشمالية كما يبدو ذلك من الموازنة بينها في أصول الكلمات والأصوات والقواعد . (٣)

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة ٥٧ ــ ٨١ بتصرف .

(٢) علم اللغة د / وافي ٢٤٩ .

(٣) فقه اللغة د / وافي ٩٦ .

ولا أدل على قوة العلاقة بين العربية وجاراتها من اللغات السامية من قول ابن حزم الأندلسي : " إن الذي وقفنا عليه، وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر ـــ لا لغة حمير ـــ واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة (لهجة) أهل القيروان، ومن القيراواني إذا رام لغة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها ... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل " . [1]

وكثيرا ما يتوافق اللغتان : لغة العرب ولغة الحبش في ألفاظ، وفي قواعد من التراكيب النحوية كحروف المضارعة، وتاء التأنيث، وفي همزة التعدية، والنسب . [2]

والموطن الأصلي للساميين في أرجح الآراء هو الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية بلاد الحجاز ونجد واليمن [3]، ومنه خرج الساميون في هجرات عدة إلى الغرب، وإلى الشمال الشرقي والغربي، وكان العدنانيون من المهاجرين إلى شمال شبه الجزيرة، وفيها انتشروا حاملين معهم لغتهم السامية التي اختلفت بعض الشيء عما كانت في موطنها الأول، بينما احتفظت بكثير من عناصر السامية الأولى .

فقد كان من حظ ـــ بعض ـــ القبائل القاطنة في أصقاع الجزيرة أنها احتفظت بلغتها السامية الأصلية احتفاظا ظاهرا حتى لم يطرأ عليها شيء كبير من التغير والتبدل إذ كانت هذه الأقوام بعيدة عن الأمم الأخرى، وفي مأمن من التأثر بحضارتها كما تأثرت بقية الأمم السامية التي سكنت في الجهات المعمورة .

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١ / ٣٤، وأم اللغات ص١٧ .

(٢) البحر المحيط ٤ / ١٦٣، وفصول في فقه العربية ٤٤ .

(٣) فقه اللغة د /وافي ص ١١، فصول في فقه العربية ٤٠ ـــ ٤٢، ولهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٥٦ .

ومن أجل ذلك امتازت اللغة العربية لغة تلك القبائل عن اللغات السامية الأخرى بزيادة عدد غير قليل من الكلمات والصيغ القديمة ...

بل إننا نجد العربية الفصحى تشتمل ـ أحيانا ـ في الكثير من ظواهرها على بعض حلقات التطور، إذ نلاحظ فيها أحيانا صورتين أو أكثر لظاهرة لغوية واحدة، وبعض هذه الصور يمثل فترة تاريخية أقدم من الصور الأخرى ـ (كما في تعليل ابن جني لظاهرة إلزام المثنى الألف) [1] ـ إذ تدلنا الملاحظة على أنه من المحتمل جدا أن يوجد نطقان مختلفان أحدهما جديد، والآخر تقليدي محافظ، أو أكثر، يتعايشان سويا لسنوات كثيرة، قد تصل أحيانا إلى عدة قرون " . [2]

وقد قسم العلماء اللهجات العربية إلى قسمين هي العربية الشمالية، والعربية الجنوبية، لكن الذي يمعن النظر في اللهجات الشمالية يدرك مبلغ تأثرها باللغات السامية المجاورة لها كالآرامية والعبرية، فقد كانت العرب الراحلة تتصل بأمم سورية والعراق من أقدم الأزمنة التاريخية اتصالا متنوع الأسباب فقد يكون للغزو وقد يكون للتجارة وتبادل الغلات والمرافق، وقد يكون لطلب الكلأ والمرعى ونجم عن ذلك تبادل أدبي وعلمي أيضا .

وقد امتزجت قبائل جمة آرامية وعبرية بالعرب في الجزيرة العربية أو على تخومها وتركت فيهم آثارا ظاهرة إذ كانت من الوجهة الفكرية أرقى من عرب شمال الجزيرة . [3]

لكن يجب ألا يبالغ الباحث في مسألة تأثير الآرامية والعبرية في العربية الشمالية ... فقد يوجد عدد كبير من الألفاظ له رنة آرامية أو عبرية وهو في الواقع كان يستعمل عند العرب قبل أن يحدث الاتصال بين هذه اللغات ... كما قد يحدث أن تتغلب الصيغة الجديدة على القديمة في نطق كثير من الكلمات إلا أن هناك كلمات تدل على معان عمرانية أو دينية أو علمية غير مألوفة عند العرب فيجزم علماء الإفرنج بأنها غير عربية الأصل، وينسبونها إلى الآرامية أو إلى العبرية. [4]

---

(١) الخصائص ٢ / ١٧، ١٨.

(٢) التطور اللغوي ص ١١ ..

(٣) تاريخ اللغات السامية ١٦٢ ـ ١٦٣ بتصرف .

(٤) تاريخ اللغات السامية ١٦٣ .

أما اللهجات العربية وقد تفرعت عن هذه اللغة المنتمية إلى الأصل السامي المنتشر في شبه الجزيرة، فمنها ما بعد عن أصله، وتخلى عن بعض سماته واستحدث خصائص جديدة تتناسب مع بيئته كما هو الحال في القبائل التي كانت تسكن شمال شبه الجزيرة بما فيها قريش . ومنها ما احتفظ ببعض الخصائص السامية الأصل ؛ لتدل على أصلها وترشد إلى صلتها بأخواتها .[1]

وطبقا لتقسيم المجتمع العربي إلى بدو وحضر، فإن علماء اللغة المحدثين في علاجهم للهجات وتتبعها في أزمنة مختلفة يكادون يجمعون على أن لهجات البيئات البدائية تختلف عن لهجات البيئات الحضرية في نسبة خضوع كل منهما لعوامل التطور أو عوامل الجمود والاستقرار . ففي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغيره في كثير من الظواهر، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغير أو تحور . غير أن الغلبة تكون دائما لعوامل التطور، فلا تبقى اللهجة في كل ظواهرها على حال واحدة بعد مرور قرن أو قرنين إلا أن هذا التطور قد يكون شديدا في بعض اللهجات إذ يصيب كل نواحي اللهجة وظواهرها كما في لهجة قريش، وقد يكون ضئيلا لا يكاد يعدو أمورا معينة في هذه اللهجة كما في لهجات أهل اليمن.

ففي البيئات البدوية التي لا تكاد تستقر على حال عوامل تسارع بلهجتها إلى التطور والتغير كالانعزال بين الأجيال، وكثرة الرحيل والتنقل، وقلة عنايتهم بالنطق وسرعتهم في الأداء إلا أنهم مع ذلك لهم من حياتهم القبلية وظروفهم الاجتماعية ما يساعد على استقرار لهجاتهم.

أما في البيئة الحضرية فعوامل التطور فيها إن وجدت فليس لها نفس القوة التي نراها عادة في البيئة البدوية وهذا يؤدي إلى حالة من الاستقرار في لهجة كلامهم إلا أنهم مع ذلك لهم في حياتهم ما يساعد على التطور كقبولهم لكثير من العناصر الأجنبية التي تترح إليهم، واتصالهم بكل جديد يطرأ على الحياة الإنسانية .....[2]

(١) لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٥٦ ــ ٥٧ بتصرف

(٢) في اللهجات العربية ٨٦ ــ ٩٠ بتصرف .

وبتتبع الظواهر اللهجية في لهجات العرب نجد أن بعض هذه الظواهر أو الخصائص ترجع إلى أصول سامية قديمة سواء كان ذلك في الأصوات، أو الأدوات والضمائر، أو التراكيب، أو المفردات ودلالاتها، ومن ذلك ما يلي :

أولا : في الأصوات :

١ ـ حركة حرف المضارعة :

الأصل في العربية الفصحى أن يزاد حرف المضارعة مضموما في الماضي الرباعي تقول : يدحرج، ويكرم، كما يزاد مفتوحاً عند بناء المضارع من الثلاثي أو الخماسي أو السداسي مثل : ينصر، ويتعلم، وينطلق . إلا أن من العرب من يكسر حرف المضارعة في جميع الأحوال وتسمى هذه الظاهرة عندهم باسم (التلتلة) وهي عبارة عن كسر حرف المضارعة . وقد اختلف العلماء في تحديد هؤلاء العرب على النحو التالي : فقد جعلها سيبويه لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز [١]، ونسبها ابن جني إلى بهراء تارة [٢]، وإلى تميم تارة ثانية [٣]، وإلى عقيل تارة ثالثة [٤]، وعزاها أبو حيان وابن منظور إلى قيس وتميم وأسد وربيعة [٥]، وعزاها إلى تميم فقط الزمخشري والثعلبي والقرطبي [٦] . أما الفتح في حرف المضارعة أو الضم فيه فقد عزى إلى أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة، وبعض هذيل . [٧]

وهذا إذا كان حرف المضارعة غير ياء، فإن كان ياءا فجمهور العرب ـ من غير الحجازيين ـ لا يكسر الياء بل يفتحها، خلافا لبعض كلب وهي من قضاعة فإنهم يكسرونها أيضا . [٨]

---

(١) الكتاب ٤ / ١١٠ .

(٢) الخصائص ١ / ١٣، وسر الصناعة ١ / ٢٠٦ .

(٣) المحتسب ١ / ١٣٠ .

(٤) المنصف ٣٢٢ .

(٥) البحر المحيط ١ / ١٤١، ١ / ٥٥٧، واللسان (ت ل ل) .

(٦) الكشاف ٢ / ٤٠٨، وتفسير الثعلبي ٣ / ١٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٦٧ .

(٧) اللسان (ت ل ل) .

(٨) البحر المحيط ٧ / ٣٤٣ .

وهذا يدل على انتشار هذه الظاهرة في بيئات عدة يغلب عليها طابع البداوة على سبيل التأثير والتأثر .

وقد أرجع بعض العلماء الظاهرة إلى أصول سامية قديمة احتفظت بها هذه البيئات العربية كما بقيت في بعض اللهجات الحديثة كما في لهجات اليمن الحديثة كالمهرية والشحرية، البوتاحارية، وفي لهجات السريان في هذه الأيام، وكما في عامية مصر، وفي عامية نجد [1] . يقول د / أنيس : " أما بـهراء فأغلب الظن أنها تبعت اللغات السامية المجاورة لها " . [2]

ويقول د / رمضان عبد التواب : " وهذه الظاهرة سامية قديمة، توجد في العبرية، والسريانية، والحبشية . والفتح في أحرف المضارعة حادث في رأيي في العربية القديمة، بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقى من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة، وبدليل استمراره حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلها " . [3]

ووافقه في ذلك بعض الباحثين [4] . إذ يذكر أحدهم أن المستشرق الألماني Barth (بارث) عد هذه الظاهرة قانونا عاما في اللغات السامية الغربية، فهي في العبرية والسريانية والأجريتية واللغات العربية، غير أن كسر حرف المضارعة انتقل في اللغتين العبرية والسريانية من وزن (فعل يفعل) ـ بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع ـ إلى بقية الأوزان ففيها كلها يكسر حرف المضارعة، وذلك باستثناء الأفعال الحلقية الفاء، والجوفاء والمضعفة في اللغة العبرية فحروف المضارعة فيها مفتوحة " . [5]

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٣٩٧ .

(٢) في اللهجات العربية ص ١٤٠ .

(٣) فصور في فقه العربية ١٢٦ .

(٤) في اللهجات العربية ١٣٩، واللهجات في التراث ٣٩٧، وفقه اللغة وعلم اللغة ٢٨٩، ولغة تميم ٢٠٤ وعلم اللغة المقارن د / حازم كمال الدين ١٩-٣٩.

(٥) دراسات في اللغة العربية ـ د / حلمي خليل ناجي ص٤٠ .

فالظاهرة قد عبرت التاريخ الطويل حتى وصلت الأحفاد بالأجداد، والخالفين بالسالفين[1]

٢ ـ فتح حرف الحلق في وسط الكلمة :

أصوات الحلق ـ الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء ـ إذا وقعت في مقطع واحد مع حركة العين، فإن أثرها يكون واضحا في اللغات السامية، ويبدو هذا الأثر في تغيير حركة العين إلى فتحة بدلا من الضمة والكسرة ـ وبدلا من السكون أيضا ـ وسبب هذا التحول أن اللسان في نطق هذه الحروف الحلقية، يجذب إلى وراء مع بسط وتسطيح له . وهذا هو موضعه في نطق الفتحة " .[2]

وبالرجوع إلى مصادر اللهجات العربية وجدنا أن قبيلة عقيل [3]، تفتح حرف الحلق الساكن في وسط الكلمة، ونسبت أيضا إلى بكر بن وائل [4] وهم يجاورون بني عقيل إذ كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين [5]، وقد أشار ياقوت إلى قرب الجوار بينهما .[6]

وكان هذا التغيير لخصوصية في حرف الحلق كما ذكر ابن جني [7]، خلافا للبصريين الذين أنكروا أن يكون لحرف الحلق أثر معتد في تغيير البنية، فحروف الحلق عندهم لا تحرك ساكنا، ولا تسكن متحركا .[8]

والدليل على هذه الخصوصية مجيء المضارع (يفعَل) بفتح العين في ماضي (فعَل)

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٣٩٧ .

(٢) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ص٥٣ .

(٣) المحتسب ١ / ٨٤، ٨٥، ١٦٦، ١٦٧ .

(٤) البحر المحيط ٣ / ٢٥٧ .

(٥) معجم البلدان ١ / ٣٤٧ .

(٦) السابق ٥ / ١٦٥ .

(٧) المحتسب ١ / ١٦٦، ١٦٧ .

(٨) المنصف ٥٢٧ .

بفتح العين، قالوا : سأل يسأل، وفتح يفتح، والأصل فيه أن تخالف حركة عينه حركة عين ماضيه، فيما عدا ذلك . (١)

وفتح حرف الحلق في (يفعَل) مضارع (فعَل) بفتح العين فيهما يرجع إلى أصول سامية قديمة . (٢)

بل إن السواكن الحلقية والحنجرية كثيرا ما تحدث تغييرا في أصوات مد أخرى فتقلبها فتحة (a)، وهو بلا شك وجه من وجوه الإبدال أو الإعلال، وهذا الميل في العبرية هو القاعدة ... وفي السريانية يكون الميل لتغيير أصوات مد مجاورة للأحرف الحلقية أو الحنجرية إلى فتحة هو إلى حد ما مشتتا مثلا : neb at في مقابل neb ot (يدفع)، والتغيير مطرد مع ذلك في حالات تأتي فيها (e) قبل صوت حلقي أو حنجري في موقع آخر مثل : etdaker أدكر تصير ettakar ــ والظاهرة قليلة نوعا ما في العربية مثل : يفتُح تصير يفتَح . (٣)

وعلى هذا فإن التغيير لأجل حرف الحلق في مثل : نهر، وجهره، وزهرة في لهجة بني عقيل، وبعض بني كلاب، له جذور سامية، إذ هو واضح كل الوضوح في اللغة العبرية نحو : بعل، ونعل، ولحص (٤) .كما هو واضح في السريانية والأثيوبية (٥) وعقيل وبكر بن وائل من البدو المنتشرين في شرح ووسط الجزيرة ؛ لأن عقيلاً من قيس، وبكر بن وائل من ربيعة، والبيئات البدوية عامة تجنح إلى الخفة والاقتصاد في الجهد العضلي، فلعلهما قد احتفظا بهذا الطور في حروف الحلق تحقيقا لهذا الغرض ؛ لأن تحريك الصوت الحلقي أخف من تسكينه، إذ أن كل أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما

(١) تصحيح الفصيح وشرحه ص٣٣ .

(٢) التطور النحوي ٦٣ .

(٣) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ١٠٣، ٢٦٨ .

(٤) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١١١ .

(٥) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ٢٦٨، ٢٦٩ .

يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وتلك هي الفتحة . (١)

وكلما كان الحرف مستفلا في الحلق كان الفتح ألزم ـ كالهمزة والهاء ـ والفتح من الألف، والألف أقرب إلى حروف الحلق من أختيها . (٢)

وعلى لهجة عقيل قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (من المعز اثنين) (٣) بفتح العين وقرأ حمزة والكسائي : " ويأمرون الناس بالبخل " (٤) بفتح الباء والخاء ... إلخ .

٣ ـ الوقف على المفرد المؤنث بالتاء :

تقف العربية الفصحى على الاسم المفرد المؤنث الذي آخره تاء بإبدال هذه التاء هاءا . خلافا لطيئ فإنما تقف على هذه التاء بغير إبدال فتبقيها تاءا كحالتها في الوصل سواء بسواء، أي يجرون الوقف مجرى الوصل . يقولون في الوقف : طلحت، وعليه السلام والرحمت، ومنه قولهم:

بل جوز تيهاء كظهر الجحفت

وقد ذكر سيبويه وابن يعيش هذه اللهجة دون نسبتها (٥)، على حين عزاها الصاغاني وابن المستوفي إلى طيء كما جاء في شرح الشافية (٦)، وكذا عزاها الفراء إلى طيء (٧)، ولعلها لهجة يمنية قديمة (٨)، بدليل ما ذكره أحدهم من أنه سمع بعض حمير يقول : يا أهل سورة البقرت، فقال

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١١٢، ١١٣ .

(٢) الأصول في النحو ٣ / ١٠٢، ١٠٣ .

(٣) سورة الأنعام من الآية (١٤٣)، والمحرر الوجيز ٣٥٤/٢.

(٤) سورة النساء من الآية (٣٧)، و زاد المسير ٨٢/٢ .

(٥) الكتاب ٤ / ١٦٧، وشرح المفصل ٩ / ٨١ .

(٦) شرح الشافية ٤ / ١٩٩، والتاج ح ج ف .

(٧) بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٨ .

(٨) لهجات اليمن قديما وحديثا ص١٧ .

مجيب: ما أحفظ منها ولا أيت [1] . وبدليل ما ذكر عن أن الوثوب هو القعود في لغة حمير، وأنه قد دخل رجل على ملك من ملوك حمير فقال له الملك : ثب أي اقعد، فوثب فتكسر، فقال الملك : ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمر .... فوقف على الهاء — (في عربيت) — بالتاء وكذلك لغتهم " [2] . وطيئ قبيلة يمنية الأصل ك حمير، إذ كانت منازلهم باليمن فخرجوا منه بعد انهيار سد مأرب ونزلوا في ديار بني أسد . [3]

ولعل طيئا وبعض قبائل اليمن الأخرى كحمير قد احتفظت بهذه الظاهرة من اللغة السامية. إذ يوجد هذا الوقف بالتاء في الاسم المفرد في اللغتين : الأكادية والحبشية من اللغات السامية، أخوات اللغة العربية . [4]

وعلى هذه اللهجة رسمت بعض الكلمات في المصحف الشريف مثل (رحمت، نعمت بقيت الله ....) وعليها قرأ حمزة والكسائي : ﴿ مرضات الله .... ﴾ [5] بالتاء في الوقف .

٤ — الوقف على الاسم المنون بالإبدال :

تقف العربية الفصحى على الاسم المنون بحذف التنوين بعد الضمة والكسرة وتسكين ما قبله، وإبداله — (التنوين) — ألفا بعد الفتحة مثل : هذا بكر، ومررت ببكرْ، ورأيت بكرا، وعليه لهجة قريش ومن حذا حذوهم من القبائل الحجازية . [6]

---

(١) همع الهوامع ٣ / ٤٣٧، والشمعة المضيئة ١ / ٢١٥، ٢١٦ .

(٢) الخصائص ٢ / ٣٠، والمحكم (ح م ر) ٣ / ٣٣٦، واللسان (و ث ب)، ومعجم البلدان ٤/٦٠ .

(٣) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٢ / ٦٨١ بتصرف .

(٤) بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٩ .

(٥) سورة البقرة من الآية (٢٠٧)، المحرر الوجيز ١/ ٢٨٢، والجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٢ وحجة القراءات ١٣٠ .

(٦) من أسرار اللغة ٢٢٦ .

أما قبيلة ربيعة فإنها تقف عليه بحذف التنوين وإسكان الحرف الموقوف عليه في جميع أحواله . (١)

وأما أزد السراة (٢)، أو الأزد مطلقا (٣) وهي قبيلة عظيمة من قبائل اليمن القديمة وقد تركتها على إثر خراب سد مأرب فهاجروا من سبأ وتفرقوا في البلاد، إذ انقسموا إلى أربعة أقسام فقيل : أزد شنوءة، وأزد غسان، وأزد عمان، وأزد السراة، بحسب الأماكن التي حلوا بها. (٤) فإنهم يقفون على الاسم المنون بإبدال تنوينه ألفا في حال النصب فيقولون : رأيت زيدا، وواوا في الرفع فيقولون : هذا زيدو، وياء في الجر فيقولون : مررت بزيدي . ولعلهم كانوا متأثرين في ذلك باللغة النبطية ؛ لأن النبط كانوا كالعرب الآخرين يعرفون علامات الإعراب الثلاثة، وكانوا يطيلونها عندما تجرد الأسماء من الإضافة، وضاعت تلك الحركات في ثنايا التاريخ عندما نسي النبط استخدام هذه الحركات استخداما صحيحا عندما اختلطوا بالآراميين، وذلك السلوك اللغوي له بقايا في النطق والكتابة في نواحي (الحديدة) باليمن إذ تنطق الأعلام والأسماء بضمة مشبعة، ومازالت بعض الكلمات مثل كلمة (عمرو) تكتب بواو زائدة على النطق، وربما كانت منطوقة في وقت ما على ما كان شائعا عند النبط وأزد السراة .

فالأزد عامة أو أزد السراة خاصة قد احتفظت بهذا النطق النبطي القديم وهو الأصل الذي تطورت عنه الفصحى النموذجية . (٥)

---

(١) اللهجات العربية في التراث ٤٨١ .

(٢) شرح المفصل ٩ / ٧٠، والتصريح بمضمون التوضيح ٢ / ٣٣٨ .

(٣) شرح الأشموني ٢ / ٥٠٨ .

(٤) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ١ / ١٥، ١٦ بتصرف .

(٥) انظر تفصيل ذلك في رسالتنا للدكتوراه (الظواهر اللغوية في معاني القراءات للأزهري ٤٥٠ ــ ٤٥٤ .

والنبط هم السريانيون [١]، ولغتهم يقال لها : السريانية [٢]، (وهي لهجة سامية) ؛ لأن معظمهم ينحدر من أصول آرامية، والسريانية إحدى لهجاتها [٣] . قال ياقوت : وكان حاشية الملك إذا التمسوا حوائجهم وشكوا ظلاماتهم تكلموا بها لأنها أملق الألسنة.[٤] وهم بأرض العراق وبلاد الشام .

ولغتهم تخالف العربية أحيانا قال الأزهري : " وليس (لا دهل ولا قمل) من كلام العرب إنما هما من كلام النبط يسمون الجمل قملا، والداهل : المتحير . [٥]

وقال ابن جني : " اعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط فإذا وقعت قلبوها طاءا ولهذا قالوا: البرطلة وإنما هو : ابن الظل، وقالوا : ناطور، وإنما هوناظور ... " . [٦]

ومن ذلك : أنهم يسمون المحبوس : المهزرق بالزاي قبل الراء [٧]، ومنه : أنهم يسمون الحبال : الأشول قال أبو سعيد : لولا أنني نبطي ما عرفته . [٨] وهم يسون الجبل : الطور فإذا كان عليه نبت وشجر قيل طور سيناء [٩] . كما أنهم يجعلون الزاي سينا فيقولون في زورق : سورق، والعين همزة فيقولون في مشمئل : مشمعل . [١٠]

---

(١) النبط ينسبون إلى نبيط بن ماس بن إرم بن سام بن نوح، أو نبيط بن أشور بن سام بن نوح (صبح الأعشى ٤٢٤/١، وتاريخ ابن خلدون ٢ / ٩ ٨٠، ٧ / ٧٢١)، وقيل هم من ولد شاروخ بن أرغو بن فالغ بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (المعارف ٤ / ٢٨)، وهم أهل بابل من العراق في الزمن القديم وإليهم تنسب الفلاحة النبطية (صبح الأعشى ١ / ٤٢٤)، وقيل : هم نصارى الشام الذين عمروها وأهل سواد العراق (مشارق الأنوار ٢ / ٣) .

(٢) معجم البلدان ٣ / ٢٧٩، وتاريخ اليعقوبي ١ / ١٩ .

(٣) فقه اللغة د / علي وافي ص٦٥ .

(٤) معجم البلدان ٣ / ٢٧٩ .

(٥) اللسان (د هـ ل) .

(٦) سر الصناعة ١ / ٢٠٣ .

(٧) اللسان (هـ ز ر ق) .

(٨) اللسان (أ ش ل) .

(٩) معجم البلدان ٤ / ٤٧، والدر المنثور ١ / ١٨٤ .

(١٠) البيان والتبيين ١ / ٥٢ .

ولا أدل على مخالفة لغتهم للغة العرب مما روى في الخبر من أن النبي ـ ﷺ ـ قال : " إذا تفيقهت الأنباط ونطقت بالعربية وتعلمت القرآن فالهرب الهرب منهم فإنهم أكلة الربا ومعدن الشر وأهل الغش " . (١)

وعلى هذا فلهجة الأزد هي الأصل، ولهجة أهل الحجاز أو الفصحى متطورة عنها ولهجة ربيعة متطورة عن لهجة أهل الحجاز .

٥ ـ الوقف على المقصور غير المنون بإبدال ألفه ياءا :

للعرب في الوقف على المقصور غير المنون أربع لهجات هي : الوقف بالألف، وبإبدال ألفه واوا تارة، وياءا تارة ثانية، وهمزة تارة ثالثة . وقد نسبت الثلاثة الأخيرة إلى بعض طيئ أو بطون من طيء . (٢)

والذي يعنينا ـ هنا ـ هو إبدال ألف المقصور ياءا عند طيء، وفزارة وناس من قيس. (٣) . وهو في الأصل ظاهرة صفوية قديمة، إذ يرى ليتمان أن الصفويين لم يكونوا ينطقون بنهاية هذه الأفعال مثل (بكى، و نجى، و أتى، و رعى، و بنى) ألفا ممدودة كما تقول في بكا وأتا وذلك على نمط ما نفعل في عربيتنا، وإنما كانوا ينطقون بها ياءا على هذه الصورة فيقولون : بكى، ورعى، وأتى، ودلل ليتمان على رأيه : أنهم لو كانوا ينطقون بهذا الحرف ألفا لأسقطوه من الكتابة، ولما أثبتوا الياء ولقالوا : آت لأتى، ورع لرعى ؛ لأن من عادة الصفويين إسقاط الألف الممدودة (آ) من نهاية الكلمات، ولقد توصل ليتمان إلى رأيه هذا من المقابلة بين هذه النصوص وبين النصوص اليونانية المقابلة لها، وهذا يشير إلى أن اللهجات العربية تشتمل على عناصر قديمة مغرقة في القدم حفظها لنا التاريخ وسجلها . (٤)

---

(١) محاضرات الأدباء ١ / ٤٢٥ .

(٢) انظر تفصيل ذلك (الظواهر اللغوية في معاني القراءات ٤٥٦ ـ ٤٥٨) .

(٣) الكتاب ٤ / ١٨١ .

(٤) اللهجات العربية في التراث ٤٩٩ بتصرف .

واللهجة الصفوية ترجع إلى اللغة العربية القديمة التي كانت موجودة قبل العصر الجاهلي والتي لا نعرف عنها شيئا إلا بعض النقوش التي عثر عليها في شمالي الجزيرة العربية، وقد اكتشفت هذه النقوش في المنطقة الواقعة بين جبل الدروز وتلال أرض الصفاة، وقد جمع المستشرق الألماني إنوليتمان (Enno Littmann) أكثر من ١٤٠٠ نقش منها ودرسها درسا عميقا، استطاع من خلاله أن يحل حروف الأبجدية الصفوية، وألف فيها كتابا سنة ١٩٠١م . وتشبه خطوطها خطوط اللغة العربية الجنوبية القديمة أو الحميرية . وهي مركبة من ثمانية وعشرين حرفا كما هي في العربية وكاتبوها كانوا من العرب، ليس بينهم وبين قبائل العرب في الجزيرة فروق كبيرة، وقد وجد في كتاباتهم ألفاظ تدل على حياتهم الصحراوية، ففيها ذكر للغنائم والغزو .[١]

وعلى كل فالوقف بالألف على المقصور غير المنون هو الصورة الحضرية التي تكلمت بها قريش، وارتضتها اللغة النموذجية التي نزل بها القرآن الكريم والذي دل على هذا هو : " أن الإطلاع على اللغات السامية من جانب، وتحكيم القوانين الصوتية من جانب آخر يدلان على أن مثل (حبلى وأفعى) بالياء أسبق في سلسلة التطور اللغوي من (أفعى وحبلى) بالألف ... وقد بقيت هذه المرحلة عند قبيلة طيئ " .[٢]

٦ ــ حذف الواو والاكتفاء بالضمة قبلها :

قال ابن يعيش : " بعض العرب يجتزئ بالضمة عن الواو فيقول في قاموا : قام "[٣] ولهذه اللهجة نماذج عدة منها قول الشاعر :

فلو أن الأطبا كانُ حولى .·. وكان مع الأطبا الأساة[٤]

ج

(١) فصول في فقه العربية ٥٠ ــ ٥٣ بتصرف .

(٢) بحوث ومقالات في اللغة ٢٤٤ ــ ٢٤٥ بتصرف .

(٣) شرح المفصل ٧ / ٥ .

(٤) السابق نفسه .

يريد : (كانوا) فحذف واو الجمع . ومنها قول ابن مقبل :

طافت بأعلاقه خود يمانيةج ∴ تدعو العرانين من بكر وما جمع[1]

يريد : (جمعوا) فحذف الواو .

وعليها جاء قوله تعالى : ﴿ سندع الزبانية ﴾ [2] وبها قرئ : ﴿ قد أفلحُ المؤمنون ﴾[3] بضم الحاء .

وقد نسب سيبويه هذه اللهجة إلى كثير من قيس وأسد [4]، وعزاها الفراء إلى هوازن وقيس [5]، وهوازن من قيس وهي من القبائل الضخمة التي سكنت في مواضع متعددة من نجد.

والحق أنها ظاهرة سامية عامة وجدت في الحبشية والعبرية والآرامية [6] ومازالت لها بقايا في لهجاتنا الحديثة مثل : الضيوف كان هنا وخرج " . [7]

ثانيا : في الأدوات والضمائر :

١ ـ الضمير (أنا) :

اختلف البصريون والكوفيون في تركيب هذا الضمير (أنا) فيرى البصريون أن الألف فيه زائدة وقد أتى بها في الوقف خاصة لبيان الحركة، والضمير حينئذ عندهم هو مكون من الهمزة والنون . أما الكوفيون فيرون أن الألف الأخيرة من نفس الكلمة وليست الزائدة فالضمير عندهم يتكون من الهمزة والنون الألف . [8]

---

(١) الكتاب ٤ / ٢١٢ .

(٢) سورة العلق آية (١٧) .

(٣) سورة المؤمنون آية (١) .

(٤) الكتاب ٤ / ٢١٢ .

(٥) معاني القرآن ١ / ٩١ .

(٦) اللهجات العربية في التراث ٦٨٨، ٦٨٩.

(٧) السابق نفسه .

(٨) الهمع ١ / ٢٣٥، ٢٣٧ .

كذا اختلفت اللهجات العربية في استعمال هذا الضمير ونطقه وصلا ووقفا فجاء فيه خمس لهجات فصحاهن : إثبات ألفه وقفا وحذفها وصلا وعزاها السيوطي إلى أهل الحجاز. [1]

والثانية : إثبات الألف وصلا ووقفا وقد نسبت إلى تميم [2]، وعزاها أبو جعفر النحاس نقلا عن الفراء إلى بعض قيس وربيعة [3]، وبها قرأ نافع : ﴿ أنا أحيي وأميت ﴾ [4] وكما جاء في الشعر العربي مثل قول الشاعر :

أنا سيف العشيرة فاعرفوني ج ∴ حميدا قد تذريت السناما[5]

الثالثة : إبدال ألفه الأخيرة هاءا عند الوقف وهي لهجة طيئ، وعليها قول حاتم الطائي: "هذا فصدى أنه " . [6]

الرابعة : تقديم الألف الأخيرة على العين فتصير (آن) وعليها قول عدي :

ياليت شعري آن ذو عجة ج ∴ متى أرى شربا حوالي أصيص

وعدي من عاملة، وعاملة من قضاعة، ولهذا يقال إنها لهجة قضاعة . [7]

الخامسة : قلب همزة الضمير هاءا يقولون في أنا : هنا . [8]

وإذا نظرنا إلى هذا الضمير في اللغات السامية نجده يتكون من الهمزة والنون والألف . ففي السريانية نجد أن الألف الأخيرة جزء من ضمير المتكلم (أنا) ويرسم هكذا (أنا) [9] .

---

(١) الهمع ١ / ٢٣٦ .

(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٩٩، وشرح الأشموني ١ / ١١٤، والهمع ١ / ٢٣٦ .

(٣) إعراب القرآن ٢ / ١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٨ .

(٤) البقرة من الآية ٢٥٨ .

(٥) البيت بدون نسبة في اللسان (أ ن ن) وخير الكلام في النقصى عن أغلاط العوام ص٢١، وخزانة الأدب ٥/٢٣٨، ونسبة الزمخشري في أساس البلاغة إلى حميد (ذرى)، كذا عزاه الزبيدي إلى حميد بن مجدل في التاج (أن) .

(٦) الهمع ١ / ٢٣٦، واللهجات العربية في التراث ٥٠٥ .

(٧) إعراب القرآن ٢ / ١١٦، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٨، واللهجات في التراث ٥٠٦ .

(٨) اللهجات العربية في التراث ٥٠٦ .

(٩) في قواعد الساميات ١٢٩ .

وينطق ena [1]، وفي الحبشة يرسم هكذا ( ) [2] وينطق (ana) . [3]

وفي جدول د / إسرائيل ولفنسون ما يدل على أن الضمير (أنا) في اللغات السامية هـــو (الهمزة والنون والألف) وما يقابلها من واو أو ياء ففي الحبشية (ana)، وفي الآرامية (eno) وفي الـــسبئية والمعينيـــة (ana)، وفي العبريـــة (anohi , ani) وفي البابليـــة والأشـــورية (Anaku). [4]

كذا في النقوش العربية القديمة كان يكتب بألف لينة بعد النون تبعا لنطقه، كما يـــشاهد ذلك في نقـــش (حران اللجا) وهو فيه : " أنا شراحيل برْ ظلمو .... " فكل هذا يشير إلى أصالة المد في (أنا) في حالتي الوصل و الوقف، وذلك رأي الكوفيين . [5]

ومن هذا يتبين لنا اتفاق لهجة تميم وربيعة وقيس مع معظم اللغات السامية، مما يجعلنا نميل إلى أنها القدمى وأن التطور أصاب اللهجة الحجازية بتقصير بنيتها حالة الوصل .

ولهذا الأصل القديم نظير في اللهجات العربية الحديثة إذ تثبت ألف (أنـــا) في الوصـــل والوقف في سوريا، ولكن بتفخيم النون، وهذا التفخيم من آثار اللغة السريانية في ســـوريا، كمـــا توجد في مراكش بالمغرب . [6]

٢ ــ أداة التعـــريف :

تكاد تختص العربية من بين اللغات السامية بتعريفها الأسماء عن طريق إدخال الألف واللام في أولها . يقول أبو حاتم الرازي : " قال أبو عبيد القاسم بن سلام : للعرب في كلامهم علامات، لا يشركهم فيها أحد من الأمم نعلمه ؛ منها : إدخال الألف واللام في أول الاسم وإلزامهم إيـــاه

---

(١) مدخل نحو اللغات السامية المقارن ١٧٢ .

(٢) في قواعد الساميات ٢٣٦ .

(٣) مدخل نحو اللغات السامية المقارن ١٧٢ .

(٤) تاريخ اللغات السامية ص٩ .

(٥) اللهجات العربية في التراث ٥٠٥ .

(٦) السابق ٥٠٧ .

الإعراب في كل وجه، في الرفع والنصب والخفض، كما أدخلوا في (الطور) وحذفوا الألف التي في الآخر، فألزموه الإعراب في كل وجه وهو بالسريانية (طورا) على حال واحد، في الرفع والنصب والخفض . وكذلك (اليم) هو بالسريانية (يما) فأدخلت العرب فيه الألف واللام وصرفته في جميع الإعراب " . [1]

ومما يدل على خصوصية أداة التعريف (أل) بالعربية أننا نجد أخواتها الساميات يستخدمن أدوات أخرى، فأداة التعريف في السبئية حرف (ن) في آخر الكلمة [2]، وفي العبرية وبعض اللهجات العربية البائدة حرف (هـ) في أول الكلمة هكذا ( ) مشكلة بالفتحة القصيرة مع تشديد الحرف الأول من الكلمة مثل : = ملك تصير : = الملك .

إلا إذا كانت الكلمة مبدوءة بحرف من حروف الحلق أو راء ( ) ففي هذه الحالة لا يشدد أول الكلمة . [3]

وأصل الأداة هو ( ) أي هل قياسا على أل في العربية، ويبدو أن كثرة استخدامها هي التي أدت إلى تسهيل الهمزة في حالة الوصل وتميل اللام إلى الإدغام في الحرف التالي إذا كان من الحروف الأسنانية أو اللثوية .... أما العبرية فإنها توسعت في إدغام اللام وأصبحت تدغمها مع جميع الحروف إلا حروف الحلق والراء . [4]

أما في السريانية فإن الاسم المعرف هو الذي يزاد في آخره ألف هكذا ( ) ؛ مثل: = الكتاب . [5] وأما الأشورية البابلية والحبشية فلا أداة للتعريف فيهما مطلقا [6] . وعلى هذا فإن الاختلاف في تعريف الاسم وتنكيره في اللغات السامية واضح بين إذ يختلف باختلاف هذه اللغات.

---

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية ١ / ٧٧ .

(٢) تاريخ اللغات السامية ص١٩ .

(٣) في قواعد الساميات ص ٣٠ .

(٤) أسس النحو العبري ص ٢٠ .

(٥) في قواعد الساميات ص ١٣٢ .

(٦) تاريخ اللغات السامية ص ١٩ .

لكن من اللهجات العربية من يأخذ في تعريف الاسم طريقا آخر غير ما ذكر فيبدل لام التعريف في العربية الفصحى ميما وتسمى هذه الظاهرة باسم (طمطمانية حمير) سواء كانت هذه اللام شمسية أو قمرية [1] كما في الحديث الشريف (ليس من امبر امصيام في امسفر) [2] وكما في كتابه ـ ﷺ ـ لوائل بن حجر : " ..... ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة ..... " . [3]

وقد نسبت هذه الظاهرة إلى حمير في أكثر مصادر اللغة [4]، ونسبها ثعلب إلى الأزد[5]، ونسبها إلى طيئ كل من ابن يعيش، وابن الحاجب، وابن هشام، والسيوطي، والأشموني[6]، ونسبها إلى أهل اليمن أو بعضهم كل من الأخفش، وابن يعيش وابن مالك، والعيني، وابن الأثير[7] ونسبها صاحب (المباني في نظم المعاني) إلى دوس . [8]

وكلها قبائل يمنية إذ كانت تسكن في جنوب اليمن ؛ لأن الأزد من قحطان، وطيئ كذلك وهي قبائل كانت تسكن جنوب اليمن، ودوس بطن من شنوءة من الأزد من القحطانية.[9]

ويذكر أحد الباحثين المحدثين أن هذه اللهجة من بقايا اللغة العربية الجنوبية (اليمنية) وهي وإن كانت من الفصيلة السامية التي تنتمي إليها العربية الشمالية إلا أنها تختلف عنها اختلافا كبيرا جعل اللغويين المشتغلين بعربية الشمال ذات الانتشار والسيطرة على عهدهم يرونها شاذة لا

---

(١) انظر توضيح ذلك في بحثنا (الفكر اللهجي عند المعري ص ٢١) .

(٢) الكفاية في علم الرواية ١ / ١٨٣ .

(٣) الفائق في غريب الحديث ١ / ١٤، والنهاية ٣ / ٤٢ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في الفكر اللهجي عند المعري ص ١١، ١٢ .

(٥) مجالس ثعلب ١ / ٥٨ .

(٦) شرح المفصل ١٠ / ٣٤، وشرح الشافية ٣ / ٢١٥، والمغنى ٧٠، والهمع ١ / ٣٠٨، وشرح الأشموني ٤/٢٣٧ .

(٧) معاني القرآن للأخفش ١ / ١٨٢، وشرح المفصل ٩ / ٤٩، والهمع١/ ٣٠٨،وشرح شواهد العيني ١ / ٩٦، والنهاية ٣ / ٤٢ .

(٨) مقدمتان في علوم القرآن ٢٢٢ .

(٩) اللهجات العربية في التراث ٣٩٩ .

يقاس عليها، والحق معهم . إذ كانتا لغتين مختلفتين وقديما قالوا : (ما لسان حمير بلساننا)، فهذه اللغة قد اتخذت أداة للتعريف وهي ليست بعيدة عن اللام أداة التعريف في عربية الشمال بل إنها تلتقي معها في صفات صوتية كثيرة حتى أمكن تعاقبهما في عربية الشمال وعربية الجنوب في أداة التعريف، بل تعاقبتا في لغة الشمال وبعض لهجاتها في كثير من الكلمات مثل : غرمة في غرلة ..... " .[1]

ولا تزال هذه الظاهرة ـ (إم) بدلا من (ال) في التعريف ـ مستعملة في كثير من مناطق اليمن وعلى وجه الخصوص في حاشد وارحب وبعض خولان وهمدان ورداع والحداء .[2]

وعلى هذا فللظاهرة جذور أو أصول قديمة تنتمي إلى العربية الجنوبية، وهي من الفصيلة السامية التي تنتمي إليها العربية الشمالية .

٣ ـ استعمال (ذو) اسما موصولا بمعنى الذي :

الأصل في (ذو) أن تكون اسما من الأسماء الستة، فترفع بالواو : هذا ذو مال وتنصب بالألف : رأيت ذا مال، وتجر بالياء : مررت بذي مال . وذلك بشروط معينة .[3]

لكن من العرب من يستعمل (ذو) اسما موصولا بمعنى (الذي) وقد نسب ذلك إلى طيئ [4]، وعزاه أحد الباحثين المحدثين إلى طيئ ومن جاورهم كبني أسد، ودلل على ذلك بنماذج كثيرة لشعراء من طيئ وأسد [5]، ولعله من تأثر بني أسد بطيئ بعد نزوح طيئ من بلاد اليمن إثر خراب سد مأرب ونزولهم ديار بني أسد وسيطرتهم على أجأ وسلمى ـ كما سبق ـ وأرجع ذلك إلى أصول سامية قديمة فذكر أن استعمال (ذو) اسما موصولا بمعنى الذي قد استعمل في اللغات السامية، هكذا وردت في لغة الشعر العبرية، وفي نقش النمارة وهو نقش عربي قديم، فهي إذن عند

---

(١) لهجات العرب وامتدادها إلى العصر الحاضر ٢٠٥ .

(٢) لهجات اليمن قديما وحديثا ص٢٠ .

(٣) انظر : المفصل ١ / ١٤٠ وما بعدها، وأوضح المسالك ١ / ٣٩ وما بعدها، والهمع ١٣٥/١ وما بعدها .

(٤) الأغاني ١٧ / ٣٧٢، شرح ديوان الحماسة ورقة رقم ٦٨، وتاج العروس (ذو) .

(٥) بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٢ .

إذن عند هذه الفرقة تمثل الظاهرة في صورتها القديمة، وعند ما عداها تعد تطورا لعب فيه القياس اللغوي دورا كبيراً " .[1]

ولعل أصل (ذو) الموصولة في اللهجات اليمنية القديمة هو (ذ) للمفرد والمثنى والجمع مثل : ذهر ضهمو : الذي أرضاهم، وذ بمريب : الذي بمأرب . والقتبانيون يتبعون الذال واوا فيقولون : ذوزخن : الذي حدث [2]، فلعل الطائيين قد أخذوا هذا الاستعمال من القتبانين . وعلى هذه اللهجة الطائية جاء قول أبي حاتم الطائي .

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ج ∴ بموت فكن يارهم ذو يتأخر[3]

وقول الآخر :

ذاك خليلي وذو يعاتبني ج ∴ يرمى ورائي بامسهم وامسلمة[4]

ويرى الخليل بن أحمد الفراهيدي أن أصل الذي هو (ذو) ثم أدخلت الألف واللام على (ذو) ويلزم الياء كما ألزمت الكسرة في هؤلاء في كل وجه، فإذا جمعوا زادوا على الذي نونا وجعلوه اسما بمنزلة اسمين ضم أحدهما إلى الآخر فألزمت الفتحة البيت هي أخف الحركات ولا يتغير الذين إلى غير النصب في جميع الحركات . وأما التثنية منه فإنه مصروف .... واستشهد عليها بقول حاتم السابق وبقول الشاعر :

إذا ما جنى لم يستشرني بذو جنى ج ∴ وليس يعريني الذي هو قارف

يعني بالذي جنى .[5]

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٢ ــ ٢٥٨ بتصرف .

(٢) لهجات اليمن قديما وحديثا ص١٩ .

(٣) عبث الوليد ١٢٦، والأغاني ١٧ / ٣٧٢، والعقد الفريد ٥ / ٣٦٨، وديوان أبي حاتم ص٣٧، وهو الصحيح لوجوده في الديوان خلافا لمن نسبه إلى الأقرع بن حابس (محاضرات الأدباء ٤٨٢/١، أو الأغر بن كاسر كما في (ديوان المعاني ٢ / ٢٢٣) .

(٤) البيت ل بجير بن عنمة الطائي أحد بني بولان في اللسان (س ل م)، والتاج (س ل م) و (ذو) .

(٥) الجمل في النحو ١٨٢، ١٨٣ بتصرف .

وعلى هذا فلهجة طيئ هي المحافظة على الأصل القديم، أما العربية الفصحى فمتطورة عنها .

ثالثا : في التراكيب :

١ ــ إلحاق الفعل علامة تثنية أو جمع إذا ثنى الفاعل أو جمع :

إذا كان الفاعل اسما ظاهرا مفردا جاء الفعل بصيغة الإفراد عند العرب جميعا [١] . أما إذا كان الفاعل اسما ظاهرا مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا فإن جمهور العرب يفردون الفعل فلا يلحقون به علامة تثنية أو جمع فتقول : قام أخواك، وقام إخوتك، وقام أختاك، وقام أخواتك، فحذفوا العلامة اكتفاء بما أظهروا " . [٢]

لكن من العرب من يلحق الفعل علامة تثنية أو جمع إذا كان الفاعل مثنى أو مجموعا . يقول سيبويه : " واعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك، وضربابي أخواك، فشبهوا هذه بالتاء التي يظهرونها في : قالت فلانة، فكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث، وهي قليلة " . [٣]

وقد نسبت هذه اللهجة إلى قبيلة بلحارث بن كعب [٤]، وهي من أشهر القبائل اليمنية، وأعظمها شأنا إبان ظهور الإسلام . كما نسبت إلى طيئ [٥]، وأزد شنوءة [٦]،وكلها قبائل يمنية . ولهذه اللهجة شواهد كثيرة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي . فمن القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ﴾[١]، وقوله : ﴿ ثم عموا وصموا

---

(١) الهمع ١ / ٥٧٨ .

(٢) شرح الأشموني ٢ / ٤٨ .

(٣) الكتاب ٢ / ٤٠ .

(٤) شرح النووي على صحيح بسلم ٥ / ١٣٣، وعمدة القارئ ٦ / ١٦٠، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٢/٣ .

(٥) البحر المحيط ٨ / ١٧٤، دره الغواص ٦٥، وأوضح المسالك ٩٨/٢، ومغنى اللبيب ١ / ٤٧٨، وتاج العروس (ع م د) .

(٦) البحر المحيط ٦ / ٢٧٥، وشرح الأشموني ٢ / ٤٨، وروح المعاني ١٧ / ٧ .

﴾[1]، وقوله : ﴿ ثم عموا وصموا كثيرمنهم ﴾[2] .

ومن الحديث الشريف قوله ـ ﷺ ـ : " يعتزلن الحيض المصلى"[3]، وقوله ـ ﷺ ـ : " ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله تبارك وتعالى فتمسه النار ".[4] وقوله ـ ﷺ ـ : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .... " .[5]

ومن الشعر قول عمرو بن ملقط الطائي الجاهلي :

ألفيتا عيناك عند القفا ج ∴ أولى فأولى لك ذا واقية[6]

وقول أحيحه بن الجلاح :

يلومونني في اشتراء النخيل ج ∴ قومي وكلهم يعذل[7]

وقول ابن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه ج ∴ وقد أسلماه مبعد وحميم[8]

ولهذه الظاهرة نماذج أخرى كثيرة مما يدل على عدم قلتها كما ذكر سيبويه الذي سماها بلغة " أكلوني البراغيث "[9] . فهي لهجة أو لغة فاشية وحسنة كما ذكر بعضهم .[10]

وبالنظر في اللغات السامية ندرك أن هذه اللهجة لها أصول سامية قديمة تدل عليها . فمقارنة اللغات السامية أخوات العربية تؤدي إلى معرفة أن الأصل في تلك اللغات، أن يلحق الفعل علامة التثنية والجمع للفاعل المثنى والمجموع، كما تلحقه علامة التأنيث عندما يكون

---

(١) سورة المائدة من الآية (٧١) .

(٢) سورة الأنبياء من الآية (٣) .

(٣) عمدة القارئ ٣ / ٣٠٤ .

(٤) الأربعين في الجهاد ١ / ٤٦ .

(٥) صحيح البخاري حديث رقم ٥٣٠ باب قوله تعالى تعرج الملائكة والروح ١ / ٢٠٣ .

(٦) نسب إلى عمرو بن ملقط الطائي في خزانة الأدب ٩ / ٢١ .

(٧) محاضرات الأدباء ٢ / ٦١٦ .

(٨) شرح شواهد المغنى ٢٦٦ .

(٩) الكتاب ١ / ١٩، ٢٠ .

(١٠) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٦٩، والبحر المحيط ٦ / ٢٧٥، وعمدة القارئ ٥ / ٤٤ .

الفاعل مؤنثا سواء بسواء . إذ هي موجودة في اللغات العبرية، والآرامية، والحبشية، وقد ذكر د/ رمضان عبد التواب نماذج من هذه اللغات الثلاث تبرهن على وجودها فيها وترجمها ترجمة حرفية تثبت ذلك وتؤكده .[1]

فالعربية الفصحى إذن متطورة عن هذه اللهجة السامية الأصل، إذ تخلصت من هذه الظاهرة رويدا رويدا، غير أن بقاياها ظلت حية عند بعض القبائل العربية القديمة، كما بقيت بعض أمثلتها في الفصحى وهو ما نسمية بالركام اللغوي .... كما بقيت هذه الظاهرة شائعة في كثير من اللهجات العربية الحديثة كقولنا مثلا في لغة الخطاب في مصر : " ظلموني الناس " و"زارونا الجيران"...[2]

٢ ــ إعراب المثنى :

الأصل أو المشهور في العربية الفصحى في إعراب المثنى وما ألحق به أن يرفع بالألف، وينصب ويجر بالياء .[3]

لكن من العرب من يلزم المثنى وما جرى مجراه الألف مطلقا، رفعا ونصبا وجرا ــ ليطرد الباب على وتيرة واحدة فيقولون : ذهب المحمدان، ورأيت المحمدان، ونظرت إلى المحمدان.

وقد نسبت هذه اللهجة إلى بني الحارث بن كعب وحدها في أكثر مصادر اللغة[4] . ونسبها الإمام السخاوي إلى بني الحارث وكنانة وخثعم وهمدان وبني العنبر وبني الهجيم وبني زبيد.[5] وأضاف السيوطي على هذه القبائل بطونا من ربيعة وبكر بن وائل وفزارة وعذرة .[6]

---

(١) بحوث ومقالات في اللغة ص٦٩ .

(٢) السابق ص ٧٠ .

(٣) شرح ابن عقيل ١ / ٥٥، ٥٦ .

(٤) الجمل في النحو ١٥٧، النوادر في اللغة ٥٨، معاني القرآن للفراء ١٨٣/٢، وليس في كلام العرب ٣٣٤ والصاحبي ٢٩، والخزانة ٧ / ٤٥٢ .

(٥) المفضل في شرح المفصل ١ / ١١٤، وفتح الوصيد في شرح القصيد لوحة رقم ١٤٦، ١٤٧ .

(٦) همع الهوامع ١ / ١٤٥ .

فالظاهرة إذن كانت منتشرة بين قبائل عدة أشهرها : بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وهمدان ومراد وعذرة وهي قبائل يمنية غربية . ولعلها انتقلت إلى القبائل الأخرى كربيعة وبكر ابن وائل وهم من ربيعة وبلعنبر وبني الهجيم وهما بطنان من تميم، وكلها قبائل بدوية تقوم حياتها على التنقل والارتحال من مكان إلى آخر لتبادل المنافع والتجارة، والحروب أو شن الغارات، والهجرات ... إلخ كما سبق مما يتيح لكل منها أن يتأثر بالآخر ويؤثر فيه خاصة إذا علمنا أن العرب يذهبون إلى بلاد اليمن للتجارة وتبادل المنافع .

وقد وردت هذه اللهجة في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر العربي . فمن القرآن الكريم : ﴿ إن هذان لساحران ﴾[1]، وقراءة أبي سعيد الخدري والجحدري: ﴿ فكان أبواه مؤمنان ﴾[2] . ومن الحديث الشريف قوله ـ ﷺ ـ : " لا وتران في ليلة "[3] . وقوله ـ ﷺ ـ :" إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجرا فإنهما ميسر العجم ".[4]

ومن الشعر العربي قول الشاعر :

إن أباها وأبا أباهاج ∴ قد بلغا في المجد غايتاها

وقول الآخر :

أعرف منها الجيد والعينانا ج ∴ ومنخرين أشبها ظبيانا[5]

وقد جمع بين اللغتين (العينانا، ومنخرين) .

ولعل هذه اللهجة هي الأصل القديم، والفصحى متطورة عنها يقول أستاذنا الدكتور عبد الفتاح البركاوي (رحمه الله) : " إن بني الحارث قوم من اليمن، ولغتهم التي يتحدثون بها قبل ذلك

---

(١) سورة طه من الآية (٦٣) .

(٢) سورة الكهف من الآية (٨٠) وانظر البحر المحيط ٦ / ١٤٦ .

(٣) فتح الباري ٢ / ٤٨١، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ / ٢٣ .

(٤) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث ١ / ١٢٧، وكنز العمال ١٥ / ٩٤ .

(٥) البيت لرجل من بني ضبة جاهلي في التفسير الكبير ٢٢ / ١٦ .

العربية الجنوبية التي فقدت ظاهرة الإعراب، وإلزامهم المثنى حالة واحدة إنما هو لون من ألوان تأثرهم بلغتهم الأصلية " .[1]

وبالنظر في اللغات السامية نجد أنها تلزم المثنى حالة واحدة فقط ففي العبرية لا توجد التثنية في الصفات والأفعال أو الضمائر، ونهاية التثنية التي تدخل على الاسم فقط بالنسبة للمذكر وللمؤنث هي ( ) ـــ أي الفتحة القصيرة ( ) والكسرة الطويلة الصريحة ( ) واسمها فيها حيرق جادول، والميم ( ) ـــ وتضاف إلى الاسم المفرد لتثنيته مثل : ( ) يد، والتثنية ( ) يدان . و ( )يوم .وفي التثنية ( ) يومان.[2]

أما الأكادية فقد كانت تميز بين المثنى المرفوع وعلامته آن (an)، والمجرور والمنصوب وعلامته (en) أو (in)، إلا أن هذا التمييز قد اختفى بالتدريج وتغلبت (in / en) في الأكدية المتوسطة على الألف والنون [3]، فصار المثنى على إعراب واحد في جميع الحالات فيها.

وله في الأثيوبية ـــ (أي الحبشية) ـــ علامة واحدة هي (أي ay) التي تصير (e) مثل (kale) أي اثنان .[4]

وأجاز أبو الحسن الأخفش أن العرب قديما كانت تقول : مررت بأخويك وأخواك جميعا؛ إلا أن الياء كانت أقيس للفرق فكثر استعمالها، وأقام الآخرون على الألف " .[5]

وهذا ما أيده بعض علماء اللغة المحدثين إذ ذكر أحدهم أن الألف والنون علامة التثنية في أحوالها الثلاث كما دلت على ذلك لغة الجماعات التى أشارت إليها كتب النحو واللغة، ولعلى أستطيع أن أقول : أن الياء والنون علامة في التثنية لغة أيضا تمثل قبائل معينة وجهات معينة غير أنه

---

(١) الفصحى ولهجاتها ص١٨٢ .

(٢) أسس النحو العبري ٩، ٥٧ .

(٣) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ١٥٩ .

(٤) السابق ١٦٠ .

(٥) الخصائص ٢ / ١٧، ١٨ .

لم تنص المصادر على وجود شئ من هذه اللغة . إذن الياء والنون لغة كالألف والنون في المثنى، ويتبين صدق هذا من مقارنة اللغات السامية، فالياء والنون أو الميم علامة معروفة في جملة لغات منها أو قل لهجات سامية من هذه الأسرة الكبيرة اللغوية .....ومن هنا نستطيع أن نقرر أن المثنى بالياء لغة جماعة من الناس أو قل جهات إقليمية من جهات إقليمية من جهات العربية . ثم لما أن درجت العربية في طريقها التطوري وآن لها أن تنسجم في لغة هى لغة القرآن والحديث اختص الاستعمال المثنى بالألف لحال الرفع، والمثنى بالياء لحال النصب والجر [1].

وعلى هذا تكون لهجة بني الحارث بن كعب هى الأصل القديم الذى تطورت عنه الفصحى وهو الأرجح، خلافا لبعضهم إذ يرى الخليل بن أحمد أن لهجة بني الحارث بن كعب متطورة عن الفصحى فهم يقلبون الياء ألفا إذا كانت ساكنة بعد فتح يقولون في ييأس : ياءس كذا يقولون مررت بأخواك.[2] وأيده فى ذلك ما ذكره بعض المستشرقين من أن علامات التثنية في السامية الأم هي : في حالة الرفع : الألف، وفي حالتي الجر والنصب : " آى ay " ـــ أي الياء ـــ يتلو ذلك تنوين أو تمييم، أما ثبوته على حالة واحدة في الرفع والنصب والجر فهو مرحلة تالية .[3]

رابعا : في المفردات :

في البيئات العربية استخدمت ألفاظ بطرق مختلفة من حيث إحلال صوت فيها مكان آخر، وبالبحث فيها وجد أن أحدها يمثل النطق السامي القديم والآخر متطور عنها من ذلك لفظ (الثوم) بالثاء (والفوم) بالفاء وبالوجهين قرئ قوله تعالى : ﴿ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ﴾ [4] قرأ ابن مسعود : " وثومها " بالثاء . [5] وأكثر

(١) فقه اللغة المقارن د / إبراهيم السامرائي ٨٦ – ٨٩ بتصرف .

(٢) الخصائص ٢ / ١٧، ١٨.

(٣) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ١٥٨ .

(٤) سورة البقرة من الآية (٦١) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٢٥، وفتح القدير ١ / ٩١ .

العلماء على أنهما بمعنى واحد، وأن الثاء تبدل من الفاء كما قالوا : مغافير ومغاثير، وجدث وجدف للقبر . وبه قال الكسائي والنضر بن شميل، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

كانت منازلهم إذ ذاك ظاهرة ج ∴ فيها الفراديس والفومات والبصل

أي الثوم، وقال حسان :

وأنتم أناس لئام الأصول ج ∴ طعـــامكم الفـــوم والحوقـــل

يعني الثوم والبصل . [1]

وكون المراد بالفوم في الآية الكريمة هو الثوم أوفق لذكر العدس والبصل، خلافا لمن ذكر أنه الحنطة، أو الخبز، أو الحب . [2]

أما عن نسبة اللغتين فقد عزا كثير من العلماء النطق بالثاء في كثير من الكلمات إلى بني أسد، وتميم، وطيئ . [3]

وأما أي اللهجتين هي الأصل، فقد ذكر أحد الباحثين المحدثين أن الثاء أصل والفاء تطور عنها، وقد توصل إلى ذلك بمقارنة الصوتين في اللغات السامية . فذكر أن الشين العبرية تقابل تاءا في الآرامية، وتقابل ثاءا في العربية وتلك قاعدة مطردة في مقارنات أصوات اللغات السامية، فمثلا كلمة : (شور) في العبرية تقابل : تورا في الآرامية، وتقابل كلمة : ثور في العربية، وكذلك كلمة : شوم في العبرية هي : توما في الآرامية، وثوم في العربية، ومعنى هذا أن أصل هذه الكلمة (الفوم) في العربية بالثاء، وأما الفاء فهي تطور عنها . [4]

---

(١) فتح القدير ١ / ٩١، ٩٢ .

(٢) التفسير الكبير ٣ / ٩٣ .

(٣) الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١ / ١٨٦، ١٩٠، ١٩٤ .

(٤) فصول في فقه العربية ٤٧، وأم اللغات ص١٦ .

يقول جورجي زيدان مرجحا وجود مثل هذا الإبدال بين اللغات السامية : " أما الأدلة على قابلية الحروف للإبدال فكثيرة، منها ما قد طرأ على اللغات السامية بعد تفرقها لأنه من المقرر أنها ـــ أي العربية والعبرانية والسريانية ـــ كانت لغة واحدة تتكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد، وأنها بعد أن قدر للناطقين بها بالفراق أخذت تتنوع تبعا لمقتضيات أحوال كل فريق منهم، فوصلت إلينا على ما نشاهده . وأن من الألفاظ فيها جميعا ما كان من أصل واحد، فالثاء العربية يكون مكانها شين في العبرانية، وتاء في السريانية، والذال في العربية تقابلها الزاى في العبرانية، والدال في السريانية ذكر وزكر ودكر . والألف في العربية والسريانية هي هاء في العبرانية مطلقا، والسين العربية شين في أختيها، والغين العربية عين فيهما والخاء العربية حاء فيهما . وهذه التغيرات تحدث في اللغات السامية بغير استثناء بحيث يكاد المتكلم بإحداها يفهم ألفاظ الأخرى فهما تاما بشرط اطلاعه على ناموس هذا التغيير . [1]

ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الثاء هي الأصل والفاء تطور عنها قول الفراء عن لفظ الثوم بالثاء : " هي لغة قديمة " . [2]

وعلى هذا فالبيئات البدوية كتميم وطيئ وبني أسد قد حافظت على النطق القديم.

ومن ذلك أن معظم الكلمات الدالة على مظاهر الحياة الحضرية ما إليها من الأمور التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية الأولى، ومعظم الكلمات المتعلقة بمنتجات الصناعة وشئون التفكير الفلسفي والمتصلة بما وراء الطبيعة .... قد انتقلت إلى العربية من الآرامية مثل (شيطان ـــ سكين ـــ سارية .... " . [3]

ومن المفردات التي بقيت عند بعض القبائل في لهجاتها الأولى : المدية وهي السكين عند دوس من الأزد، والغبيط وهو مركب للنساء في لغة طيئ و ذو بمعنى الذي في لغة طيئ، ووثب

(١) الفلسفة اللغوية ٦١، ٦٢ بتصرف .

(٢) زاد المسير ١ / ٨٨، والجامع لأحكام القرآن ١ / ٤٢٦، وجامع البيان ١ / ٣١٢ .

(٣) فقه اللغة د / والي ١٢٧، ١٢٨ .

بمعنى جلس في لغة حمير، والخندع بمعنى الضفدع في بعض اللهجات، والزلقوم وهو الحلقوم في بعض اللغات، والصفصف أي العصفور في بعض اللغات ..... (١)

وبمراجعة ما سبق في هذا المبحث نلاحظ أمرين مهمين هما :

أولاً : أن الظاهرة اللغوية، عندما تتطور لا تموت ولا تندثر تماما وإنما تبقى منها بقايا تدل عليها . وفي ذلك يقول فندريس : " التغيير لا يكون تاما إطلاقا، فكثيراً ما تبقى الصيغ القديمة إلى جانب الصيغ المستحدثة، حتى لنلاحظ في النظام العام للغات التي لها تاريخ طويل والتي عانت تطورا ضخما، كالفرنسية أو الإنجليزية، مزيجا من النظم التي تضم حالات مختلفة"(٢)

فللغة السامية الأم بقايا مازالت مستعملة حتى عصر تدوين اللغة، بل حتى الآن في بعض البيئات العربية والتي قد استطاعت عن طريق عوامل عدة سنبينها إن شال الله تعالى الحفاظ عليها.

ثانياً : أن القبائل العربية التي عاشت في بلاد اليمن أو على مقربة منه أو البيئات البدوية المتصلة بها ــ كطيئ والأزد وخثعم وزبيد وبني الحارث بن كعب وهمدان ومراد وعذرة وكلها قبائل يمنية الأصل، وتميم، وأسد، وقيس وربيعة أو بعض بطونها كبكر بن وائل ــ وهي قبائل بدوية في شرق الجزيرة ــ هي أكثر البيئات العربية احتفاظا بالأصل السامي القديم فيما ذكر من نماذج أو ظواهر لغوية . لذا كان قول د / أنيس : " أن لهجة البدو بوجه عام كانت أسرع إلى التطور والتغير، وأن لهجات البيئة الحجازية قد حافظت في مجموعها على خصائص قديمة تنتمي إلى السامية الأولى " (٣) . قول فيه نظر .

وإنما كانت القبائل العربية اليمنية ــ وهي قبائل بدوية وقد انتقل بعضها إلى شرق الجزيرة العربية وأقام بها بعد انهيار سد مأرب ــ أكثر البيئات العربية احتفاظا بالأصل السامي فيما ذكر من نماذج أو ظواهر لغوية ؛ لأن بلاد اليمن ــ والحجاز ونجد ــ من أقدم مواطن الساميين، كما ذكر بعض المستشرقين أمثال : رينان الفرنسي، وبروكلمان الألماني، وهو أصح الآراء وأقواها سندا

---

(١) السابق ١٢٦، ١٢٧، واللسان والتاج (ز ل ق م، و ص ف ص ف) .

(٢) اللغة ٤٢٣ .

(٣) في اللهجات العربية ص٩٠ .

وأكثرها اتفاقا مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ [١] . وقد أنشأ الساميون فيها حضارة من أرقى الحضارات القديمة، وممالك قوية كان لها شأن كبير في التاريخ، كما أن اللغات القديمة لهذه الشعوب السامية قد وصلت عن طريق نقوش كثيرة مدونة على الصخور والأعمدة والقبور والتماثيل والنقود وجدران الهياكل والمذابح .... وما إلى ذلك، ومعظم هذه النقوش عثر عليها في بلاد اليمن نفسها وفي الواحات الواقعة شمال بلاد الحجاز في منطقة العلا، وبعضها عثر عليها في المناطق الشمالية لبلاد كنعان . وقد أطلق العلماء على هذه اللغات اسم اليمنية القديمة أو العربية الجنوبية القديمة أو القحطانية أو الحميرية .... إلخ . [٢]

أيضا أن اللهجات العربية الشمالية وإن تأثرت باللغات السامية المجاورة لها ــ كالآرامية والعبرية نتيجة اتصالهم بهم في الغزو والتجارة وتبادل الغلات والمرافق وامتزاج قبائل جمة آرامية وعبرية بالعرب في الجزيرة العربية أو على تخومها [٣] ــ إلا أن اتصال العرب باليمن كان أكثر من اتصالهم بغيرهم من الأمم السامية إذ كانوا خاضعين لنفوذه الروحاني برهة طويلة من التاريخ[٤] . واتصال اليمن بالساميين الآخرين أكثر من اتصال العرب بهم، إذ إليهم يرجع نشر اللسان السامي في بلاد الحبشة [٥]، لذا كانت صلة القرابة بين اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية أقوى كثيرا من صلة القرابة بين كل منهما واللغة العربية [٦] . ومسافة الخلف بين الشعبة السامية الشمالية من جهة وتشمل الأكادية والكنعانية والآرامية، وبين اللغات اليمنية والحبشية من جهة أخرى أضيق من مسافة الخلف بين هذه الشعبة (اليمنية والحبشية) واللغة العربية . [٧]

واتصال العرب باليمن كان نتيجة طبيعية نظراً لوجود علاقات ثقافية واقتصادية ودينية

---

(١) فقه اللغة د / علي وافي ص١١ .

(٢) السابق ص٧٢، ٧٣ .

(٣) تاريخ اللغات السامية ١٦٢ .

(٤) السابق ١٧١ .

(٥) فقه اللغة ــ د / وافي ٨٧ .

(٦) السابق ٧٤ .

(٧) السابق ٤٠، ٧٥ .

قوية بين الشعبين، فضلا عن هجرة كثير من القبائل اليمنية إلى بلاد العرب منذ عصور سحيقة في القدم وامتزاجهم بالعرب كل الامتزاج خاصة قبائل معين وخزاعة والأوس والخزرج، وهذا بالإضافة إلى الرحلات العربية إلى بلاد اليمن للتجارة وغيرها والتي لم يكد يخلو منها فصل من فصول السنة . (١)

لهذا كله كان اتصال العرب بأهل اليمن أكثر من اتصالهم بغيرهم من الأمم السامية واتصال أهل اليمن بغيرهم من الأمم السامية أكثر من اتصال العرب بهم، وهذا فيما يختص بالعربية الباقية . خلافا للهجات العربية البائدة أو عربية النقوش فإنها كانت تمتاز عن العربية الباقية بشدة تأثرها باللغة الآرامية، وتختلف عنها اختلافاً غير يسير في كثير من مظاهر الصوت والمفردات والدلالة والقواعد . وإن كانت تتفق مع العربية الباقية في كثير من هذه المظاهر خاصة الأصوات التي تمتاز بها العربية الباقية عن سائر أخواتها السامية أو يكثر ورودها فيها دون غيرها كأصوات الذال والثاء والعين المعجمة والضاد، والإعراب، وإلحاق أصوات مد قصيرة بآخر الكلمة لبيان وظيفتها وعلاقتها ببقية عناصر الجملة، .... إلخ . (٢)

أما ما ذكر عن احتفاظ بعض البيئات البدوية القديمة ببعض الظواهر التي تنتمي إلى الأصل السامي القديم في الأصوات والأدوات والتراكيب والمفردات فلعل ذلك عندي يرجع إلى أسباب عدة أهمها ما يلي :

١. أن بعض هذه البيئات يرجع إلى أصل يمني ــ كما سبق ــ ثم انتقلت إلى شرق الجزيرة العربية ووسطها حيث توجد القبائل البدوية وأقامت فيها بعد خراب سد مأرب فحدث تأثر للبيئات البدوية بلهجة النازلين عليهم، وقد بينا صلة أهل اليمن بالساميين .

٢. من مظاهر خلود اللغة وبقائها أن تظل اللغة منعزلة عن حلبة الصراع اللغوي في منطقة

(١) السابق ١٢٨ .

(٢) السابق ٩٩ .

ضيقة أو رقعة جغرافية محدودة ومنعزلة [١] . فاستخدام اللغة من بعض القبائل البدوية في الصحراء قد حفظ عليهم صورة ما توارثوه من نطق اللغة لعزلتهم الاجتماعية [٢] . لذا يقول فندريس: " أصلح الأماكن للمحافظة على سلامة اللغة هي الأقاليم الجبلية وأطراف أشباه الجزر حيث يضؤل التأثير الخارجي . ومن ثم احتفظت البسكية بطابعها لانحصارها بين وديان البرينية، وكذلك البريتانية لتحصنها وراء المحيط " . [٣]

٣. أن عوامل التغير الاجتماعي في البيئات البدوية تكاد تكون نادرة بل منعدمة . وقد ذكرنا من قبل أن البيئات البدوية تعمل على الاحتفاظ بشخصيتها وكيانها، وتقاوم كل محاولة فردية للخروج على النظام اللغوي بها، ويرجع ذلك في حقيقته إلى الرغبة في التمسك بالقديم أو الاحتفاظ به والتعلق بأهدابه وذلك لأمور عدة منها :

- عقيدة راسخة أن القديم سهل ومتقبل، بينما الجديد يحتاج إلى جهد للاقتناع به خاصة عند كبار السن .
- الجهل والتخلف الثقافي وهذا من شأنه أن يزيد التعصب للقديم .
- وجود رواسب باقية في أشكال التقاليد والعادات، يطلق عليها اسم (الرواسب الاجتماعية) وهذه الرواسب تمثل نوعا من الركود الثقافي يصعب الخروج منه، وتظهر هذه الرواسب في صورة : شعائر دينية معينة، أو عادات تتصل بالأكل والشرب والأدوات المستعملة فيهما، أو عادات ترتبط ببعض العواطف النفسية وإشباع الانفعالات . [٤]

٤. أن المجتمعات المتحضرة تتغير بدرجة أسرع من المجتمعات البدوية . كما أن استجابة

---

(١) علم اللغة الاجتماعي د / السيد عفيفي ص١٢٦ .

(٢) المستوى اللغوي للفصحى واللهجات ص٤٩ .

(٣) اللغة ٤٢٨ .

(٤) علم الاجتماع ٥٧ ــ ٥٨ بتصرف .

البدوي لمختلف مظاهر التغيرات الحضارية بطيئة . ولعل هذا ناشئ من حرص البدوي على القديم وحنينه الدائب إلى الماضي وإلى كل ما تركه الآباء، فضلا عن تخوفه المستمر من المجهول وبما يأتي به الغد، ومن هنا كان حرصه على عدم المغامرة بما يعرفه في مقابل مالا يعرفه وإن كان في الأخير خيره ومصلحته كما سبق.

وليس معنى أن البيئات البدوية أو اليمنية قد احتفظت بظواهر كثيرة سامية الأصل، أن عربية الحجاز بعدت تماما عن الأصل السامي، أو أن ما عدا هذه الظواهر ليس ساميا في الأصل بل إن هذه الظواهر ـــ خاصة ـــ قد حدث فيها تطور لغوي في بعض البيئات العربية وقد أبعدها عن أصلها في السامية الأم، على حين احتفظ بعضها الآخر به كما كان من قبل .

والدليل على ذلك أن من الظواهر اللغوية ما احتفظت فيه البيئات الحضرية أو الحجازية بالأصل وذلك مثل : الفتح في البيئات الحضرية في مقابل الإمالة في البيئات البدوية، والفتح هو الأصل، ومثل : عدم إتباع الحركات بعضها لبعض في البيئات الحضرية، ومنها : عدم تأثر الصوت بما يجاوره لضرب من المشاكلة أو المجانسة في السياق اللغوي .

ومنها عدم الإدغام . إذ ليس في اللغات السامية أثر لإدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين كما هي الحال في غير اللغات السامية، وهذا هو سبب ظهور الإعراب في اللغة العربية، وهناك شيء من بقايا الإعراب في أغلب اللغات السامية .... [1]

فمن خصائص اللغة الحجازية فك الإدغام في الأفعال المضارعة المجزومة بالسكون، والأمر المأخوذ منها . وقد جرى القرآن الكريم على لغتهم، إلا في أمثلة قليلة جاءت بالإدغام على لغة بني تميم . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه ﴾ [2]، وقوله : ﴿ فليملل وليه بالعدل ﴾

(١) تاريخ اللغات السامية ص١٥ .

(٢) البقرة من الآية (٢١٧) .

[1] وقوله : ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [2] وغير ذلك كثير . [3]

ومن ذلك أيضا : حركة هاء الضمير الغائب للمفرد المذكر أو الجمع إذ ينطقه أهل الحجاز بالضم على الأصل في جميع حالاته فيقولون : فيهو وهو وعليه وغيرهم يكسره إذا سبق بكسرة أو ياء فيقلب الضمة كسرة . يقول المبرد : " فأما أهل الحجاز خاصة فعلى الأمر الأول فيها، يقرءون: فخسفنا بهو وبدارهو الأرض ... ومن لزم اللغة الحجازية قال : عليهُ مال " [4]، وعلى هذه اللغة قرأ حفص عن عاصم : ﴿ وما أنسانيهُ إلا الشيطان ﴾ [5] كذا قرأ : ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله﴾ [6] فالقبائل الحجازية حافظت على هذا الأصل في نطقها " . [7]

فالعربية جزأ من السامية الأم، بل هي أقرب اللغات إليها نظراً لموقعها الجغرافي الذي ساعد على تمتعها بالاستقلال ومن ثم نسبة احتكاكها وتأثرها بجاراتها ... ولذا احتفظت هذه اللغة بأكبر قدر من مقومات اللسان السامي الأول، وبقى فيها من تراث هذا اللسان ما تجردت منه أخواتها في النسب، بل إن القرآن الكريم قد وردت فيه ألفاظ عدة سامية الأصل مثل لفظ (الرقيم) في قوله تعالى : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ . [8]

و من ذلك ألفاظ : الطور، واليم، و الربانيون، و الربيون . فهى في نظر بعض المحدثين ألفاظ لها أصول سامية إذ وجدت في أغلب اللغات السامية، لكن الأقدمين وقفوا منها موقف الجاهل بالأصول فقالوا أقوالا لم تبن على علم ثابت إذ ذكروا أنها معربة من السريانية أو العبرية أو النبطية وما فطنوا أنها سامية الأصل ووجدت في أغلب اللغات السامية . [9]

---

(١) البقرة من الآية (٢٨٢) .

(٢) آل عمران من الآية (٣١) .

(٣) بحوث ومقالات في اللغة ٨٤، ٨٥ .

(٤) المقتضب ١ / ٣٧ .

(٥) الكهف من الآية (٦٣) .

(٦) الفتح من الآية (١٠) .

(٧) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ٣٤ .

(٨) سورة الكهف من الآية (٩).

(٩) فقه اللغة المقارن د/ إبراهيم السامرائي ١٧٦، ١٧٧.

ومن ثم فالعربية قد تفردت عن هذه الأخوات بخواص عديدة من أهمها :

١. اشتمالها على جميع الأصوات التي وردت في أخواتها الساميات وزادت عنها بأصوات لا وجود لها في واحدة منها مثل : الثاء، والذال، والظاء، والعين، والضاد .

٢. أنها أوسع أخواتها وأدقها في قواعد النحو والصرف .

٣. أنها أوسع أخواتها ثروة في أصول الكلمات والمفردات .

وعلى هذا تكون العربية هي أصفى اللغات السامية وأقربها إلى النبع السامي الأول.[١]

وعلى كل فاحتفاظ بعض البيئات العربية بظواهر سامية قديمة دون غيرها من البيئات الأخرى يرجع في معظمه إلى عوامل التطور والجمود في هذه البيئات ففي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغيره في كثير من الظواهر، وظروف أخرى تعمل استقرار هذه الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغير أو تحور .[٢]

(١) أم اللغات ١٨، ١٩ .

(٢) انظر تفصيل ذلك في اللهجات العربية ٨٦ ــ ٩٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،

فبعون الله وتوفيقه قد انتهت هذه الدراسة بنتائج عدة يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

١. تضافر جهود اللغويين وعلماء الاجتماع في الكشف عن مدى تأثير المجتمع في اللغة أو تأثره بها . وإن كان لكل فريق نوع من الاهتمام خاص . فاللغويون ينظرون في الظواهر اللغوية في إطارها الاجتماعي ، والاجتماعيون يركزون على النظر في الظروف والعوامل الاجتماعية ومدى تأثيرها في اللغة .

٢. أن اللغة ترتبط بالمجتمع ارتباط وثيقا فترقى برقيه ، وتجمد بجموده ، وتنقرض بانقراضه ، وتنطبع بانطباعه ، وتنبع من قيمه وعاداته ومعتقداته ، وتحتفظ بشخصيتها وكيانها باستقلاله وانعزاله ، وتمتزج في غيرها باندماجه .

٣. أن دراسة اللهجات العربية على أساس البيئة ومكوناتها وما تتسم به من حضارة ونقدم، أو بداوة وتصحر ، لها نتائجها المثمرة في علم اللغة الحديث ؛ لأن لكلا المجتمعين : الحضري والبدوي ، خصائص وسمات معينة ، وملامح عامة تميزه عن غيره ، وكل ذلك يظهر بوضوح في أداة تعبيرهم وهي اللغة .

فاللغة إذن تتنوع بتنوع المجتمعات ، وما تنتظمه من عوامل اجتماعية وثقافية ، ومنها : الحكم والدين والزمان ، والمكان ، وهي مرآة عاكسة لحياة الناس وأنماط سلوكهم وأعرافهم وتقاليدهم ، وقديما قالوا : " إذا فتحت فاك عرفناك " أي أننا ندرك من أنت وما وضعك الاجتماعي وما نوع ثقافتك أو صنعتك أو حرفتك بمجرد أن تبدأ الكلام . (١)

(١) علم اللغة الاجتماعي د / بشر ١٣٦ .

٤. للحالة النفسية التي يكون عليها الشعب أثرها الواضح على نطق الألفاظ واختيار الكلمات ، وتطور اللغة في مدلولاتها وأساليبها .

٥. أن للعرب في نطقهم وأساليبهم وصوغهم الكلمات ، وتركيبهم الجمل والعبارات طرائق عدة تختلف باختلاف البيئة نفسها من خفة في النطق أو ثقل ، ومن تجريد للبنية أو إضافة لواصق أو لواحق إليها ، ومن سرعة في النطق أو تأن فيه ، ومن تحقيق للانسجام الصوتي في السياق اللغوي أو عدم مراعاة ذلك إلى غير ذلك من الأمور التي تختلف باختلاف البيئة بين بداوة وحضر .

٦. في كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغيره في كثير من الظواهر نتيجة التأثير والتأثر بين هذه البيئات لعامل من عوامل عدة أهمها : المجاورة والاختلاط ، وشن الحروب والغارات ، والهجرة أو الانتقال . كما أن فيها ظروفا أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر وتحصنها فلا يطرأ عليها تغير أو تحور خاصة إذا اتسمت بصفات معينة مميزة لهم .

٧. الظواهر اللغوية التي تتسم بها البيئات العربية لا تعرف الاطراد فهي ليست حتمية كقوانين الطبيعة وإنما يكتفي فيها بالحكم على الكثرة أو الأغلبية ، وما ذلك إلا لأن القبيلة قد تفارق عاداتها النطقية فتنطق عكس ما كان يبغي لها لعوامل عدة ذكرت في موطنها من البحث.

٨. لبعض البيئات العربية خاصية الاحتفاظ بالأصل السامي القديم في بعض الأصوات والأدوات والتراكيب والمفردات وذلك لما لها من علاقات قوية بجيرانها من الساميين كالقبائل العربية المنتمية إلى أصل يمني ، وبعض البيئات البدوية المتصلة بها .

وبعد فهذا عمل أبتغي به وجه الله تعالى ليكون لبنة من لبنات علم اللغة واللهجات ، فإن أكن وفقت فيه فبفضل من الله وعونه ـــ سبحانه وتعالى ـــ وإن كانت الأخرى فالله هو الكامل والنقص في الناس شامل فماذا يؤمل الآمل ؟

وصلى اللهم على سيدنا محمد في الأولين والآخرين إلى يوم الدين .

الباحث

مراجع البحث

- القرآن الكريم
- الإبدال ـــ أبو الطيب اللغوي ـــ تح / عز الدين التنوخي ـــ دمشق ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م . .
- إبراز المعاني من حرز الأماني فى القراءات السبع ـــ ابن شامة الدمشقي ـــ تح / إبراهيم عطوة ـــ مكتبة مصطفى البابي الحلبي .
- أبنية العربية في ضؤ علم التشكيل الصوتي – د / عبدالغفار هلال – دار الطباعة المحمدية – القاهرة ١٣٩٩/١٩٧٩
- اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر ـــ البنا الدمياطي ـــ تح / أنس مهرة ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- الإتقان فى علوم القرآن ـــ السيوطي ـــ تح / سعيد المندوب ـــ دار الفكر ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- الإحكام في أصول الأحكام ـــ علي بن حزم الأندلسي ـــ دار الحديث ـــ القاهرة ـــ ط أولى ١٤٠٤
- الأربعين في الجهاد والمجاهدين ـــ أبو الفرج المقرئ ـــ تح / بدر عبد الله البدر ـــ دار ابن حزم ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٣ .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ـــ أبو حيان الأندلسي ـــ تح د/ مصطفى النماس ـــ القاهرة ١٤٠٤هـ .
- أسرار النظام اللغوي عند مصطفى صادق الرافعي – د / حامد أمين شعبان – عالم الكتب – ١٩٧٩

- أسس النحو العبري ـ د / محمد سبعاوي ـ القاهرة ـ ١٩٩٠ .
- أسس علم اللغة – ماريوباى – تر د/ أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ط خامسة ١٤١٩هـ/١٩٩٨
- الاشتقاق ـ ابن دريد ـ تح/عبد السلام هارون- الخانجى – مصر.
- إصلاح المنطق ـ يعقوب بن السكيت ـ تح / أحمد محمد شاكر ، و/ عبدالسلام هارون ـ دار المعارف ـ القاهرة ط رابعة .
- أصوات اللغة ـ د / عبد الرحمن أيوب – مكتبة الشباب – القاهرة . .
- الأصوات اللغوية ـ د/ إبراهيم أنيس ـ الأنجلو المصرية ١٩٩٥م .
- الأصول فى النحو ـ أبو بكر بن السراج ـ تح د/ عبد الحسين الفتلى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط ثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- إعجاز القراءات القرآنية ـ صبري الأشوح ـ مكتبة وهبة ـ ط أولى ١٤١٩ / ١٩٩٨
- إعراب القرآن ـ أبو جعفر النحاس ـ تح د/ زهير غازي زاهد ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط ثالثة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي ـ أبو البقاء العكبري ـ تح د / عبد الحميد هنداوي ـ مؤسسة المختار ـ مصر ـ ط أولى ١٤٢٠ ـ ١٩٩٩.
- الأغانى – أبو الفرج الأصفهاني – تح / علي مهنا ، و سمير جابر – دار الفكر لبنان .
- أم اللغات (دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها) ـ سعيد أحمد بيومي ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ط أولى ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢م .
- الأمالي فى لغة العرب ـ أبو علي القالي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

- الإنباه على قبائل الرواة ـــ يوسف بن عبد الله القرطبي ـــ تح / إبراهيم الإنباري ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٠٥ ـــ ١٩٨٥ .
- الأنثروبولوجيا الاجتماعية والفكر الإسلامي – د/ زكى محمد إسماعيل– دار الزهـــراء – الرياض – ط ثانية ٢٠٠٢
- الأنثروبولوجيا في المجالين النظري والتطبيقي ـــ د / حسين عبد الحميد أحمد رشـــوان ـــ المكتب الجامعي الحديث ـــ الإسكندرية .
- الأنساب ـــ السمعاني ـــ تح / عبد الله عمر البارودي ـــ دار الفكر بـــيروت ـــ ط أولى ١٩٩٨.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ـــ ابن هشام الأنصاري ـــ تح / محمد محي الدين عبد الحميد ـــ دار الجميل ـــ بيروت ط خامسة ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .
- البحر المحيط ـــ أبو حيان الأندلسي ـــ تح الشيخ / عادل أحمد عبدالموجود وآخـــرين ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٢٢هـــ / ٢٠٠١م .
- بحو ث دلالية ـــ د / ممدوح إبراهيم محمود ـــ مصر ٢٠٠٥م .
- بحوث ومقالات فى اللغة ـــ د/ رمضان عبد التـــواب ـــ مكتبـــة الخـــانجي ـــ ط ثالثـــة ١٤١٥هـــ / ١٩٩٥م .
- البرهان في علوم القرآن ـــ الزركشي ـــ تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ دار المعرفة ـــ بيروت ـــ ١٩٩١م .
- بلاد العرب الأصفهاني ـــ تح / أحمد الجاسر ، د / صالح العلمي ـــ منشورات دار اليمامة ـــ الرياض ـــ ط أولى ١٣٨٨ .
- البناء الاجتماعي للمجتمعات البدوية ـــ د / صلاح مصطفى الفوال– دار الفكر العربي
- البيان والتبيين ـــ الجاحظ ـــ تح / فوزي عطوي ـــ دار صعب ـــ بيروت .

- تاج العروس من جواهر القاموس ـــ محمد مرتضى الزبيدي ـــ دار الفكر.
- تاريخ ابن خالدون – دار القلم – بيروت – ط خامسة –١٩٨٤
- تاريخ اللغات السامية ـــ د / إسرائيل ولفنـــسون ـــ دار القلـــم ـــ بـــيروت . ط أولى ١٩٨٠ .
- تاريخ اليعقوبي ـــ أحمد بن أبي يعقوب ... اليعقوبي ـــ دار صادر ـــ بيروت .
- التبيان في إعراب القرآن ـــ العكبري ـــ تح / علي محمد البجاوى ـــ ط/عيسى الحلبي
- التحديـــد فى الاتقـــان والتـــسديد فى صـــنعة التجويـــد ـــ أبـــو عمـــرو الـــداني ـــ تح د/ أحمد عبد التواب الفيومي ـــ مكتبة وهبة ـــ ط أولى ١٩٩٣م .
- التحضر دراسة اجتماعية (الكتاب الثاني : الأنماط والمشكلات) د / محمود الكردي دار المعارف ١٩٨٦م .
- التدوين في أخبار قزوين ـــ عبد الكريم بن محمد الرافعي القـــزويني ـــ تـــح / عزيـــز الله العطاري ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ١٩٨٧ .
- التسهيل لعلوم التنزيل ـــ محمد بن أحمد الغرناطي الكلبي ـــ دار الكتاب العربي لبنـــان ـــ ط رابعة ١٤٠٣هـــ / ١٩٨٣م .
- تصحيح الفصيح وشرحه ـــ ابن درستويه ـــ تح / محمد بدوي المختون ـــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـــ القاهرة ١٤١٩هـــ / ١٩٩٨م.
- التصريح بمضمون التوضيح ـــ الشيخ / خالد الأزهري ـــ دار إحياء الكتب العربية .
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ـــ د/ رمضان عبد التواب – الخانجى القـــاهرة – ١٤١٧هـــ/١٩٩٧م .
- التغير الاجتماعي (مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير) د/ فادية عمر الجولاني–المكتبة المصرية – الإسكندرية .

- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)– أبوالسعود محمد بن محمد العمادى – دار إحياء التراث العربى – بيروت .
- تفسير البغوي ـــ تح / خالد عبد الرحمن العك ـــ دار المعرفة ـــ بيروت
- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ـــ أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري ـــ تح الإمام / أبي محمد بن عاشور ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- التفسير الكبير ـــ الفخر الرازي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ـــ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- تهذيب الأسماء و اللغات – محيى الدين بن شرف النووي –تح / مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر – بيروت –ط أولى ١٩٩٤.
- تهذيب اللغة ـــ أبو منصور الأزهري ـــ تح / محمد عوض مرعب ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت ـــ ط أولى ٢٠٠١م .
- الثقات ـــ محمد بن حبان البستي ـــ تح / السيد شرف الدين أحمد ـــ دار الفكر ـــ ط أولى ١٣٩٥ / ١٩٧٥ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـــ أبو جعفر بن جرير الطبرى ـــ دار الفكر ـــ بيروت ـــ ١٤٠٥هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ـــ القرطبي ـــ دار الشعب ـــ القاهرة .
- الجانب الصوتي للوقف فى العربية ولهجاتها ـــ د/ أحمد طه سلطان ـــ مطبعة الأمانة ـــ ط أولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- الجمل فى النحو ـــ الخليل بن أحمد ـــ تح د/ فخر الدين قباوة ـــ ط خامسة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . .
- جمهرة اللغة ـــ ابن دريد ـــ تح / رمزي منير بعلبكي ـــ دار العلم للملايين ـــ ط أولى ١٩٨٧م .

- حاشية الشهاب على البيضاوي ـــ شهاب الدين الخفاجي ـــ دار صادر ـــ بيروت .
- حجة القراءات ـــ أبو زرعة ـــ تح / سعيد الأفغاني ـــ بيروت .
- الحجة فى علل القراءات السبع ـــ أبو علي الفارسي ـــ تح / علي الجدي ناصـــف ،ود/ عبد الفتاح شلبي ـــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ثانية ١٤٠٣هـ
- الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب و نخبة ديوان العرب) – أبو العباس أحمـــد بن عبد السلام الجراوي – تح / رضوان الداية – دار الفكر المعاصر – بيروت – ط أولى ١٩٩١.
- خزانة الأدب وغاية الأرب – ابن حجة الحموي – تح / عصام شقيو – دار الهـــلال – بيروت – ط أولى ١٩٨٧
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ـــ عبد القادر البغدادي ـــ تح / محمد نبيل طريفي ـــ وإميل يعقوب ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٩٩٨م .
- الخصائص ـــ ابن جني ـــ تح / محمد علي النجار ـــ الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ـــ ط ثالثة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام ـــ علي بن بالي القسطنطيني ـــ تـــح د / حـــاتم صالح الضامن ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٠٧ / ١٩٨٧ .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ـــ السمين الحلبي ـــ تح الشيخ / علي محمد معوض ـــ وآخرين ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٤ / ١٩٩٤
- الدر المنثور ـــ جلال الدين السيوطي ـــ دار الفكر ـــ بيروت ١٩٩٣ .
- دراسات فى فقه اللغة ـــ د/ صبحي الصالح ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت .
- دراسات في فقه اللغة العربية ـــ د / حلمي خليل نامي ـــ القاهرة ـــ ١٩٧٤م
- درة الغواص فى أوهام الخواص ـــ القاسم بن علي الحريري ـــ تح / عرفات مطرجـــى ـــ مؤسسة الكتب الثقافية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٨هـ .

- دلالة الألفاظ ـــ إبراهيم أنيس ـــ الأنجلو المصرية ١٩٩٧ .
- ديوان المعاني ـــ أبو هلال العسكري ـــ دار الجيل ـــ بيروت .
- ديوان لبيد بن ربيعة – دار صادر – بيروت
- رجال صحيح البخاري (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد) ـــ أحمد بن محمد بن الحسين البخاري ـــ تح / عبد الله الليثي دار المعرفة ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٠٧هـ
- الرسالة ـــ الإمام / الشافعي ـــ تح / أحمد محمد شاكر ـــ القاهرة ١٣٥٨ ـــ ١٩٣٩
- روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـــ شهاب الدين الألوسي ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .
- الزاهر فى معاني كلمات الناس ـــ أبو بكر الأنباري ـــ تح د/ حاتم الضامن ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية – أبو حاتم الرازي – تح / حسين بن فيض الله الهمذاني – القاهرة ١٩٥٨.
- سر الفصاحة – ابن سنان الخفاجي – دار الكتب العلمية – بيروت –ط أولى ١٩٨٢/١٤٠٢
- سر صناعة الإعراب ـــ ابن جني ـــ تح د/ حسن الهنداوي ـــ دار القلم ـــ دمشق ـــ ط ثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- الشافية فى علم التصريف ـــ ابن الحاجب ـــ تح / حسن أحمد عثمان ـــ المكتبة المكية ـــ مكة المكرمة ـــ ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ـــ ابن عقيل الهمداني ـــ تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ـــ دار الفكر ـــ سوريا ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- شرح الأشموني ـــ دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي .
- شرح الشافية ـــ رضى الدين الاستراباذي ـــ تح / محمد نور الحسن وآخرين ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ١٩٧٥م .

- شرح المفصل ـــ ابن يعيش ـــ عالم الكتب ـــ بيروت .
- شرح النووي على صحيح مسلم ـــ أبو زكريا النووي ـــ دار إحياء التراث العـــربي ـــ بيروت ـــ ط ثانية ١٣٩٢ .
- شرح ديوان الحماسة ـــ المرزوقي ـــ تح / عبد السلام هارون ـــ لجنة التأليف والترجمة ـــ ط أولى ١٣٧٢هـــ / ١٩٣٥م . .
- شرح شواهد العيني على شرح الأشموني ـــ دار إحياء الكتب العربية ـــ ط أولى بدون
- الشمعة المضيئة بنشر قراءات السبعة المرضية ـــ أبو السعد زين الدين منصور الطـــبلاوي ـــ تح د/ علي سيد أحمد جعفر ـــ مكتبة الرشد ـــ السعودية ـــ ط أولى ١٤٢٣هـــــ / ٢٠٠٣م .
- الصاحبي فى فقه اللغة ـــ ابن فارس ـــ تح / السيد أحمد صقر ـــ دار إحياء الكتب العربية ـــ مصر .
- صبح الأعشى في كتابه الإنشا ـــ القلقشندي ـــ تح / عبد القادر دكار ـــ وزارة الثقافة ـــ دمشق ١٩٨١ .
- صحيح ابن حبان – محمد بن حبان البستى – تح /شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط / ثانية ١٤١٤/١٩٩٣
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر) ـــ أبو عبـــد الله البخـــاري ـــ تـــح د / مصطفى ديب البغا ـــ دار ابن كثير ـــ بيروت ـــ ط ثالثة ١٤٠٧ / ١٩٨٧.
- صحيح مسلم ـــ تح / محمد فؤاد عبد الباقي ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى ـــ أبو بكر بن أحمد قاضي شهبة ـــ تح د / الحافظ عبد العلـــيم خان ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٠٧ ..
- طبقات فحول الشعراء ـــ ابن سلام الجمحي ـــ تح / محمود محمد شاكر ـــ دار المدني – جدة .

- ظاهرة المخالفة الصوتية ودورها في نمو المعجم العربي ـــ د / أحمد عبد المجيد هريدي ـــ مكتبة الزهراء ـــ القاهرة .
- العربية خصائصها وسماتها ـــ د/ عبد الغفار هلال ـــ مطبعة الجبلاوي مصر ـــ ط رابعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م . .
- علم الاجتماع (دراسات نظرية وتطبيقية في تنمية وتحديث المجتمعات النامية) ـــ د/صلاح العبد ـــ دار المعرفة الجامعية ـــ الإسكندرية .
- علم الاجتماع اللغوي ـــ د / السيد عبد الفتاح عفيفي ـــ دار الفكر العربي ـــ مصر ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- علم الاجتماع اللغوي ـــ د / السيد على شتا ـــ المكتبة المصرية ـــ الإسكندرية.
- علم الأصوات اللغوية الفونتيكا – د/ عصام نور الدين – دار الفكر اللبناني – بيروت – ط أولى ١٩٩٢.
- علم الصوتيات ـــ د/ عبد الله ربيع ، د/ عبد العزيز علام ـــ مكتبة الطالب الجامعى ـــ مكة المكرمة ـــ ط ثانية ـــ ١٤٠٨ / ١٩٨٨
- علم اللغة ـــ د / علي عبد الواحد وافي ـــ دار نهضة مصر ـــ ط تاسعة .
- علم اللغة الاجتماعي (مدخل) د / كمال بشر ـــ دار غريب ـــ ط ثالثة ١٩٩٧م
- علم اللغة العام (الأصوات) ـــ د/ كمال بشر ـــ مكتبة الشباب ـــ بدون .
- علم اللغة المقارن – د /حازم علي كمال الدين – مكتبة الآداب – القاهرة – ١٤٢٠/١٩٩٩.
- علم اللغة بين القديم والحديث ـــ د/ عبد الغفار هلال ـــ مطبعة الجبلاوي ـــ ط ثامنة ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ـــ د / محمود السعران – دار النهضة العربية –بيروت ،

- عمدة القارى شرح صحيح البخاري ـــ بدر الدين العيني ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .
- العمدة في صناعة الشعر ونقده ـــ ابن رشيق القيرواني ـــ القاهرة ١٩٢٥ .
- العين ـــ الخليل بن أحمد ـــ تح د/ مهدي المخزومي ، ود/ إبراهيم السامرائي ، مكتبة الهلال . .
- غريب الحديث – ابن قتيبة – تح د/ عبدالله الجبوري– مطبعة العاني – بغداد – ط أولى ١٣٩٧
- غريب الحديث ـــ أبو عبيد القاسم بن سلام ـــ تح د/ محمد عبد المعيد خان ـــ دار الكتاب العربي ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٣٩٦هـ .
- غريب الحديث – الخطابي – تح / عبدالكريم العزباوي – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤٠٢
- الفائق فى غريب الحديث ـــ الزمخشري ـــ تح / علي محمد البجاوي ، ود/ محمد أبو الفضل إبراهيم ـــ دار المعرفة ـــ لبنان ـــ ط ثانية .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ـــ ابن حجر العسقلاني ـــ تح / محب الدين الخطيب ـــ دار المعرفة ـــ بيروت .
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ـــ الشوكاني ـــ دار الفكر ـــ بيروت .
- الاقتراح في علم أصول النحو ـــ السيوطي ـــ تح د / أحمد قاسم ـــ ط السعادة ١٩٧٦
- اقتضاء الصراط ـــ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ـــ تح / محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية ـــ القاهرة ـــ ط ثانية ١٣٦٩ .
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ـــ ابن السيد البطليوسي ـــ بيروت ١٩٠١.

- الفصحى ولهجاتها (دراسة تاريخية) – د / عبدالفتاح البركاوي – ١٩٨٢
- فصول فى فقه العربية ـ د/ رمضان عبد التواب ـ الخانجي ـ مصر ط ثالثة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- فقه اللغة ـ د/ علي عبد الواحد وافي ـ دار نهضة مصر ـ القاهرة.
- فقه اللغة المقارن – د / إبراهيم السامرائي دار العلم للملايين – بيروت – ط ثانية ١٩٧٨
- فقه اللغة وعلم اللغة – د / محمود سليمان ياقوت – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية مصر.
- الفلسفة اللغوية ـ جورجي زيدان ـ دار الهلال ـ القاهرة .
- في التعريب والمعرب ـ عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدسي ـ تح د / إبراهيم السامرائي مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٥ / ١٩٨٥م .
- فى اللهجات العربية ـ د/ إبراهيم أنيس ـ الأنجلو المصرية .
- في علم اللغة العام ـ د / عبد العزيز علام ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة .
- في قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية) د / رمضان عبد التواب ـ القاهرة ١٩٨١ .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبدالرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط أولى ١٣٥٦.
- القراءات واللهجات ـ عبد الوهاب حمودة ـ مكتبة النهضة العربية ـ الرياض ـ ط أولى ١٣٦٨ / ١٩٤٨

- القواعد والإشارات فى أصول القراءات ـ أحمد بن عمر الحموي ـ تح د/ عبد الكريم محمد الحسين بكار ـ دار القلم ـ دمشق ط أولى ١٤٠٦هـ
- الكتاب ـ سيبويه ـ تح / عبد السلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط أولى
- الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل أو وجوه التأويل ـ الزمخشري ـ تح / عبد الرازق المهدي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
- كشف المشكل من حديث الصحيحين ـ أبو الفرج بن الجوزي ـ تح / على حسين البواب ـ دار الوطن ـ الرياض ـ ١٤١٨ / ١٩٩٧ .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ـ مكي بن أبي طالب ـ تح/ محيى الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م . .
- الكفاية فى علم الرواية ـ الخطيب البغدادي ـ تح / أبو عبد الله السوري ـ وإبراهيم حمدي المدني ـ المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة .
- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال ـ علاء الدين بن حسام الهندي ـ تح / محمود عمر الدمياطي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- اللامات ـ أبو القاسم الزجاجي ـ تح د/ مازن المبارك ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط ثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- اللباب فى علل الإعراب والبناء ـ أبو البقاء العكبري ـ تح د/ عبدالإله النبهان ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط أولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- اللباب فى علوم الكتاب ـ ابن عادل الدمشقي ـ تح الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط أولى .

- اللغة ـــ فندريس .تر ـــ د/ عبد الحميد الدواخلي ، ود/ محمد القصاص طبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٠م .
- لغة الشعر دراسة فى الضرورة الشعرية-د/ محمد حماسة عبداللطيف-دار الشروق القاهرة – ط /أولى ١٤١٦/١٩٩٦
- اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم – د / عبدالعال سالم مكرم- عالم الكتب ١٩٩٥ .
- لغة تميم ـــ د/ ضاحي عبد الباقي ـــ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م .
- لغة قريش ـــ مختار الغوث ـــ دار المعراج الدولية ـــ الرياض ـــ السعودية ١٤١٨هـــ / ١٩٩٧م .
- لغة هذيل ـــ د/ عبد الجواد الطيب .
- اللغة والمجتمع ـــ د / علي عبد الواحد وافي ـــ دار نهضة مصر .
- لهجات العرب ـــ دراسة تحليلية ـــ د / محمد عبد الحفيظ العريان ـــ مطبعة أبناء وهبة حسان ـــ ط أولى ١٤١٢هـــ / ١٩٩١م .
- اللهجات العربية فى التراث ـــ د/ أحمد علم الدين الجندي ـــ الدار العربية للكتاب ـــ ١٩٨٣م .
- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ـــ د/ عبده الراجحي ـــ دار المعرفة ـــ الإسكندرية .
- اللهجات العربية في شرح المفصل ـــ د / محمد علام محمد ـــ دار الهلال بأسيوط ١٤١٩ / ١٩٩٩ .
- اللهجات العربية فى معاني القرآن للفراء ـــ د/ صبحي عبد الحميد ـــ دار الطباعة المحمدية ـــ ط أولى ١٤٠٦هـــ / ١٩٨٦م .

- اللهجات العربية نشأة وتطوراً ـ د/ عبد الغفار هلال ـ مكتبة وهبة ـ ط ثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- اللهجات العربية وامتدادها إلى العصر الحاضر . د / عيد محمد الطيب ـ القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- لهجات اليمن قديما وحديثا ـ أحمد حسين شرف الدين ـ مطبعة الجبلاوي ١٩٧٠
- لهجة ربيعة دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث ـ د / عبد الهادي أحمد محمد السلمون ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ليس فى كلام العرب ـ ابن خالويه ـ تح د/ أحمد عبد الغفور عطار ـ مكة المكرمة ـ ط ثاية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- المؤتلف والمختلف (الأنساب المتفقة فى الخط المتماثلة فى النقط) – محمد بن طاهر بن علي القيسروانى – تح /كمال يوسف الحوت – دار الكتب العلمية – بيروت =ط أولى ١٤١١،
- مجالس ثعلب ـ تح / عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٦٠م .
- المجتمع ـ روبرت موريسون ماكيفر ، وشارلز بيدج ـ ترجمة د / سمير نعيم أحمد ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧١م .
- مجمع الأمثال ـ أبو الفضل الميداني ـ تح / محمد محيى الدين عبد الحميد ـ دار المعرفة ـ بيروت .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ـ أبو القاسم الأصفهاني ـ تح / عمر الطباع ـ دار القلم ـ بيروت ١٤٢٠ ـ ١٩٩٠ .
- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ـ ابن جني ـ تح / علي النجدي ناصف وآخرين ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ـــ ابن عطيه الأندلسي ـــ تح / عبد السلام عبد الشافي محمد ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- المحكم والمحيط الأعظم ـــ ابن سيدة ـــ تح / حسن هنداوي ـــ دار الكتب العلمية ـــ ط أولى ٢٠٠٠م .
- مختصر شواذ القرآن ـــ ابن خالويه ـــ مكتبة المتنبي ـــ القاهرة
- المخصص ـــ ابن سيده ـــ دار الكتاب الإسلامي ـــ القاهرة .
- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ـــ تأليف / سباتينو موسكاتي وآخرين ـــ ترجمة د/ مهدي المخزومي ، ود / عبد الجبار المطلبي ـــ عالم الكتب بيروت ط أولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ـــ السيوطي ـــ تح / محمد جاد المولى وآخرين ـــ المكتبة العصرية ـــ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- المسالك والممالك ـــ الأصطرخي ـــ تح د / جابر الحيني ـــ القاهرة ـــ ١٩٦١.
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر ـــ د / محمد عيد ـــ عالم الكتب ـــ القاهرة .
- مسند الإمام أحمد ـــ أحمد بن حنبل الشيباني ـــ مؤسسة قرطبة ـــ مصر .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار ـــ القاضي عياض ـــ دار التراث .
- مشكلة الهمزة العربية ـــ د/ رمضان عبد التواب ـــ الخانجي ـــ ط أولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير ـــ للرافعي ـــ تح / أحمد بن محمد ابن علي الفيومي ـــ المكتبة العلمية ـــ بيروت .

- المعارف – ابن قتيبة – تح / ثروت عكاشة – دار المعارف.
- معاني القراءات ـــ أبو منصور الأزهري ـــ تح د / عيد مصطفى درويـــش ود/ عـــوض القوزى ـــ دار المعارف ـــ ط أولى ١٤١٢هـــ / ١٩٩١م.
- معاني القرآن ـــ أبو جعفر النحاس ـــ تح / محمد على الصابوني ـــ جامعة أم القرى ـــ ط أولى ١٤٠٩هـــ .
- معاني القرآن ـــ الأخفش ـــ تح د/ عبد الأمير محمد أمين الورد ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥م .
- معاني القرآن ـــ الفراء ـــ تح د/ فائز فارس ـــ ط ثانية ـــ الكويت ١٩٨١م.
- معجم البلدان ـــ ياقوت الحموي ـــ دار الفكر ـــ بيروت .
- المعجم الكامل فى الفصحى ولهجاتهـــا ـــ د/ داود ســـلوم ـــ عـــالم الكتـــب ـــ ط أولى ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م .
- المعجم الكبير ـــ الطبراني ـــ تح / حمد بن عبد المجيد السلفي ـــ مكتبة الزهراء ـــ الموصل ـــ ط ثانية ١٤٠٤هـــ / ١٩٨٣م .
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – عمر رضا كحالة ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت ـــ ط خامسة ١٤٠٥ ـــ ١٩٨٥م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ـــ عبد الله بن عبد العزيز البكري ـــ تـــح / مصطفى السقا ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ـــ ط ثالثة ١٤٠٣هـــ .
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ـــ ابن هشام الأنصاري ـــ تح د/ مازن المبـــارك ، ود/ محمد علي حمد الله ـــ دار الفكر ـــ دمشق ـــ ط سادسة ١٩٨٥م
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـــ د / جواد علي ـــ دار العلم للملايين ـــ بيروت ـــ ط ثانية ١٩٧٨-

- المفصل فى صنعة الإعراب ـــ الزمخشري ـــ تح د/ علي أبو ملحم ـــ مكتبـــة الهـــلال ـــ بيروت ط أولى ١٩٩٣م .
- مقاييس اللغة ـــ ابن فارس ـــ تح / عبد السلام هارون ـــ دار الجيل بيروت
- المقتضب ـــ المبرد ـــ تح / محمد عبد الخالق عضيمه ـــ عالم الكتب ـــ بيروت .
- مقـــدمتان فى علـــوم القـــرآن [كتـــاب المبـــاني فى نظـــم المعـــاني ، ومقدمـــة ابن عطية] نشرهما آرثر جفرى ـــ مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٤م .
- مميزت لغات العرب ـــ حفني ناصف ـــ مطبعة القاهرة ـــ ط ثانية ١٩٥٧.
- من أسرار اللغة ـــ د/ إبراهيم أنيس ـــ الأنجلو المصرية ـــ ط سابعة ١٩٩٤م .
- من صيغ العربية وأوزانها (أفعل) ـــ عبد الحليم عبد الباسط المرصفي دار مرجان للطباعة ـــ ط أولى ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م .
- مناهل العرفان في علوم القرآن ـــ محمد عبد العظيم الزرقاني ـــ دار الفكر لبنان –ط أولى ١٤١٦هـــ / ١٩٩٦م .
- المنصف شرح الإمام ابن جني لكتاب التصريف للمازني ـــ تح / أحمد عبد القادر عطا ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ط أولى ١٤١٩ / ١٩٩٩ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـــ شمس الدين الذهبي ـــ تح الشيخ / علي محمد معوض ، والشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٩٩٥م.
- النشر فى القراءات العشر ـــ ابن الجزرى ـــ مطبعة مصطفى محمد .
- نهاية القول المفيد فى علم التجويد ـــ الشيخ / محمد مكي نصر ـــ طبعة مصطفى البـــابي الحلبي ١٣٤٩هـــ .
- النهاية فى غريب الحديث والأثر ـــ ابن الأثير ـــ تح / طاهر أحمد الزاوي و / محمود محمد طناحي ـــ المكتبة العلمية ـــ بيروت ـــ ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م .
- النوادر فى اللغة ـــ أبو زيد الأنصاري ـــ تح د/ محمد عبد القادر أحمد دار الـــشروق ـــ بيروت ـــ ط أولى ١٤١٠هـــ / ١٩٨١م .

- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ـــ السيوطي ـــ تح / عبد الحميد هنداوي ـــ المكتبة التوفيقية ـــ مصر .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – شمس الدين بن خلكان – تح /إحسان عباس – دار الثقافة – لبنان .

- ثانياً : المخطوطات والدوريات :

- شرح ديوان حماسة أبي تمام ـــ أبو العلاء المعري ـــ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٠٨ .
- الظواهر اللغوية فى معاني القراءات للأزهري ـــ رسالة دكتوراه للباحث بكلية اللغة العربية بأسيوط .
- فتح الوصيد فى شرح القصيد ـــ علم الدين السخاوي ـــ دار الكتب المصرية ـــ تفسير تيمور ٢٥٥ .
- الفكر اللهجي في تراث أبي العلاء المعري – د/ممدوح إبراهيم محمود- مجلة كلية اللغة العربية في جرجا ٢٠٠٩
- المجيد فى إعراب القرآن المجيد ـــ تح / إبراهيم بن محمد الصفاقسي تح / عبد العزيز أحمد إسماعيل ـــ وعلي محمود النابى فى رسالتى دكتوراه بكلية اللغة العربية بالقاهرة رقم ١٢٧٨ لسنة ١٩٧٨م ، ورقم ١٢٤٥ لسنة ١٩٧٨م .
- المفضل فى شرح المفصل ـــ علم الدين السخاوي ـــ تح / محمود محمد السيد الدريني ـــ رسالة دكتوراه بالمكتبة المركزية لجامعة الأزهر برقم (٣٣١١)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
التمهيد (البيئة مفهومها وتفاعل الأفراد معها)	
الفصل الأول (المجتمع واللغة)	
تمهيد (العلاقة بين المجتمع واللغة).....	
المبحث الأول (أثر المجتمع فى اللغة)	
أولا : اختلاف اللغة باختلاف طبقات الناس	
ثانيا : البيئة أو المجتمع بين الانعزال أو توثيق الصلات وأثرذلك فى اللغة...	
ثالثا : التغير الاجتماعي	
المبحث الثانى : البيئة بين البدو والحضر.....	
خصائص المجتمعين البدوي والحضري	
أثر البيئة البدوية والحضرية فى اللغة	
المبحث الثالث : البيئة وسيكولوجية الشعوب والأفراد	
أثر الحالة النفسية في اللغة	
الفصل الثاني : اثر البيئة في لغة ساكنيها	
المبحث الأول : البيئة العربية وطرائق النطق	
أولا : بين ثقل النطق وخفته	
أ ــ استعمال ما ثقل من الحروف	
ب ــ استعمال ما تقل من الحركات أو خف	
ج ــ اختيار ما تقل من الصيغ أو خف	
ثانيا : البيئة بين السرعة في النطق والتأني فيه	
١ــ النطق بالأصوات الشديدة بدلا من الرخوة	

الموضوع	الصفحة
٢ــ النطق بالأصوات المتماثلة أو المتقاربة أو المتجانسة مدغمة بعضها في بعض	
٣ــ قلب أحد المثلين حرف علة أو ما يشبهه	
٤ــ سقوط بعض الأصوات من الكلمات أثناء النطق	
٥ــ تقديم بعض حروف الكلمة على بعض	
٦ــ قصر الممدود	
ثالثا : البيئة والإنسجام الصوتي	
أ ــ الإنسجام بين الصوامت	
١ــ قلب المنفح إلي نظيره المطبق إذا جاور مطبقا	
٢ــ قلب المهموس إلي نظيره المجهور إذا جاور مجهورا	
٣ــ قلب المستفل إلي مستعل إذا جاور مستعليا	
ب ــ المجانسة الصوتية بين الصوائت	
١ــ الإمالة	
٢ــ كسر فاء (فعيل وفعل) إذا كانت العين أحد حروف الحلق	
٣ــ كسر ياء المتكلم إذا أضيف إلي جمع المذكر السالم	
٤ــ كسر كاف المخاطبين أو المخاطبات إذا سبقت بياء أو كسرة	
رابعا : البيئة والوضوح السمعي	
١ــ الميل إلي جهر الأصوات المهموسة	
٢ــ الميل إلي أوضح المجهورين أو المهموسين	
تعقيب	
المبحث الثاني : البيئة بين التأثير والتأثر	
تمسك العربي بلهجته وأسبابه	

الموضوع	الصفحة
التأثير والتأثر بين البيئات العربية وعوامله	
١ــ المجاورة والاختلاط	
٢ــ الانتقال	
أ ــ الهجرات	
ب ــ الحروب وشن الغارات	
مظاهر التأثير والتأثر	
المبحث الثالث : مفارقة البيئة لمعتاد حالها	
١ــ التاثير والتأثر	
٢ــ تعميم النسبة أو الأحكام عند القدماء	
٣ــ عدم التجانس أو الترابط في تركيب بعض المجتمعات	
٤ــ الخطأ في النسبة أو عدم الدقة في النقل	
٥ــ الرغبة في التقليد أو المحاكاة	
٦ــ الرغبة في المخالفة	
٧ــ المبالغة في الفصاحة أو الحذلقة	
٨ــ الربط بين القارئ والبيئة	
٩ــ تشابه أسماء بعض القبائل	
١٠ــ التأثر الثقافي	
المبحث الرابع : البيئة بين التطور اللغوي والمحافظة على الأصل	
أولا : في الأصوات	
١ــ حركة حرف المضارعة	
٢ــ فتح حرف الحلق في وسط الكلمة	
٣ــ الوقف على المفرد المؤنث بالتاء	

الموضوع	الصفحة
٤ــ الوقف على الاسم المنون بالإبدال	
٥ــ الوقف على المقصور غير المنون بإبدال ألفه ياء	
٦ــ حذف الواو والإكتفاء بالضمة قبلها	
ثانيا : في الأدوات والضمائر	
١ــ الضمير (أنا)	
٢ــ أداة التعريف	
٣ــ استعمال (ذو) اسما موصولا بمعنى الذي	
ثالثا : في التراكيب	
١ــ إلحاق الفعل علامة التثنية أو الجمع	
٢ــ إعراب المثنى	
رابعا : في المفردات	
تعقيب	
أسباب احتفاظ بعض البيئات العربية بالأصل السامي القديم	
احتفاظ الفصحي بأصول سامية	
الخاتمة	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	